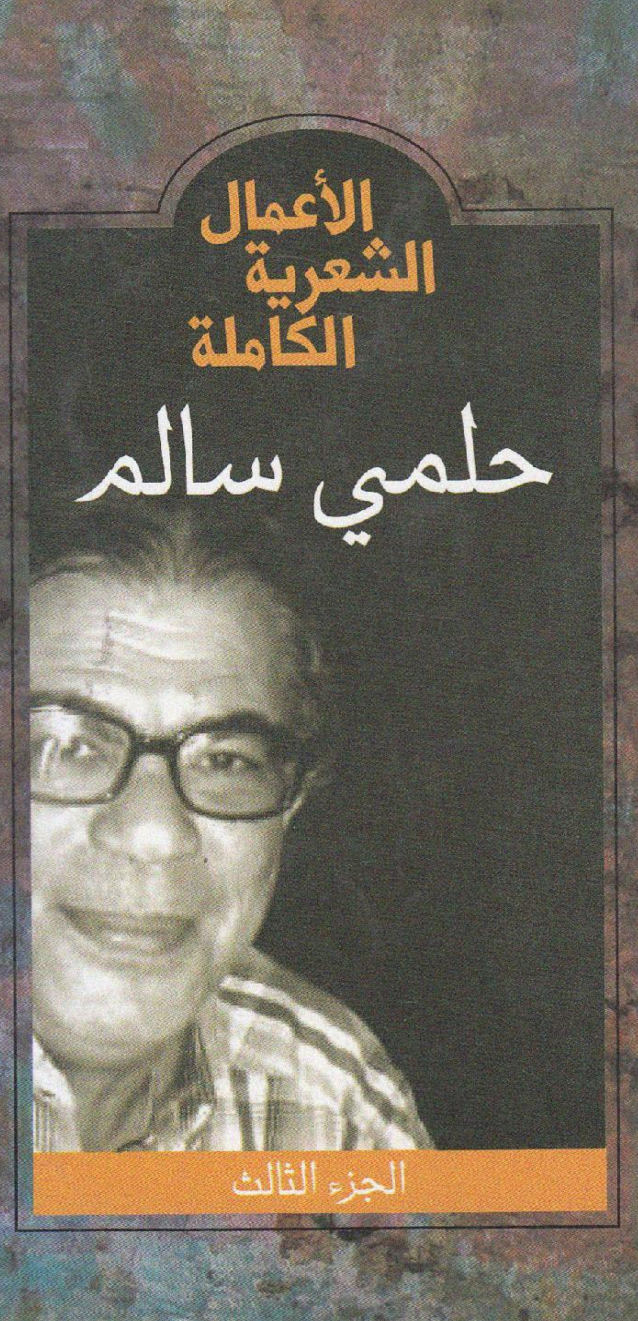
الأعمال الشعرية الكاملة

حلمي سالم



الجزء الثالث

الأعمال الشعرية الكاملة
حلمى سالم

(الجزء الثالث)



سلسلة
الأعمال الكاملة

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• الأعمال الشعرية الكاملة
حلمي سالم (ج٢)
• حلمي سالم
القاهرة 2014م
• تصميم الغلاف:
أحمد اللباد
• المراجعة اللغوية: عادل سميح
• رقم الإيداع: ٢٢٥٤/ ٢٠١٤
• الترقيم الدولي: 978-977-718-615-5
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالي: 16 شارع أمين
سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدي 11561
ت: 27947891 (داخلي: 180)
• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

الأعمال الشعرية الكاملة

حلمى سالم

ديـــوان

سراب التريكو

(١٩٩٥)

كتبت قصائد هذا الديوان في الفترة من

مايو «١٩٩٤» حتى أكتوبر «١٩٩٥»

*«يمكن أيضًا دَهْنُ الأبوابِ بالأورنج

- كتعبيرٍ رمزيٍّ عن البهجة -

ووضعُ مقابضَ مخرومةٍ،

تُسهِّلُ على أيِّ واحدٍ

التلصُّصَ على العائلاتِ كبيرةِ العدد،

وبهذا لا يكون هناك شخصٌ وحيدٌ

في شارعنا»

إيمان مرسال

الشقيقةُ التي أراها



حزنٌ خفيفٌ على قَصَّةِ الشَّعر،

وحنينٌ إلى أن يراني من لم يكن يراني،

وأنا على باب «المواساة».

* * *

هو ضابطٌ لكنه يشبه المُرْسَلينَ،

بينما تُشبِهين غادةَ التي أنجبتْ منذ شهرين.

واربتْ خزانةَ المكنون:

أنا في زِيٍّ جماعة الرحلات،

أمي حين حصلتُ على شهادة التفوُّق،

أبي قبل أن يطيرَ بليلةٍ.

* * *

مضى الباصُ قبل أن أُتمَّ: «لا ينبغي أن نتوه»،
فلماذا حطَّ عليَّ الاسمُ والمُسمَّى وهرَسَ الذاكرة؟
حدَّثني عن خبرة السجنِ وعاداتِ الكتابة،
وأطلعَني على صورتِكَ في عام المظَاهرات.
مضى الباصُ قبل أن نوثِّقَ بيننا سِجالَ الخصائص.

* * *

يروقني أن ألمحَ بعضَ علائم الشَّر
تحت حاجبيك الغليظين.
ليست الملائكةُ من ضيوفي،
ولكنني حين طلبتُكَ في هاتفِ الماليَّة
لم أكن أريد سوى أن أسمع:
آلو،
- أيوه،
مين؟

* * *

البنتُ التي لم تودَّ أن ينطلي اسمُها على جسمها
أراحت رأسَها على الزجاج وأسلمتْ روحَها للدوران.
كان تعثُّر الحروف قد أتى على الشخص.
رفعتْ رأسَها ببطء،
وحاولتْ ألا يضيع صوتُها في ضجَّةِ الجارَيْن:
أنتَ حيٌّ.

* * *

عندما مَسَّكِ السؤال:
«لماذا يذهب المحبُّونَ؟»
أدركتُ أن على البوَّابة عَبْدَيْن:
الليلَ،
وعنترَ بن شدَّاد،
فجعلتُ أصابعي في مستوى الذكريات،
وسمعتُكِ تغمغمين:
نَعَمْ يا عَمُّ.

* * *

«مقبولةً»،
حكايةً عن شوقِ الناس للّحظة الأولى،
كان ضابطًا لكنه يشبه المُرْسَلينَ،
وهبتُه نجمةً عكْس نجمةِ المعسكَر،
«مقبولةً»،
حكاية عن الأواني المستطرقات.
ثم دوَّنتْ في دفترها:
أنتَ تعرفُ ما الأذى.

* * *

هذه هي الشقيقةُ التي ما رأيتُ
- لماذا أتاكَ الشِّعرُ فصرفتَه؟
- لأنكِ تكرهين المُلهِمات.

* * *

ليلةَ ابتدتْ بيننا حاجةٌ إلى أن نكونَ في حاجةٍ،

صار أبي صديقي،

واكتشفتُ أباجورةَ الظلِّ.

لم أحتملْ غيبوبةَ الشريان،

فكيف نفسِّر هذا التشابهَ بين أبيكَ وأبي؟

بالأمس؟

غادر الفراشَ غيرَ متكئ على عاجِهِ.

الجلطةُ نفسُها،

دورةُ الغنى والفقرِ نفسُها،

خيبةُ الرجاء في البكريِّ نفسُها.

أرجعتُ إليه الوصيَّة،

لأنني سأجعله فرحًا في آخر الصيف.

* * *

- ألم تحكيها لمدرّسة الفرنسية؟

- لم أحكها لمدرّسة الفرنسية،

- ولا لرفيقتكِ التي صاحبتكِ في لقاء الزعيم؟

- ولا لرفيقتي التي،

- إذن:

يمكن للقسوةِ أن تُنسَى.

* * *

وضعتُ نظّارتي على عينيها:
كانت تزيحُ خُصلةً وهميةً
عن جبينٍ وهميٍّ
وتضغط على المخارج بزيادةٍ.

كانت نظارتُها مجلُوّةً
وضعتُها على عينيَّ:

كنت أمسح عَرقًا وهميًا
وأُزُر عيني في ازدراءٍ وهميٍّ.

النظّارتان على المفرَش
تماستا عظْمًا بعظْم،
فظللنا نرقُبهما صامتَيْن،

* * *

بعيوننا الخالية من النظارات،

عيوننا التي هي ٦ على ١٨.

هكذا:

أربعةُ أشعّةٍ

مصوّباتٌ

إلى نقطةٍ

واحدة.

* * *

هذه أمي على باب وسط الدار،

دلالُها بادٍ في حَسْرها غطاءَ الرأس،

ومَدَنيَّتُها في الابتسامةِ،

لكنَّ نصفَها الأسفل

- من الضلوع حتى البانتوفل -

متآكلٌ.

يلزمني أن أراها واقفةً
لأنني عدتُ من دفنها
قبل أن يُتاحَ لي أن أفرِدَ أصابعَها.

* * *

- كيف عرفتَ أنني أودُّ أن أسافرَ معكَ؟
- حينما سألتِني:
لماذا اشتركتَ في حصاري؟
وفي الصباح قلتِ:
«نمتُ عميقا لأنني جاموسةٌ».

* * *

أعدَّتْ شايًا لضابط الإحضار،
ولامتْ الأختَ لأنها طبختْ لأولادها أكْلَ الأعياد،
لهذا ظلَّ الورمُ حول عينيها
إلى أن عدتُ من قلعة صلاح الدين.

مثلَ كلِّ يوم رجعتُ بدون قلم الرصاص،
لكنها في ذلك المساء فقدتْ براحَها،
وحينما أشرتُ لها على ابن جارتنا
هرستْه بجبروتٍ لم تعهدْه في يديها.

* * *

يُخَيَّلُ لي أنني جرَحتُ الطالبةَ. أنتَ تمقتُ السُّلطةَ، لكنكَ في لحظة السرقات كنتَ سلطويا، حينما قلتَ للفتاة في حَيرتها: ليس لديَّ وقتٌ لتصحيح أخطائك الفنية. ومع ذلك هزمتْكَ الطفلةُ عندما قالت لكَ في المطابع: خذْ هيئةَ فرْحان. يُخيَّل لي أنها لن تطيقَ جُملتي: ويلٌ للمطفّفين. لكنني أظن أنها سترتاح إلى اقتراحي بأن نشتري كميّةً كبيرةً من البالونات.

* * *

أن تلتقطَ المعنى الذي يحتويه كلُّ امرأةٍ ملابسَها التي
لم تكوِها بنفسها منذ عامٍ ونصف،
أن ترى فيَّ الذي فيَّ،
ألم تقل للمريدينَ في الحَضْرة:
اكسروا النموذجَ؟

يا شقيقي: أمامنا عملٌ كثيرٌ،
وعُقَدٌ لا بدَّ من فكِّها: بِشْوِيش.

* * *

لماذا اعتقدتُ طولَ الوقت

أنكَ تضع حول رقبتكَ سِلْسلةً؟

عندي ثلاث إجاباتٍ:

الأولى: لأنكَ رقيعٌ،

الثانية: لأنكَ تبدو مثلَ أبناء الذَّوات،

الثالثة: لأنكَ مَسُوقٌ رغمَ لغوِكَ عن الأحرار.

دعنا من السلاسل الليلةَ وانتبهْ:

عينا أخي سوداوان،

فأرجوكَ، لا تكن مهيمِناً هكذا.

* * *

سأفرقُ شَعري كنجوم الشُّباك

وآتي على شاكلةِ الأخيار،

ليس لي غرَضٌ سوى عريضةِ الجبين.

لا مفرَّ من أن نُحسِّنَ الكَمَانَ

لأننا عابرون في الرُّدهة،

سأفرق شَعري

من غير أن أفعلَ الشيءَ الذي يوجع القلبَ،

هل ترينَ هذا الشاهقَ الجميل:

لقد أخذتُ أمي إليه

قبل أن تذهب إلى الكناريا.

أنا لا أُجيدُ الصَّفيرَ بشفتيَّ،

وأنتِ لا تجيدين،

إذن: هيّا نحاول أن ننفخَ مطلعاً ممكناً،

مثلاً: هذا الولدُ حلوٌ.

بهذا التحريكِ الخفيفِ للهواء،

لن أنسى الرائحة.

* * *

هذه هي البالونةُ التي قصدناها. هل تراها محاذيةً للبُرج تعبر سماءَ اللاعبين ثم تحفُّ بمجلس الثورة؟ هي على القلّع أخضريكا. وأنا أعود إلى طِبِّ الأمهات: أنَقُرُ العروسَ بالإبرة.

* * *

ربما استعملتْه حينما تنازلتْ لأبي عن الفدّان الذي نابَها من أبيها، وربما استعملتْه حينما وافقتْ على أن يكون للذكور الجانبُ الإفرنجيُّ من الدُّوَّار، وربما استعملتْه وهي تستلمُ معاش السادات، لكن الأكيدَ أن يداً بعدَ يدها لَم تلمسْه إلا يداكِ، وأنكِ ستلفّينه في قماشةٍ نظيفةٍ، وسوف تحفظينه تحت شعر السرّ، وكلما التقينا في الظهيرة اطمأننتُ إلى أن عينيكِ تصونان خَتْمَ: زاهية السيد نصار.

* * *

ستذهب الآنَ لتكتبَ:

«فتّشتَ في حقيبة اليد عن قدّاحةٍ»،

وحينما أصرخُ: شَدَّنا التَّضامُّ،

ستذهب لتكتبَ:

«قالت: دارِني واكتشفْ مكاني»،

وليس مستبعدًا أن تُنهي القصيدةَ هكذا:

«تشرب من فنجانك

وأشرب من عينيك»،

أو هكذا:

«لستُ بريئةً ولا ماريونيت».

ولهذا: لن أفتحَ فمي،

ولكنك، أيضاً، ستذهبُ لتكتبَ:

«لم تفتحْ فمَها

لأن قلبَها مفتوح».

* * *

بيننا مناطقُ مظلمةٌ كثيرةٌ

لكن بيننا نقطةٌ واحدةٌ منيرةٌ،

تكفينا هذه النقطةُ الواحدة.

هيا نغيِّرْ المكان.

مايو، يونيو، يوليو ١٩٩٤

مرفرفاتٌ على الجسر

لن نذهبَ إلى قاعة العَزْف،
لأن صبيانَ النَّقاشة محيطون بالمَمْشَى،
فاشطُبْ من مهَامكَ أَن تردَّني للطفولة،
واطمئنْ: إنني أعبرُ الكوابيس قفزًا على الزَّانةِ.

صبيانُ النّقاشة هنا،
وهناك صلاةُ الشُّكر.

* * *

طائرةٌ في المدَّرجات،

لكن دمعهَا عند مقطع الجَلْطة

أزالَ الساترَ الترابيَّ،

وهي مهَوِّمةً على رءوس التلاميذ،

تقلِّمُ العواطف.

* * *

كانت مَحْنِيَّةً على تحنُّنِ الدَّجاجة،

(في المسوَّدات قال الأصل:

عينا بقرةٍ على السَّطر،

وأصابعُ مربوكةٌ في جوار القدح)،

لكن المرأةَ التي ستقول بعد أن يقتنصها الفخُّ:

«هل هذا هو الجنسُ؟»،

اقترحتْ على رتوشِ الإنهاء هذه الكمَالةَ:

وبين الوجهين هواءٌ مسكوتٌ عنه،

ومليونُ خليّةٍ في رأسِ دبُّوس.

* * *

تطفح الجثثُ،

والثكالى مرفرفاتٌ على الجسر،

في ظهيرةٍ:

ستموِّهين مواجدَكِ،

حتى تتمكن الضفَادعُ

من انتشال أطفال المقطورات.

* * *

حينما تَشُمِّينَ الكلاسيرَ وحدَكِ في الليل،

ستعرفين كيف عشتُ عشرين عاماً

قبل أن ألاقي امرأةً تقول لي:

لعل ارتدائي القميصَ المربَّعاتِ نداءٌ للذكورة.

* * *

حينما تَشُمِّين الكلاسيرَ:
ستجدين عَرَقَ يديَّ،
وحِبرَ الذكريات.

وحدَكِ في الليل،
فاحفظي به القصائدَ التي لم تتمَّ،
وحدَها،
وأنت جالسةٌ فوق المكتبِ القرفصاءَ،
وحدَكَ،
ولا ترتَبكي إذا طفرتْ منه في السكون
سلامةُ الروح.

* * *

نحن شقَّان من فِعْل بَلْطةٍ يا سيدي،
يمكن اَستبدَالُ هذه الدرامَا بجارٍّ ومجرورٍ مرتين:
«على الحافَّة
على الحافَّةِ».

هكذا نصحتْه المرأةُ التي كرهتْ مواليدَ ما بعد
خمسين،
مستثنيةً: تحياتِ الطبيعة.

كدتُ أتركُ: عينا بقرةٍ على السَّطر،
لكنني مِلْتُ للبياض الذي تجرحه لمسةُ العداوة،
بينما ثعبانٌ معصمها على طبِّ الأمَّهات:
وضعُ الندى على حروقِ الجِلَدْ.

* * *

كلُّهم يخافون من البلياتشو،
غير أنني أفضِّل المفعولَ به
على معراجِ العسكريِّينَ،
فهل تأخذني إلى لغةٍ
لا أذرُّ رمادها على الرأس؟

* * *

صرخةُ الميلاد دوَّتْ بعد يومٍ من قوله: «وقد اتخذتُ قراراً أريدكم أن تساعدوني عليه»، قيل للوليدة: كان هنا العادلون. ترامتْ على الظَّهْر الضفائرُ تحت كراسة الإملاءِ، فقيلَ للصبيّة: كان هنا المنتصرون. أطلقَ المثّالُ للناهدين شهدَهَما، فقيل للجميلة:

هنا ماءُ النار،

هنا جنازيرُ الهِداية.

* * *

- من زاهيةُ؟.

- البَرْدُ والسلام.

* * *

أمامَك الوئامُ

وَخلفَكَ المخاليقُ في مصنعِ الحِبْر،

فاستعِدّ هواءَكَ الذي فقدتَه مع الحَرَس،

وقفْ على شَفا الأخت التي عَفَتْ عن عينيك وعن

بطنها،

قفْ ولا تُطِل رَنَّ الجرَس.

* * *

لم أنتبهْ لارتعاش الجانبِ الأيسرِ من الفم،

ولا لخَدَر الساقِ في الليالي،

وعندما قال الطبيبُ:

أبعدوها عن الانفعالات،

حدَّثتُها أن أصدقائي ميراثُ أبنائي،

وأن السيرةَ مشروعُ الدنيا.

لم أنتبه لغيبوبة الدقائقِ الثلاث،

خَيِّ:

كان لا بد أن أنتبه.

* * *

لا تتصرفْ إلى غُبارٍ مدنَّسٍ على أرنبةِ الأَنْف،
ما جرى هو أن رسائلَ التابوت جاءت لحظة الحبْو،
وانطوى النسرُ الذي منحتُه نجمةً عكس نجمة المعسكر.
بعد شهرٍ بالتمام سأغَيِّرُ بعض عاداتي:
سأشتاقُ، مثلاً،
سيُشْتاق إليَّ، مثلا،
سأعتزُّ بطبلةِ الأذُن.

* * *

جَهَّزَ الفِضَّةَ بنفسه،
وجهَّزَ الحلوى بنفسه،
كي يعيشا معاً في الحبس.
عندنا شُغْلٌ مَعَطَّلٌ يا حبيبي،
فلا تهتمَّ بارتعاشِ يديَّ بعد الشْعر.

* * *

شاركتْ في الغُسْل،

نعمْ يا شقيقةَ ثمَّةَ مرحومون،

لكن السلامَ كان قد هيَّأ نفسَه للنزول:

قهوتان يا أخ،

نعم يا ابنةَ الضابطِ الأَسْوَدُ في مكانَيْن:

بينهما بياضُ رجلٍ

لم يشتركْ في الغُسْل.

* * *

تلهو يدٌ بالشريط البطيء

فينطُّ للأمام مثلَ آلة الزمن،

وعندما نوقفه في لهثنا بضغطة:

سنرى خشونةَ الكِليم تحت ظَهْرها،

ونرى فوق ظهره الوطاويطَ

يؤرجحون طفلةً من بزِّ الرَّجُل.

* * *

آخرُ ما تبقّى من جهازها القديم. استللتُها من قبضة
الأوصياء. كانت مطمورةً في غرفة الكراكيب تحت
غَبَرة السنين. بَركتُ عليها أهركها بتراب المحماة
والليمون. لا بد أن تراها إذا كان لا بد أن تراني. بانَ
نقشُها الدقيقُ وانجلى منطقُ الطير على حواف الدائرة.
سندتُها على الشالِ في جوار سريري. لو عدتُ لها
الليلةَ ربما أرى وجهكَ في زجزاجها. وربما ألتقط
منطقَ النحاس:
تستطيع المحبّاتُ أن تنهض من غفوتها على:
صينيّة الوالدة.

* * *

يجرُّ خلفَه أحشاءَه

ماشياً كمن يقدِّر أن مُنهكةً ستنجو

وأنها بعد أزمنةٍ كثيرةٍ

ستحرِّكُ الآلامَ من مواضعها بالليل

وتعيدها كما كانت إذا أصبح الصبحُ

ثم تُمعن التدقيق في أيامها

وفجأةً:

تهنِّئُ نفسَها في صرامة قادة الأركان

على احتيازها هذه الصفوفَ المرصوصةَ من المفقودات

وهو يجرُّ خلفَه أحشاءَه

بينما الصغارُ يصنعونَ منها كُراتِ غزْل.

* * *

رجالٌ صامتون في الدنيا،

وأَلفَةُ الفَصْل تصنّف الكوابيسَ في دُرجها.

وتميِّز المحفوظاتِ بعلامة: صح

وعلامة: غَلَط

فأدرك الفتى أن الوصالَ يَكشف الصّدعَ.

طبعاً علامةٌ: صح

على الأدراج التي فيها بقايا الخراطيش

واللَّبَسُ والمَاسّكاتُ وما أشبه،

وطبعاً علامةٌ: غلط

على الأدراج التي فيها المدارسُ والانسجامُ

والخبزُ والحريةُ وما أشبه.

أما ختَمُ التي انحرفَ فكُّها يساراً

فسوف تداربنه حيث يجدُرُ بالغُفران.

* * *

اختفى في هيئة الشخص

الذي جعل أصابعَه في مستوى الذكريات،

ثم اتخذَ من رحيل الأم ستْراً يلمح من ورائه

امرأةً يسلخ الأطباءُ جلدَهَا،

لأن بصيرتَها حذَّرَتها من مصيدةٍ

ستصير فيها مشدودةً من أنفها بالحديدِ المطاوعِ

إلى روائحِ اسكندريةَ.

* * *

لا تحدِّقي في الفنجان الذي شربته من لحظةٍ،

فكثرةُ التحديق تُطلقُ الخيالَ من عقاله.

ليس لدينا زيتٌ كافٍ لنحرقَ النَّفس،

لذا: علينا أن نقتسمَ الموسيقى بالعدل.

اغسطس ١٩٩٤

دُرجاتٌ في الأزرقات

أخذَ الوسيطُ كلَّ ما ادَّخرتُ:

(ثمنَ القراريط على الرِّيَّاح،

تعويضَ استشهاد أخي في الثغرة،

حصيلةَ التعليم بالقطعة).

ألقيتُ نظرةً على الكروكي

ثم غفوتُ على الرمل،

فمرَّ الشريطُ كلُّه أمامي.

* * *

عليَّ أن أُخرجَ شلالات جسمي بالروايات،
غيَّرتُ الكوالينَ وطاقمَ الكهرباء،
ولهذا عليَّ أن أعلّمَكَ ما يلي:
أ ـ احذفْ قطعةَ القلم الرصاص،
ب ـ بعضُ المكائد مفيدٌ للدورةِ الدموية،
ج ـ الترجمةُ الأدَقُّ:

«الحبُّ: ألا تعتذر».

* * *

سجَّلَ المهندسُ المقاساتِ فأشرقتْ الحكمةُ:
تاريخي لا ينفيه إلا تاريخي.
عليَّ النِّعمة باموت فيك،
ولمسةُ الشجن
التي عبرتْ وجهَكَ الجانبيَّ بين المكتبيْن:
مفتاحٌ.

* * *

أنتَ نمتَ عميقاً لأنكَ جاموسةٌ،
ونحن وسَّعنا الشبابيكَ بعرْضِ الواجهات،
ثم خصَّصنا مكاناً للمكيِّف.
قهرتَني بدعوةِ الشاي،
ولم تفهمْ أنني تأرَّقتُ من خاطرٍ مُفْجِع:
مسرَى أصابعكَ بين الأذنِ وعَظْمةِ الكتف.

* * *

هذه قائمةُ الطلبات التي يحتاجها الصنايعيةُ،
فلماذا تركتَني للمعةِ الشرِّ؟

كان النهارُ رائقاً،
فطابَ ليَ أن أعكِّرَه بجُرْمةٍ لا تليق بالنخبة،
ثم أنتَ الذي قلتَ:
ويح المكانِ الذي لا يُعَوَّلُ عليه.

* * *

مددتُ يديَّ في خَلْطة المُونة فرأيتُ السنوات،
بديعٌ أن تكون النَّفْسُ أمَّارةً.
أنتَ غاضبٌ ومحبَطٌ مثل جنديّ الإشارة،
كن بسيطاً:
أنا ساءني ألا أكون تاركةً،
فلماذا لم تجرجرْني إلى صدركَ بالعنف؟

* * *

يلذُّ للمرء أن يكونَ قاهراً،
فلا تنظرْ إليّ هكذا،
اللعنةُ على الاختبارات التي تُعَرّي الطلاءَ،
لكنهم أفسدوا عليَّ فِتْنَةَ التسلُّط،
(لا أدري لماذا تألَّمتُ
حينما سَنْفَرَ النقّاشُ الجَصَّ المبقَّعَ؟)
كثيرون لا بد أن يسامحوني.

* * *

أنا مرهَقَةٌ يا خالُ،

لأنني بالأمس

ساعدتُهم في إزالة الركام عن النواصي،

فلا تدعني للمعة الشَّرِّ كلما رأيتَ ارتجافَ فَكِّيَّ.

* * *

سأُحضِر سريرَ المرأة التي ضمَّها أبي، وصندوقَ شُوارها، والصينية، لنبدأ توّا لعبةَ الماضي: يضعُ كلُّ واحدٍ ماضيه على شكائر الجبس، ونُجري بعضَ التباديل من غير أن نفتحِ العينين (لا بأسَ إن سالَ بعضُ الدمع) ثم نَصُرُّ حصيلةَ التباديل في كيس مخلط، ونعلقه تحت العين السحرية، ونكتب على السُّقّاطة: مَرَّ هنا المصابون.

* * *

لن أعِدَ بشيءٍ:
ليس في مُكنتي أن أمرَّ بشفتي السُّفلى الغليظة
على سبعةٍ وعشرين موضعاً للفأل،
لن أعدَ بشيءٍ:
لأنني لا أستطيع أن أتلو: «الشقيقةُ التي أراها»
بينما الخِتّمان في فمي،
لن أعد بشيءٍ:
كيفَ أقدر على استخراج الرأفةِ كلها
من عفاريتِ التوجُّس؟

* * *

من الجنوب: أبو الهول،
من الشمال: قبّةُ الجامعة،
(حفرنا عليها في التمرُّد:
كل التفاني للوطن)

من الغرب: الزَّرع الذي عالجتْه الكرَّاكات،

من الشرق: الأندلس.

أظن هذه الخريطةَ كافية

لكي تصيرَ «العجوز الذي كان يقرأ

الرواياتِ الغرامية».

* * *

لا تستخدمي الرُّخامَ

فليس عندنا فائضٌ في التنفُّس،

فيَّ من سبولڤيدا:

الرُّقعةُ الغُفْلُ في الآدميّينَ،

وفيك من بهيمته: القفزةُ،

«لم يكن يرى الأنثى،

كان يتكهّن بوجودها فوقه».

سبولڤيد: صاحب العجوز الذي كان،
فلا تستخدمي الرخامَ بعد دهْن الجِسم بشحم الطيور
حتى لا يقعَ التسامحُ من يدينا.

* * *

هنا: لعبةُ البيانو بديلاً للبيانو،
هنا: لوحةُ الفَسقيّة بديلاً للفسقية،
هنا: ألفُ ليلة وليلة،
إذا لم نقضِ الفجرَ مشبوكَيْن،
هنا: كاريكاتيرُ المدفأة.

هكذا يا ربيبَ العائلة:
يلزمنا قليلٌ من الخيال لنفرحَ،
وقليلٌ من الفرح لنتخيَّلَ:
السَّمكُ الصاحي لنا،
وأطرافُنا حرَّةٌ.

* * *

سنضع الرحمةَ بيننا في دائرةٍ،

ثم ندور حولها بيدَين معقودتَين،

وإذا جاءنا صوتُ انهيارِ سقوفٍ مجاورةٍ،

سنسرِّع إيقاع الدوران،

مع ابتسامات متتالياتٍ،

ونحن نصيح في توقيتٍ واحدٍ:

فضحَنا صُنْعُ الله.

* * *

حطَّت الظلالُ على مرآة الطُّرْقة،

وكَتَبْتُ على مربعّاتٍ من المقوّى مَسحوبةٌ،

منحتُه السرَّ الذي وعدتُكَ به حين تبدأ الساعات،

ألم أقُلْ:

كثيرونَ لا بدّ أن يسامحوني؟

لكن يدي حفرتْ على الأسمنت الطريّ:

«ليتَ للبَرّاقِ عيناً».

أنتَ أيضاً حفرتَها ذاتَ ظلالٍ
على ذات مرآةٍ
بذات طُرْقةٍ.

* * *

ربما يكون في استطاعتنا أن نستدَّ العفوَ في مركبٍ ورقيٍّ ونؤرجحهَ برفقٍ على الماء الذي يترجرجُ بيننا فوق المائدة أو يملأ أفواهَنا فلا يجعلها قادرةً على الصُّراخ.

* * *

نخرج من هَدْم
نُسَمِّرُ الشهوةَ تحت أبصارِنا،
ونحرُسُها
من جسدَيْن.

* * *

كنتُ أريد أن أبكي،

وأن أحرِّر المرارات من أسْرِهَا،

لكنني خجلتُ أن أبدو عميقاً

في أمورٍ ينبغي أن تكونَ عند الحداثيِّين: Easy

يا بنتَ أمي:

لم تخلعي البلاطَ القديم.

* * *

ما تزال مخدوشةً:

الهَوسُ في توتّرِ الصوت،

غيمةُ العينين،

سكتةُ المخيِّلة.

هديتُنا لذوي الحاجات:

قِشرةُ البركان.

سبتمبر ١٩٩٤

ليلةَ يضربونَ السَّقفَ من مَسَرَّةٍ

جحظتْ عيناه من التحديق في المجسَّمات، مَرَّ عُمران

ولم تظهر الفلوكةُ، فوق نفسه تكوَّم الساحرُ الذي

خابت ألاعيبُه في آخر العرض، كلُّ هذه الرءوس

التي تمضي أمامه ليس فيها الرأسُ الدقيقُ الذي يتلفّتُ

باستفهام وهو يحمل الجسدَ الدقيقَ كطُعْم، هناك

سنواتٌ ثقيلةٌ في الخزانة، ولهذا جحظتْ عيناه من

التحديق، لكن يدًا هائلةً غيَّرتْ رقعَ شطرنج الدنيا

فنزلتْ الشخصيةُ التي لا تفنى، قبل دهور قالت امرأة

تمقت الكواملَ للساحر الذي خابت ألاعيبُه في آخر

العرض: لا بد للكوارث من مُمهِّدين.

البياضُ أسفلَ الكتفين صورةٌ شمسيةٌ للخالة التي شوَّه

الهجّانةُ سُمعتَها لأنها أراحت الرأس على الكفّ،

عينان مرسومتان على كرَّاسة التعبير تسترقان نظرةً إلى

رجلٍ تحت ماء الثقوب، أيتها الأصابعُ التي أزالت الغبارَ
عن ذقني تزحزحي قليلاً حتى أشاهدَ المَعْبَرَ:
كأن القواربَ المدفوسةَ في الرمل صارت لها مجاديفُ،
كأن النوافير المفسودةَ من زمان الهزائم جَرَتْ سُيُورُها
بالرذاذ الذي يخمشُ المارَّةَ على الريق منسوياً إلى
سخاء الديكِ، كثيرون لا بد أن يحملوا أكفانَهم في
اتجَاه صَفْحي، فهل يتوقف القلبُ من هول ما يباشِر
من مقاصَّةٍ:
ياه
هذا مماتٌ، وهذه حياه
ياه
إيَاكَ إيّاي، إيّاه

يضْربونَ السقفَ من مَسَرَّةٍ، لكنني في المسَرَّات لا أجد
سقوفاً، هل أنا التي تفتح عينيها على اتساعهما لترى
يقظةَ العظام التي أسماها الهجّانةُ الراحلون رميماً حين

لم يصادفوا شفراتها المغلَقةَ؟ كان على امرأةٍ أن تنتظر
مجموعةً من الخريفات حتى يهطل في فمها عَرَقٌ
مالحٌ من سماءٍ لها فَتْحَتا أنف تنفثان زفيرًا ينكش رمادَ
الترقوة بمسمارين من تَوَدُّدٍ، لم أشترِ الطماطم والخيار
من زمانٍ، العَرَقُ المالحُ يهطل الآن في العينين مخلوطاً
في كُحلة البَرّ، سلام جميلٌ وطمَانٌ جميلٌ لكنني أريد
أن أجرحهما بالأظافر من سبَّابتَيْن ناشزتَيْن في قدميَّ،
ضُمَّ واحللْ عُقدةً من حفرة الروح حينما تضلُّ عن
سماتِها، فتنكرِ الرزقَ الذي تحت جِلدي.

ياه،
أنتَ ذكَّرتَني بالضابط الذي أعطيتُه القطْفةَ، راحت
الأمواجُ من يديَّ وخَطَّت الشاحناتُ أحمالَها: قُبْلةٌ
باطنِ الكفِّ شُبَّاكُ الخطيئة، فكيف كان في قدرتي

تأَجيلُ الإثمِ أبعدَ من أيلولَ؟ عقلي خليطُ مرئيات تسير
فيها المحاةُ بالطول، لا تكتبْ على بطني سطورًا حتى
لا يصيرَ عالمُ الشهادةِ عالمَ الغيب:
هكذا انحنى الصيادُ، فلملمَ الساحرُ الذي خابت
ألاعيبُه حاجياتِه من الصناديق تاركا الجسدَ الدقيقَ
كطُعْمٍ يقلو بيضَ الصباح الذي لم يقلْه منذ غادر
أهلهٍ، ويستملحُ أن عابرًا كشف الأرقام السرّية لمفرداته
(بما فيها الفقرةُ المعطوبةُ من سلسلة الظّهر)، ثم يردّد
للبحر الذي على مرمى فضيحةٍ: ياه، هنا تيهٌ وتائهٌ
وتيَّاه، لأنه الجسدُ الذي من غيرِ أن يكتفي يصرخ في
خدعةٍ: Please enough

سبتمبر ١٩٩٤

ليلةٌ ينبغي أن ننسى كِبارَ الحوادث

في الوهم تستيقظ امرأةٌ على تحيةٍ من غير فئة
التحيّات، فتستقوي بساعدٍ يشكّل فرجارًا حول رأسها
الذي كانت أسلمتْه للدوران، وقالت لنفسها: كيف
أوهمتُ جيراني أن لي قبحاً يخصُّني في حِصّة
الصبح؟
في الوهم يذهب كاتبُ السيرة إلى الفكاهي بوسامةٍ،
ويعود بالمانجو بينما بحّاثةُ السرقات الأدبية تقلّب في
رخاء نَفَسٍ أجزاءَ الدجاجة على زيت قليلٍ، وهو يقبِّل
الكفّلين من خلافٍ، ويجثو بجوار البصل المبشور،
حطّ نادلُ المقهى نارجيلةً بين فردين فزحفتْ شمسُ
البحر تحت المقاعد كي تحتكّ بظاهر الأقدام، في الوهم
لم تقل المرأةُ التي يعذّبها غيابُ عقلها ساعةَ غيابِ
عقلها «لا تكن مهيمناً هكذا» لأنها لا تحبُّ التواشيحَ
ولا نبرةَ الرجال إذا أفهموا النساءَ أن أناملَ أقدامهن لها

بهجةُ أبريلَ على سبيل الإصاتة، لهذا كان لا بد في
الوهم أن تُقنعَ جارةً نفسَها «أنا الجميلةُ الأحقُّ»، وفي
ذات الظهيرة التي كان فيها الأشقاءُ يتنازعون على
إرث العَقَار كانت الواحدةُ التي سَرَّها أن يُجري أبوها
حواراً مع النجَّار من أجلها: تشكو لولد مُصَّغٍ معظمَ
الذين خانوها (كان بعضهم جميلًا مثل أخيها
وبعضهم دميمًا مثل الولد الذي يُصغي)، في الوهم
رأت نفسها جريئةً في العصر ومسحوقةً في العشيَّة،
وكَما تشمُّ الكلابُ الزلازلَ أبصرتْ أختٌ خطرَ التحية
التي تعاكسُ التحيات فحضَّرتْ نفسها للجَمْلتين
اللتين ستتركهما على أزرقات جلباب الشقيق في آخر
هذا الارتطام:
الأولى: إما أن نفترقَ الآن أو لا نفترقُ للأبد.
الثانية: «صوتي بُحَّ، مع أنني أكتب لا أصرخ».
في الوهم يلعق الرجلُ الحَسَنَةَ، وهي عائدةٌ إلى الدقائق
التي فيها تحسَّسَ المكفوفُ وجهَها كنحاتٍ حزينٍ،

أصاخَ: كن عاجزاً كي أبلغَ المأربَ، هذه الغنائمُ
الموجعةُ ليست من تقاليدي فهل في الحيِّ غدرٌ مبيَّتٌ
في الزوايا؟ في الوهم دسَّتْ نفسَها في الموج وهي
تستدعي سلاسلَ المؤامرات التي دبَّرتْها والتي دُبِّرتْ
لها، وفوق الرمل عينان تخفرانها من تقلُّب الأمعاء،
وفي الوهم يصبُّنُها المغامرُ الذي اشتهاها حين كانت
المصائرُ مضروبةً بالمصائر، وفي الوهم أحبَّت أباها
وساقيها في مساءٍ واحدٍ فراحت تنتقي من صنوف
التصاوير بنتَه التي لها خدَّان طافران بالدم الذي رأتْه
في المنام وعينان مكحولتان بكُحل هذه التي توسَّلتْ
لكاتب السِّيرةِ أن تُغلقَ مقلَيتها حتى تمسكَ الزئير
الذي يعبر الشرفةَ عارياً إلا من شعائر دهنِ الثدي
بالمانجو والتقاطه باللسان. استطاع المهيَّأُ للزوال أن
يقصَّ للمهيأةَ للزوال أنه بها صنع السُّلال التي تمنى
هبوطَها إلى الأرض، واستطاع أن يَعْدِلَ نُطقَه وهو
يصونها بقوله: معاً سنغادرِ الذلَّ، في الوهم خاصمها

من أجل الكلبِ الأبلقِ الذي على الجسر، وخاصمتْه
من أجل التروتسك، لكنّه شالها على الساعديْن
للحَمَّام حينما حدَّثتْه عن علاقة الموس بالمِعْصَم،
فسألتْه: هل هذا الخيرُ؟ ينبغي أن ننسى كِبارَ الحوادث،
ينبغيِ ألا تستيقظ امرأةٌ على تحيات الطبيعَة، ينبغي ألا
تطير ماكرةٌ في حضنِ ماكر إلا برمز الهدم، في الوهم
صوتٌ: من سمعَ الغناءَ على حقيقته مات، في الوهم
صوت: Je taime ، في الوهم صوتٌ: هاتِ الملاعق
والصحونَ لأن فكرةَ القتل باهرةٌ:

وِيلَنا من قلّة التدبُّر،
وِيلَنا من دَهْنَة الظُّهر بماءِ الظُّهر،
وِيلَنا من الرحمِة التي في الدائرة.

الأرنبُ الذي يقلِّدُ مشيةَ الغلام خارجٌ من الزَّبَد الذي
يلحق بنفسه مبلولٌ كوهمٍ تخطّاني وهو يخبُّ في

سروال التمارين. كان يغبُّ صدرَهُ مثل فعلِ غاسلي
الأَدران أو مُطَهِّري الجروح من ديدانها، هنا يكتشف
الخَلقُ أن لكلّ إصبعٍ من أصابعهم تيمةً، وهو ارتجاها
منذ سارت بالنحاس المكتوم على كريم الدولة،
يكتشف الخلقُ أن البصائرَ في أنفين متقاطعَيْن باتجاه
الذَّبحة، يكتشف المقامرون أن للعظام وجهةً غير
الزراية والخوف، في الوهم ليتني أقَابل الأحبّاءَ الغابرين
لأعرف كم متاهةً في الدم، يكبر الوهمُ حين يكبر
الوهم، كنت أخشى ذلك الباب يا حبيبي، هنا الناسُ
يعرفون أن للآباط زكاةً تعادل عُشْرَ مستمسكات
كاتب السيرة، كنتُ أخشى ذلك الباب يا حبيبي، هنا
المؤهَّلان للزَّوال يعرفان أن ما مَرَّ مُرٌّ وأن المكنَ
الوحيدَ هو رأفةُ الجيل بالجيل، كنتُ أخشى ذلك الباب
يا حبيبي، هنا تعرف العزلاءُ أن خلاصَها في رُعبها من
أن تقول بعد دهور للأعزل: لا تدعني لعنكبوت
الحوائط، هنا تعرف المرأةُ الدقيقةُ كطُعْمٍ أنها عضَّتْ

على الشّصّ بالحوض وصابونة الرُّكبة. كنتُ أخشى
ذلك الباب يا حبيبي، هنا تعرفُ الخبيثةُ التي اعتدّتْ
بفطنتِها بعدَ كل حطامٍ عاينته أن لكعبها مهمةً في
مصر.

لهذا صَحَتْ من تيهها مبكراً،
وركّبتْ قناعَ القنفذ الذي تداريه في وهم الحقيبة،
وقرّرتْ أن تختمَ الوهمَ بالجُملتين اللتين ألمحَ إليهما
الكاتبُ العموميُّ ساعةَ التقبيل من خلاف: «إما أن
نفترق» و«صوتي بُحَّ»، لكنها غَيَّرَتْ فجأةً مسارَ
الناس في الوهم: إذ رآها الشبيبةُ ساجدةً على بياضٍ
وهميٍّ، بينما مِخلاةُ الله عامرةٌ بجبن الصباح وخبز
جيلين يأكلانِ من سلوى، وهي في وهمها تُنهي إلى
النَّظارة:
لم أُصَلِّ منذ السادسة عشرة.

أكتوبر ١٩٩٤

ليلةً ليسَ كلباً واحداً

«ثُلثُكَ الأعلى: لفارس،

وثُلثُكَ الأسفلُ: تمثالُ داود،

وثُلثُكَ الأوسطُ المكروشُ: إخناتون».

هكذا تحدَّثتْ رهينةٌ وهي تعيِّن حدودَ جسم الرهين بمسطرةٍ، فكان لا بد أن يرفرفَ العمرُ الجميلُ الحنونُ على المظاليم، طالَ السكونُ فاحتاجت المترجماتُ الخاطراتُ على الرمل مثلَ عرضٍ عسكريٍّ أن يدارين خجلةَ الإقرار بأن الظلامَ يمكن أن يكون في بعض حالاته عوناً على الظلام، واسترنَ خلفَ السؤال: يا تُرى ماذا تحمل السفائنُ؟، كان الرهينُ يهجس أن الرهينةَ غيرُ معتادة على سلامة النية بين طابور المحابيس، فبسطَ كفَّها على جير المكان الذي جاءه

صبيا (حينما كان قادةُ الأفرع يعدُّون قادةً)، حذَّرتْه
من أن يستعيرَ شعورَها بالامتنان لأن جسمَه موجودٌ في
الدنيا، فاقترح عليها أن يميتا اللغات من أجل أن
تتكلم الرقابُ حتى يرفرفَ العمرُ الجَميلُ الحنونُ على
أكتاف المصابينَ بالطِّيرةِ من ليونةِ الأيام:
أنا ببسمةٍ غير مغشوشةٍ أولى
جسمُكَ الذي خَطَّ
وجسمي الذي أملى.

يرفرف العمرُ الجميلُ الحنونُ يعني: لم يخطئ السائقُ
الذي دسَّ الألوفَ في صديريّه تعويضًا عن فتاه نرسيسَ الذي
أطاحت بصدره وزارةُ الدفاعِ بعد أن ترك
للأصحاب رقعتَه: «أصدقاءٌ خطفتْهم عرباتُ النسيان
وتفاحةٌ شائكةٌ»، يا ربُّ هذا الأحمرُ الذي على أبيضها
يجعلها مثلَ عروسة الحلاوة، ولهذا تصعد الفكرةُ

البسيطةُ إلى المُخّ: يرفرف العمرُ الجميلُ الحنونُ بما
يلبي طلبيْن:
انقل الأمَّ من مكان الأسى، وانقلني من مكان الأخت،
حينئذ ستراها في المنام مفصولةً عن زاهية وسترى
الأمهات في غير خانة: الناي، كذا مضى المساءُ
بالمحاربَيْن من سجال الخصائص إلى تبادل الزُّفات في
نقطة واحدة منيرة على تخوم الجَزّ، من هنا إيحاءً:
يرفرف العمرُ الجميلُ الحنون:

أعبدُكَ
هواءً أنقّيه من ملامحي وأُفسدُكَ
وخُطّتي:
أغيبُ في براءةٍ لأنني أشهدُكَ
أعبدُكَ
لا أنت الذي يجسّدُ الربَّ،
ولا ربَّ يجسّدُكَ.

صَدَّقَ الرهينُ أنَّ آنَ أنْ نفعلَ الشيءَ الذي يوجع
القلبَ، سنرقب الناس الذين من جِبِلَّتنا في عُشوشهم،
تحيتهم فيها سلام، طيِّبٌ: نَحن أيضًا تحيتنا فيها سلام،
لن يغضبَ أحدٌ إذا قالَ له أحدٌ: يا عدوٌّ سوف أُحْضر
والدي إلى غرفة التحميض فاشددْ عليه إذا رفرفَ
العمرُ الجميلُ الحنونُ كي يمضي إلى رسمِ القلب
ميسورًا فتصبح التعرُّجاتُ NORMAl برغم التشققات
في جدار العائلة، حيث تحيتهم فيها سلام، وحيث
الغريمُ للغريمِ أخٌ، والأخُ للأخ غريمٌ، ولن يجفلَ فردٌ إذا
قال له فردٌ: لو طفلٌ منكَ يا سليلَ الريف ربما على
أقماطه يرفرفُ العمرُ الجميلُ الحنونُ، ستظهر الكلابُ
في آخر الليالي فخذْ حذرَكَ الذي لم تأخذه في كل
محنةٍ، عسى الرهينةُ مستعدةٌ لأن تبوح للشقيقِ الذي
عيناه سوداوان بأن هناك سرًّا خفيفًا بين شخصين في
هذه التسعينات غير الخفيفة يحفظانه من قَرْضة
الجراد، كي يرفرفَ العمرُ الجَميلُ الحنونُ على التي

خنقتْ بطْها في حظيرته حتى تبعدَ عنه العرّمَةَ، وعلى
الذي باع الفؤادَ والنصَّ كي يشتري الكرَابيجَ على
الظَّهر، يراهما راءٍ يتمرَّغانِ في بودرة الكلام:

تحيتنا سلامْ
هنا نهشّم المتونَ،
كي نحتمي بالحطامْ
هنا التوحيدُ من كثرةٍ،
والنقصُ من تمامْ
يا بنتَ أمي: تحوَّلَ الغريمُ للغرامْ.

ستظهر الكلابُ في آخر الشوط يا رقيبي حينما يرفرف
العمرُ الجميلُ الحنونُ، فاتَ الفتى أن يومئَ في أول
الليالي إلى نباحٍ مكتوم كان الرهينان يسمعانه خارجَ
الجدران كلما قالت الصغيرةُ: أوف، وكلما تحدّثا عن
خبرةِ الإيلام قبل خبرة الإيلاف، هكذا بدون ديباجة

الكبرياء التي تقمَّصتْها في سالف الضياعِ طَالبتْه أن يكون أقلَّ بَرَقاً ليمكنها حضورُ المناقصات، ثم طالبتْه أن يصيرَ أخفَّ جوْراً لتستطيع التقاطَ البشر الذين يسّاقطون من لفتاته، على سبيل المثال: كان لا بد بعد «ثلثُكَ الأعلى» أن يُضافَ: هذا النباحُ الخفيضُ لا يكفُّ عن كسر الزفير، وكان لا بدَّ بعد «تفاحةٌ شائكةٌ» أن يُزاد: ليس كلبًا واحدًا صاحبُ ذلك الهتْك الذي يعلو على الهديّة التي تسلّمها ذوو الحاجات، وكان لا بد بعد «طفلٌ منك يا سليلَ الريف» أن يُقالَ: ما أطيبَ العيش يا زميلي لولا ذلك النباحُ الذي لا يجاري نباحَ الروح حينما أجابت الفتاةُ التي خدَشتْها في غيرِ موضعٍ: «نعم يا عمُّ» ثم راحت تُقَسّمُ جسمَ الرهينِ بمَسْطَرةِ الهوانم:

أعبدُك

فقط: لأنكَ الذي سأفقدُكَ.

تكاثرتِ الرِّهاناتُ أم تكاثرَ المبيِّضُون؟ هن يحجبن

الفألَ في السؤال: ماذا تحمل السفائنُ؟ يرفرف العمرُ

الجميلُ الحنونُ والرهينُ على ريبةٍ من أن صاحباتِ

العِصْمةِ لم يعتدن على الحنوّ منذ آبت الأم للبارئ

المصوِّر، فاختزنَّ قتلَ اللغات حتى تنهضَ الرغباتُ من

مدافنِ الصَّدقة، وحتى يرفرفَ العمرُ الجميلُ الحنونُ

بمعنيين:

أولهما أن تجأرَ مصحونةً تحت صاحنٍ:

ليست هذه هي الرأفةَ التي اتفقنا على أنها الوشيجةُ

بين جَرْحَى،

وثانيهما أن يدركَ الرهينان أن صيفَهما غيرُ مضطرٍ إلى

موسيقى الجنائز،

يا ربُّ: إننا نفعل الشيءَ الذي يوجع القلبَ بينما

الشاعراتُ سائراتٌ على الموج مثل عَرْضٍ عسكريٍّ

بلا ذخيرةٍ حيَّةٍ وأمَامَك المغبَّةُ:

كمن اتكفأ على أسنانه يكتب الفتيانُ سيرةَ الفتيان،

سبحانَ دهشةٌ لا تنقضي حتى إذا رفرفَ العمرُ الجميلُ

الحنونُ / ستوبْ:

تراءى خيالُ الكلابِ في آخر المشهد، وجاءت

الصرخةُ:

ليس هذا بفعلِ الحب،

بل بفعلِ الحقد.

نوفمبر ١٩٩٤

الكُوعُ ونِصفُ الفَم

على العكس:

سنذهب إلى قاعة العزف،

وسنرقبُ المغني الذي تجاوز السبعين،

يدبُكُ ويوزِّعُ الأعمارَ عليَّ وعليكَ وعلى أبي،

وإذا فرَّتْ دموعُنا وهو يقول:

دار يا دار يا دار،

لن يكون ذلك لأننا محزونون،

بل لأننا لم ندركْ مبكرًا

أن مرضى القلب لا يستحقون منا إنهاكَ الصّمامات،

ولأننا تأخرنا قليلاً على الافتتاح.

* * *

بما أنه المساءُ

الذي سيختلط فيه الأسى بحنجرةٍ،

وبما أنه المساءُ

الذي اشتريتِ فيه حذاءً أسودَ سادةً،

وحقيبةً تتسع لقصاصةٍ تقول: يا خسارة،

وبما أنه المساءُ

الذي قهقه فيه أبوكِ من أقصى قلبه المعتلِّ،

وهو يهجس أن التي نامت عميقاً كجاموسةٍ

هي فلذةُ الكبد،

وبما أنه المساءُ

الذي أكرمتِ فيه الميِّتينَ بدفنهم في حنانٍ لحَّادٍ،

لكل ذلك،

ولغيره مما لم تُهيَّأْ له البصيرةُ:

صوابٌ أن نثقَ بأن أيدينا كافيةٌ،

وأن الرذاذَ الذي حلَّ خفيفاً على منتظِرينَ في جرفٍ،

هو علامةُ خيرٍ - كما يقول فلكلور البَحاروة،

وأنه ليس ضرورياً في كل مرّةٍ

أن نخدشَ الأبيضَ بدُكنةٍ.

* * *

لا ترسم الوردةَ البلديةَ على ظاهر الكَفّ،
ولا تقرِّبها من أنف اليتيمةِ التي تطبخ المسَبَّكَ،
ولا تستعِدّ بشأنها: يا ورد مين يشتريك،
فحسب: خذْها من الفُخّارة،
واهرِكْها على ظَهر منشئة المَرّ
التي تصلي بكتفين مخموشَيْن،
ثم ادعكْ عصيرَها الجافَّ في كعبيها الواقفين بزاويةٍ
قائمة.
اصنعْ كلَّ هذا
في اللحظةِ التي تتناثر فيها نِدع من مطر الصُّلب
والتَّرائبِ
علىِ الكوعِ ونِصف الفم،
بعد أن تفوح رائحةُ الجريمة
في النَّفقِ الذي أُعدَّ للمَرَح.

* * *

كان احتياجُنا إلى أصلانَ في محلّه تماماً،
فذكرنا أن جبالَ الكُحل تفنيها المراودُ،
واتخذناها إطاراً لعرضٍ يؤلفه الممثلون:

في صالة الشُّغل تنهض امرأةٌ بعينها
(تصفُ نفسَها بأنها ذاتُ ملامحَ حادةٍ،
وتستخدم كلمة «مكان» في غير «مكان» كلمةِ
«مكان»)،
تمشي بربكةٍ إلى المرايا،
تضع كُحلةً في عينين كانتا تورَّمتا من لطمةِ المفتش.

كل ذلك تمَّ في تواطؤ،
لأنهم كانوا في احتياجٍ إلى أصلانَ،
ولأن المخرِجَ المنفِّذَ صاح فيها:
«حرِّكي الرِّمشَ لكي يعمَّ الخيرُ».

وحينما عادت إلى صالة الشُغل،

وجدتِ الرجلَ الذي كانت الصالةُ كابيةً عندما غاب

قد كسبَ الرِّهانَ الحرِجَ.

لماذا الرِّهانُ حرج؟:

لأننا لم نكن موقنينَ أن جبالَ الكحلِ تفنيها المرواد،

من ناحية،

ولأن امتحانَ السرور محفوفٌ بخطرٍ مختبئ،

من ناحية ثانية،

ولأن الناسَ مظلومونَ،

على كلِّ حال.

* * *

هذه هي الشَّعَرةُ التي وجدتُها بغتةً في صحاف

مخطوطةٍ بعنوان «لنحرقَ النفس». ربما يتذكَّرُ الطلابُ

استنامتَه على الكتفين حينما كان المحبُّ يصرِف
الشياطينَ من حنانه الداخليِّ بالزَّمَر. لكنني كشاهدِ
نفيٍّ أسجِّلُ:
ليس لتعرُّج هذه الشَّعْرِة صلةٌ بسيرِة الأفراد،
وليس لفحمها علاقةٌ بتهتكِ الأنسجِة الذي يعقب
الخسارات.
وتقليداً للحياد الذي يفضِّله حبيبي أُثبتُ:
ليس من أمرٍ جَلَل وراء هذا القوس. كل ما هناك أن
هذه الشَّعْرةَ كانت الأقربَ إلى عَصَبِ البَصَر.

* * *

على العكس:
المغنِّي الوحيدُ يعني: أننا معاً،
والله يرضي عليك: تعني انسجامَ الرجلِ
الذي عاشَ ثلاثين ليلةً في صحبةِ جهازِ ضخٍّ النبضِ

ثم تركَ لكَ المقعدَ الذي في جواري

لكي تكونَ شفتاكَ قريبتين من أذني.

اهدأْ من جهةِ الصبح

فهذا المغني الذي تركَ التفاتَتَه

تذكّرَ الخفافَ بالبلادِ التي جرحها المجدُ

كان يقصدنا بالصبر،

لأن صوتَه القديمَ كان يغني أننا:

مفتوحون على الصُّدفة.

* * *

لأول مرّة تفارقينَ الأحبابَ الصِّغارَ

من أَجل الاشتراكِ في الحَبْس،

ربما يطوفُ بك الضابط ذو الساق الصناعية،

وربما يطوف بكِ المنسِّقُ الذي اتهمكِ بالتجسُّس،

وربما يطوف بكِ البيتُ الذي استولى عليه المجدِّدون.

كذلك أنا: لأولِ مرةٍ أفارقُ سَلْخَ الذات
من أجل الاشتراك في الحبْس،
ربما يطوف بي قريبي الذي غزَّ المسَلَّةَ في ظهر الأتان
قبلَ أن يعطي لجنِّيَّةٍ جَلبابَه.

كيف سندفع عن فِراشِنا كلَّ هذا الرَّكبَ؟
أقترح أن نستغرق في تفاصيل الطفولة،
عن سرقة الفول وخشب الخفراء،
فإذا لم تُفلحْ هذه الوسيلةُ في دفْعِ الهجوم
أقترحُ أن ننهمكَ في تقشير أسود الباذنجان عن أبيضِه،
فإذا لم تقنعْنا هذه الحيلةُ بأن العدوانَ قد مَرَّ،
سنزيح العثمانليينَ إلى الركن
ويضع كلٌّ منا الطربوشَ الفكاهيَّ على رأسِ صاحبِه.

* * *

كانت هنا ـ على يسار هذا المقطع ـ ورقةٌ وحيدةٌ باقيةٌ
من الوردة البلدية التي هركها الرهينُ على كفلٍ رهينةٍ
تتشوَّشُ روحُها كلما ملأَ الفتارين ذهبُ أيلول
كان فُتاتُ التويج منثوراً على الصُّوف بالقربِ من
المطفأة وقشرِ الموز، لكن بقيّةَ الأوراق جفَّتْ واستحالَ
مثولُها طباعيًّا على حافة النَّص.
يمكنكَ تخيُّلُها على البياضِ: حُمرةٌ داكنةٌ من عائلةِ
دم الشهرِ، وأطفالاً متجمِّدين على الأطراف،
ويمكنكَ افتراض الوقائع التالية:
ذهبتْ من الطباعة، وبقيتْ في الطِّباع.
وهكذا يسهل أن تخمِّن المرأةَ التي تشبِّه نفسها
بالأسلاكِ العارية.

* * *

الموتُ على السُّمْرةِ الخفيفةِ بدعةٌ،
وهذه ساعةُ البدعة،
فأرجوكِ: لا تلمسي النواقيسَ طيلةَ الليل،
مهما اشتعلَ زيتٌ كافٍ.
وحتى إذا علَّمتِني أن العيونَ أحضانُ المعجزة ـ كما
يظن المسيحيون،
أو إذا زاولتِ تمارينَ الوحدة،
فهو مناسبٌ في الحالتين:
فقط يحتاج في الأولى قليلًا من الذكريات،
ويحتاج في الثانية قليلًا من التقمُّص.
وأرجوكِ:
تمِّميه بالمنديلِ الأسودِ الذي اختطفه أخوكِ من ضاربةِ
الودَع،
لأن الدوائرَ المُذَهَّبَةَ على الجبين،
ستضيف ملمسًا جنائزيًا نفتقده من جرّاء زلاقةِ اللسان،

ربما يذكِّرك بالأم التي رحلتْ في نفسِ ذلك الليل
الذي انعزلتِ فيه عن مزوِّري البطاقات.
كما أن الموقَ الشبيكةَ على جِلْدِكِ الحُرِّ
سيكون مصداقًا على تحيّات الطبيعة.
فإذا جاءت السَّكْتةُ الضروريَةُ،
يمكن أن نتأملَ في هدوء
نتائج اختلاط الموقِ بالسُّمرةِ والمذهَّب،
وليس صعبًا أن نخرج بخلاصةٍ
تدلُّ على أن غرامَ الأشقَّاءِ
جائزٌ.

* * *

دقِّقْ مليًّا في هذه الشَّعْراتِ الثلاثِ التي تتوسَّط هذه الكلمات. إن وجدتَ فيها رائحةً مثلَ لبن الأطفال وهو متجلِّدٌ في صدر الملابس، أو مزيجًا مركّبًا من النبضِ والقبضِ والشَّامةِ، أو إحالةً إلى نغبشةٍ طفيفةٍ خلفَ

قميصٍ من سرابِ التريكو، فتيقَّنْ أن امرأةً ممجَّدةً للهشاشةِ قد تناقصَ زغبُها المسَقيُّ بمقدارِ: ثلاثِ شَعْرات.

* * *

على العكس:

سنذهب إلى قاعةِ العَزْف،

وسنعرف كيف نميِّز بين الاختيار والدمع،

وسنمتلك خبرةَ تحويلِ الوحشةِ إلى دبدوب.

على العكس:

سنضع كحلاً كلَّ ٢٤ ساعة،

لأننا سنشترك في العزف،

وسنوزِّع على الضحايا حِصصَ العفو،

كما اتفقنا منذ مايو ١٩٩٤.

يناير ١٩٩٥

التأخُّرُ عن الراقصينَ خطوةً

أغلبُ الظن أننا استطعنا،

فقد أرجحناه في المركب الورقيِّ،

حتى أصبح الماءُ قرينةً على تهشُّم المقامةِ،

لكننا أمسينا قادريْن على الصراخ،

من قبل أن تُحِسَّ الجميلةُ التي تزدري الطقوسَ

أن نهاياتِ البحرِ الخفيف أزهى من بداياته،

وأن الضعفاءَ عادةً ما يُظْهِرونَ المخالبَ

كلما زادت المحبَّةُ عن طاقتهم على رفْعِ الأثقال.

سقوفٌ لم تسقطْ مثلما السَّكينةُ،

لأن السلامَ نائمٌ على طرْفِ الهدوم،

ونحن قادران على الصراخ الجماعيِّ،

منذ أن رجتْ واحدةً واحدًا

ألا يحاسبَها على موتها بغيرِ مشورةِ المحامينَ.

لم يرنا السابلةُ ونحن نسند العفوَ،
ففي مقدورنا، إذن، أن نعلّمَ النشءَ الجغرافيا على حقيقتها.

* * *

فتّحتُ نصفَ عيني كذئبٍ مُشبَعٍ،
حينما كانت تقبّلني في الخَدّ،
وهي عاريةٌ من تراثها،
قبل أن تصنعَ قهوةَ الصبح،
فاختلّت الموازينُ عندما سمعتُها
تكلّم نفسَها أمام ماءٍ في درجةِ الغليان:
يأكل كأبناء السبيل.

ولما أبلغتْ زميلَها في المساءِ ذاته،

بأنها صارت تشطب الأخطاءَ هَكذا:

كان مستحيلاً اتّباعُ النصيحة.

* * *

لم تؤدِّ الفعلَ بتدنُّف العاشقة. فقط أشارتْ إلى أن الروز لونٌ هادئ. كما لم تؤدِّه بتدلل المعشوقة. فقط حذّرتْ من أنه لا يصحُّ أن نحفظَ به المخاطَ. وعندما تفزَّعتْ بعد عام من أن تنتشَ الشُّعرةَ الزائدةَ في حاجبي الأيمن أيقنتُ أن كُرْهَ العاطفيّةِ تكنيكُ حربٍ. ألمحتْ إلى أنه كان لازمًا أن نكون على ترعةٍ واحدةٍ حتى نستطيع أن نعرِّجَ على المالح. وسرعانَ ما برّرتْ انزلاقَها بأن خيالَ المراهقينَ ليس قبيحًا في كل حين.

هو قريبٌ من بَشْرتها، هذا الذي تؤكد الأغنياتُ أنه
يذوب من كثرة الدموع، لأن ظَهرَها يؤلمها من ليلة
البارحة. سألتُه: لماذا لم تحكِ لي عن اكتشافِ أطرافكَ
في يديَّ؟ فظلتِ الرسومُ التي خطَّها معملَ الصّباغة
جزءًا من تمارينها:
لم أنظِّفْ به الخدوشَ التي خَلَّفَتْها الأظافرُ،
لم أضعْه في جيبِ سترتي،
لأن بطانَتها تؤلمها من ليلةِ البارحة،
ولأن شريحةً منه كافيةٌ
لتيسير عملِ المحقِّقين
في تطويرِ فرعِ الوثائق.

* * *

«سِكك حديد مصر
ثاني سكك حديد أُنشئتْ في العالم»،
هكذا قال المدرِّس،

فلا بد أنها ضمّتْ ساقيها

حتى تستطيع أن تتأملَ حقولَ الأرز

بدون ضغط الخيالات.

وحينما خانَتها الحلْمتان بصحوةٍ غير محسوبة،

تحسَّستْ شَعرَها الذي مشَّطتْه في عربةِ النوم،

حتى يتمكَّن المأسورُ من نعكشته بزفرةٍ عارضة.

أعادت المناديلَ إلى الكابينة،

لأن المياه الغازيةَ حَساسةٌ للشفاه،

ولم تعرْ ضريبةَ المبيعات التفاتًا،

ظناً بأنَ قطعَ المسافات الكبيرة نحو المهاجرين

هو مهمةُ المفكِّكِينَ وحدَهم،

أولئك الذين لم يسدّدوا الضريبةَ الأمّ.

سكك حديد مصر:

قفزةٌ هائلةٌ

إلى الجسد.

* * *

لم تخمّنْ أن نايَ الأعشاش سيهبط عليها

من حيث لا يتوقع أهلُ الثقة،

فقضَّلتْ عليه الأورجَ فيما بعد كدلالةٍ على الهُوَّة،

لكنها مع نهْب الأرض لاحظت أن المسافرين

لقطوها تداري عيونها عن المُحصِّل،

حتى لا تخونها آلامُ الملحنين الذين لوّثوا عرائسَ

القطن

قبل أنْ يسرقوا المغزَل.

مطابعُ السكة الحديد دارت

لكي تحطَّ تذكرةَ داود في حقيبة المطرودة

طالما أن اليودَ الذي أيقظَ الغرائزَ

سيتم توظيفُه لإقناع الآباء بأنَّهم ذهبوا إلى البلاج،

وأن امرأةً قالت: «أنا أَغْنى من البحر»

من غير أن تكون واثقةً

من قُدرةِ الوِرْكيْن على إثباتِ المزاعمِ.

لم يراقبْها قناوي
لأن أحداً لم يُشِر إلى الندوب،
ولأنها في الصباح ستصنع الإفطارَ بنفسها،
وتكنس الشرفةَ
وهي تدري أن هذه هي اللمحةُ التي أنتجتْ
تقبيلَ الكفّلينِ من خِلافٍ،
بينما عُمَّالُ التحويلةِ يفهمون ما يجري من توتُّر
القُضبان.

لا طُرودَ عندكم،
فقط: عندكم رهينةً تسعى إلى رهينٍ،
مشبوكةً في كَرَمِ المازوت.

* * *

اغفرِ الكذْبةَ التي تغلّبتْ على نظافةِ الأذنين،
فالمرأةُ المتنكرةُ في زيِّ الكشافة،
هي عينُها الفتاةُ المتحرِّكةُ التي سرَّبتْ إليكَ رقعةً تقول:
«أنا من الذين لم يروا سوى الخرائب»،
قبل أن توجِّهَ نظرَي إلى الغَبشِ الذي فضَّضَ حاشيةَ
السرير.

هكذا يا أمجدُ الغُفّلُ
تصاحبني عيونُكَ في كل ضائقةٍ:
تحت حصار نجمةِ الغفران،
وعلى غُربة الجريرة التي حرَّضتْكَ أن تكون معزولاً.
يا أمجدُ:
هل تتقبَّلُ أن هذه الفتاةَ التي تيَّمها التَّشظّي
مشَتْ بثمرتِها على هيكلِ شخصٍ،
فأحيتْه بعد موته وهي تصيح:
يلزمنا وداعٌ لكي ألاحظَ المرئياتِ وحدي؟

ما يهمُّكَ في المناورات
أنه ليس في الأمر مرمَّمٌ في طريقِ الكِباش،
وليس في الأمر مرسالٌ،
أنا الذي كابرتُ.
سامِحْ.

* * *

بعد دورةِ الدولاب،
أوقفَ طلعت حرب الصَّرَّافينَ المستجِّدينَ أمامه،
وأخبرهم أن للعملات الورقيّةِ مهمةً وحيدةً،
هي أن تَكون نوتةً
تسجِّل عليها أنثى المحاسباتِ أوامرَ القتل.
جنيهٌ واحدٌ يتقافز على أسلاك البَرْق،
مثل عصفور ينتظر لحظةَ احتراقٍ متفق عليه،
ويجهل أن هوائيات الهواتف مشحونةٌ بالماضي
المركب.

جنيه واحد خلفه البنكُ المركزيُّ

ينهض من ديونه في السوق بأربعةِ حروفٍ

خَطَّتْها فتاةٌ إجرائيّةٌ لرجلٍ آنتي إجراءات،

قبل أن تمضي لمشاهدة صلاة الفطر - على بعد

مناسبٍ -

بوصفها نموذجًا لشرحِ فولكلور الحضارات.

يفرح الأطفالُ بالمعايداتِ قبل الضُّحى،

بينما المحافظ يخبّئُ السرقات في مئذنة الحسين،

بعيدًا عن توقّعِ الدراويش.

زجاجٌ معشّقٌ يحيط بالنداءِ المضمَرِ في التحية،

سؤالٌ: حروفٌ أربعة،

جوابٌ: نقاطٌ أربعٌ،

وهكذا أنهى المؤسِّسُ تعاليمَ العلاقة بالصُّكوك:

أخي طلعت حرب،

أيها المواطنُ الغراميُّ:

«إزيّك».

* * *

لستُ خَصْمًا يا صديقي،
والزهرةُ التي تجري بشأنها مجالسُ الشورى،
كانت قد حوّلتْ رأسَها للشمس
بفعلِ المظلاتِ الرسمية.
لم أكن في جانب الجُرْسة التي لا تليق بالنخبة،
وانفعلتُ على أن تكونَ فأرَ تجاربَ،
فكيف تُجري يداكَ الجِراحةَ الدقيقةَ،
بأمانة الذين أدّوا اليمين في المدرَّج،
إذا كُنتَ قد أشعتَ أنني سَفّاحُ الأمسية؟

أنتَ موقِنٌ أن شيئاً لم يُسرَقْ
لأن شيئاً لم يكن في الخزائن،
لكنكَ من غير أن تخالطَني
أبلغتَ أنني الذي سطا على الوديعة،
مع أننا محتاجون إلى إزالة المسالخِ عن الطريق،

لكي ندركَ أن الزهرة التي تهيم بمفردها
على جدرانٍ غيَّرتْ مواقعَها في الظلام،
تحتاج رفع كرسيِّ الكهرباء عن جِلْستها.
ولا بدَّ أنّك تعلّمت في حِصّة التشريح،
أن الغريباتِ يلجأن إلى الفرار من قُرحةِ المعدة،
إذا طالت الموعظةُ،
فأكملْ تحضيرَ غرفة العمليات
بصَفاء نفسٍ يليق بأصحابِ الرسالة.

أما الزهرةُ التي تركتَها تمثِّلُ العائلةَ
في الشرفة التي تطلُّ على الجيران،
فقد كانت تصدُّ عن نفسها الطقسَ،
وتتأخر عن الراقصينَ خطوةً،
لأن خيالَها كان يغطس في رعب الأحاديث
عن قذارةِ «إضاءة ٧٧».

لستُ خصمًا يا صديقي،
وأمامَكَ الغنيمةُ كلُّها،
الغنيمةُ التي لا تُركَّبُ في الصيدليّات.

* * *

لم تُذنبي في حقِّ أحدٍ،
فقد حكى بسخريةٍ عن تهتُّكِ المجرى،
ثم تركَكِ تشرحينَ للأصِحّاء
أنكِ لم تقصدي تحطيمَ المضخّةِ.
ولا جَعْلَ الغرامِ قسطرةً.

هذا الثقبُ في الرُّسغ
ستمرق منه الكائناتُ الحزينةُ إلى خارج الدنيا،
بما يثبتُ أنكِ لم تذنبي في حقِّ أحدٍ،
وينفي أن ارتباكًا قد طاف بالأولاد بعد التحاقه
بالديسك،

لأنه استمر قادرًا على أن يراكِ في نور ذاته،
فاستجلى بين ساقيكِ إلهًا متوسطًا
يدلُّه على النسيج الذي يلائم الكريّات،
ويشدُّه من فكيّه إلى أعلى
حتى يلاقي على باب العيادةِ
جماعاتٍ تجريبيةً تطيِّرُ الحقائقَ في مناطيدَ.

هكذا ارتضى بالمحبّةِ المتفرقة،
ونام نومَه الخالي من مباغتاتِ القيء.

لم يكن كلُّ هذا السلام كافياً،
فقد ظلَّتْ أختُه مستمرةً في نهْش نفسها،
لأنها لم تضمَّه كما يجدر بفتيانٍ يقطِّبونَ
كلما استشعروا قُربَ انكشافِ الضعف.

لهذا: لم أضطربْ حينما تعلَّقَ خيطُ دم في لُعابه،
لأنني على درايةٍ بأنه يستطيع أن يعيشَ

بعينيه اللتين تتكسران أمام الموجودات،
وأنه يستطيع أن يصعدَ إلى الأسطح من خلال دقّةِ
الحزن،
يُلقي لمحةً شموليّةً على مصنّفات الحياة،
ويهبط بعدَها إلى الطّربِ الذي فتّتَ مناعتَه.

لستَ ديناصوراً يا أسٌ،
أيها الجهمُ المزيَّفُ الذي سيحيا لسببين:
أولا: لأنه لا رقعةَ مجهّزةً
لكي يسقطَ الإنسانُ عليها،
ثانيا: لأن حبيبي الذي لم يذنبْ في حقِّ أحدٍ
سيمشي عليه باليدين.
اليدان اللتان
أعرف طاقتَهما
على البَعث.

* * *

المخالفُ لريبةِ العواجيز،
كان مسرورًا كأمّهاتِ القُرى،
حينما شاهدنا امرأةَ العزيز
تراودُ الوجهَ الجميلَ عن نفسِه،
فهمس بخُبثِ الذين دهسوا التجاربَ:
أنتِ طافرةٌ بالبشرِ.

الغضونُ القليلةُ لم تجعلْه موتورًا،
والإشاعاتُ التي أحاطتْه لم تذهبْ بباقي أسنانه،
فظل يسوق تحريضَه الضمنيَّ
على أن تكوني معي،
وإن غلّفَ التحريضَ باستعادةِ مسرحِ المحاريقِ،
مع أنه يعرف أنني لستُ شمّاسًا في كنائس حدتو،
وأنني مجروحٌ بحَرْفِ الحتمية عن سريرِها.
وعندما أخذَ خطوتين للأمام
توثّقنا من أن سنينَ تذويبِ الفوارق،

قد علمته العطفَ على الذين شوّهتهم الأحلامُ،
بجانبِ عطفه الكلاسيكيِّ على خمسينَ بالمائة في
البرلمان.

وعلى رغم أنكِ لم تثبِّتيه على البياضِ
«كمكانٍ» للشِّعر،
لأنكِ مفتونةٌ بتخريبِ الأنساق،
فقد واصل شُغْلَه في حراسةِ الروح
من غير اعتناءٍ بالتبادلِ التجاريِّ.

أيتها الخفيفةُ،
أحبِّي هذا الكهلَ درجةً مضافةً،
لأن الشيوعيِّين يستحقون التعويضَ،
ولأن كيَّه ملابسَكِ النظيفةَ ليلةَ الحفل،
نفيٌ لعنكبوتِ الحوائط.

وإذا قلت له: «نعمْ يا عمُّ»
لن أكونَ مُتَبَرِّماً.

* * *

لماذا نسيتَ أمَّكَ يا غلامُ في كلِّ ما فات
حتى لو كنتَ قد نقلتَها من خانةِ النايِ؟

فبراير ١٩٩٥

باب مُرَّاكش

الطَّيران

تصعد الحزيناتُ،

كي يلاحظنَ الفتى الذي سيحمله بعد ساعاتٍ حديدُ

الجَوِّ،

لطيفٌ أن تروحَ للمدينة التي شبَّ فيها حبيبي القديم.

أريد شالاً أنثويا ذا لونٍ عاطفيّ،

يمكّنني من تعدادِ المحار.

فلما بيّنتُ لها أننا جديرون بالسلوى،

نبَّهتني إلى أن الناس تخشى حاجةَ الأنف للأنف.

كان عليَّ أن أُحيّي الرجلَ الوحيد الذي فَتَّتَها من

الرغبةِ،

وهو يشبه أباها،

لكنها قاطعتْني:

يداي خلف ظهرِكَ تدفعانك،

وجسدي تميمةٌ.

وفي آخر الليلِ قالت الأسلاكُ: باي باي.

ساعتَها أشفق البقّالونَ عليها،

وهدهدوها بفهم،

ودعوا الله لها أنْ تنام.

ساحة الفِنا

بلغ الحواةُ الثعابينَ،

بعد أن دقّتْ دفوفٌ عريضةٌ،

وعلى الأرائكِ كانت حلوياتُ البهائم مرصوصةً.

تفرّستُ في الخَلْق علّني أجدُ الفتى،

بكمْ هذا الكابُ يا عمُّ؟

الأرضُ حمراءُ والفاطميون في كل رقعة،

ربما تلقّى العِلمَ في هذه المحابس المخصَّصةِ للنابغين،

فكيف يمكن أن تمشي شفتانِ على هذه المربّعات؟

أخذتُها في قاعة التجليد التي تشبه بيتَ السحيمي:

هنا الرواسبُ،

والعسْكرُ المحترفون،

لحمةُ الرأس،

وأصحابُ القرود،

والنارُ المسَجَّرةُ،

والرءوسُ التي هوَتْ.

تخلَّطتْ شرائطُ اللّحونِ

بصوتِ التي دعتْني إلى تَعلُّم البلياردو،

وتصاعدتْ أبخِرَةٌ على المرايا،

حينما فكَّرتُ أنني سأقول للتي لم تعرفْ مقاصدَها:

هواكِ صعبٌ.

وحينما صاحَ الأدلاَّءُ:

هنا العقل بيتُ الحِسِّ،

هنا حزنٌ بالزَّاف.

القَمَّاشون

سأَلفُّ السُّوقَ مرةً خامسةً، فكلُّ الشَّالات التي صادفتُها
لم تهزَّ قلبي. هذا الكُحْليُّ بديعٌ، لكنَّ الأخضرَ في
الأصفر هو ذوقُ حبيبي. سأنزل وحدي في المساء
متسَلِّلاً من عبد المنعم. هذا الكحليُّ جليلٌ، لكن
الأخضرَ في الأصفر مضاهٍ لتيارِ ما بعد الحداثة.
ستهمِس بعد أن ترتاحَ للخيوط والنقْشة: لا بدَّ أن
نفترق حتى لا أعاينَ الفقْدَ على كتفيَّ. ثم إنها سوف
تراني بعضَ أبيها الذي شوى لها السلطانَ إبراهيمَ قبل
أن ينساه عند كُشْك الكهرباء. لم أكن تدرَّبتُ بعدُ
على أن تعبيرَها الرمزيَّ عن بهجتها هو الأورانج. ولذا
لا بد أن سيمرُّ عليها العرَّابون في الليل. ولا بد أن أَلفَّ
السوقَ مرةً خامسةً حتى أنظرَ إلى الشال بعين حبيبي،
وأُصغي إلى مُقلِّد الأندلسيّات وهو يصرخ وحده:
لماذا يذهبُ المحبُّونَ؟

جامع الحَسَن

أُرَجّحُ أن هذه المئذنةَ المضروبةَ كرُمح،
هي التي ذكّرتني بهدهداتِ الأم في آخر الشتاء:
«يا ست يا ستنا
ياللي قصرِك أعلى من قصرنا
هاتي حتة عنيبة
للوحيمة اللي عندنا»
فرأى المتشَنِّجونَ أن جماجمَ الأقاربِ ترقد تحت
الموزايكو،
ورأى علماءُ الطبيعة
أن نحْرَ البحر سيغلبُ رقّةَ العمارة،
ورأى الناجون أن يدَ الله ملَّستْ على المحاريب،
ومرَّتْ على الأرابيسكِ بالنجوى،

أما أنا فقد صعَّدتُ عينيَّ

إلى الهلالِ الذي يرفرف فوق العمودِ المقدَّس،

حيث بِنتٌ مجروحةٌ كانت على طَرْفه تغفو،

وهي تحصي شيوخَها الأبرارَ حتى تلوَّحَ لي،

ثم أطلتُ الوقوفَ أمام رُخامةِ الأنسابِ

التي تنتهي بخاتمِ المرْسَلينَ،

لأن وجه اليتيمةِ كان يبكي قسوةَ المسالكِ خلفَ نعومةِ

الحَفَرِ،

وتمرَّستُ في صفوفِ المسَمَّرينَ أمام جمالياتِ الطغيان،

لعلني أرى بينهم حبيبَها القديم،

فأقول له:

شقيقتي تُهديكَ السلام

لأن المبهجِينَ صبيةُ الحرَف.

عبد الفتاح كليطو

اشتبكنا في حوارٍ جانبيٍّ لنصدَّ عن أحلامنا
الحديثَ المعادَ عن صلة الروايات بالنكسة.
دعاني شريكُ غرفتي إلى أن أستعيدَ هاتفَ الجنون،
وأن أكفَّ عن بكاء الأحِبَّةِ،
بينما كنتُ أسعى إلى إقناعه
بأن كثرةَ الألاعيبِ تُفسِدُ الشِّعر.

.

في وضْعٍ كهذا: اقتحمَ الرجلُ الحياةَ،
نقلاتٌ عصفورٍ ينطُّ من ألفِ ليلة إلى سفير الأندلس،
ومن نفعية المتنبي إلى مأزقِ الروح حيالَ الخيارات.

وبينما يعبَثُ بذقنه الخفيفةِ بين اللمعة واللمعةِ
حدّثتُ نفسي:
عندما أعود سأحكي لإيمان
أن هناك شخصاً يمكن أن يجعلَ الناسَ مبْصِرينَ
إذا حرَّكَ الفعلَ عن سياقه.
وسوف أستغلُّ حالةَ اندهاشها لأخطفَها إلى صدري،
قبل أن تفرّق بين تألُّقِ الحزانى وتألُّقِ خائبي الأمل.

المِكْحَلة

أعرف أن السيدةَ التي حذفَتْ من خطابها فقرةً

تقرنُ اللذةَ بصوتي

سوف ترمقها بحزنٍ موجَزٍ،

وسوف تشعر أنها قبضتْ على روحِ العامة

إذا دسَّتْ الرِيشةَ في غمدها،

قبل أن تنزل إلى حصّةِ اللغات الدارجة،

ولهذا لم أبخلْ على صاحبي بالهوَاجس:

أنا الذي كنتُ أرى العدوَّ من أمامكم

والبحرَ من ورائكم

كلما تهرَّبت الجميلةُ

من وطأةِ اللَّمْس.

هذه الريشةُ بعد غمْسِها

ستقيم علاقةً مع جفونِ حبيبي،

لكنني أعلم أن المراودَ كلَّها

لن تُعيدَ الأظافرَ إلى وظيفتها.

تسعيناتُ المحمديَّة

يفضِّلون النهاياتِ المفتوحةَ،
غير أن الصبيَّ الذي كلَّمني بخِفَّةٍ عن تدهورِ الجماعات،
كان يقلِّب عينيه في الزيِّ الذي أرتديه،
وينهرني: لماذا لم تغادر الذلَّ؟
أما الصبيُّ الذي أشقاه نفَسُ الميكانيكيِّ خلف نفَس الموتورات،
فقد قبَّلني بطاعةٍ،
وهو يبحث معي عن جذرٍ لكراهية الشباب لي.
أوضحتُ له أن حبيبي رفيقُه في المشهد،
وأنه علَّمَ مواليدَ ما بعد خمسين
أن يتركوا الجمالَ بمفرده،
لكنني لم أستطع غَضَّ العيون
عن كَشَّافات فيليبس المسَلَّطات على المنبر،
فخمَّنتُ أن التواريخَ تحت الميْضَأة.

عبد المنعم رمضان

لم نسألْ أنفسَنا مرّةً:

كيف تصبح البغضاءُ قربى؟

فقدَّرتُ أن بكاءه في صباح الرجوع،

سيعني أن انفطارةَ القلب التي تأجَّلتْ قد حانَ وقتُها.

لم أحزنْ لأنه أشاع عن عَلاَمي نكتةً بذيئةً،

بقدر ما حزنتُ لأن الوقتَ لم يكن كافيا

لتقبيلِ جبهته في تأنٍّ.

وهو لم يلفتْ انتباهي إلى انسدادِ الممرّات

حتى يمرَّ سليلُ آل البيت،

لكنه صاح في الصحنِ المفروشِ بالموكيت وجباهِ

المصلِّينَ المفترَضينَ:

تحيا سرقةٌ تصير من جرّائها العروشُ على الماء.

وبلا توطئةٍ رقصَ في مواجهتي،
بينما أنا قابضٌ على الميكروفون
بحُنْكةِ المخضرمين من مطربي طنجةَ،
فحرَّضْتُه على أخذِ الشالِ الكحليِّ
لامرأةٍ تشكو من اضطرابٍ في التنفُّس،
كما أنني بلا توطئةٍ
سأعترف له ذاتَ أمسيةٍ لا شِعرَ فيها،
بصحةِ اسم حبيبي الذي رششنا حضورَه على
الأطلسيِّ،
ولن أبالي بمرضه المفاجئ قبل الهبوط،
لأنني لن أصدِّقه بعد أيام إذا قال:
وددتُ لو استمرتْ الكوما
لكي أظلَّ أسمعُكَ تردِّدُ في حنانِ أشرارٍ سابقين:
مالَكْ يا حبيبي؟

الطاقم

زنقةُ السِّتّات نفسُها مضافةً إلى عَرَقِ البربر،
ألستَ واقعاً في الحبِّ يا سيدي؟
فخذ هذه هديةَ الأختِ للأخت.
كان الملَسُ الأسودُ طافرًا على مدًى بكامله عدا البؤبؤ،
واقعٌ في الحبِّ يا شاطرةُ
لكنني ممنوعٌ من تأمُّلِ الكأس.
ينبغي أن تُقبِّلَ جسدًا من الشِّيعة
قبل أن تنطقَ الفتاةُ باسمها الموصول.
يلمع الحدْس:
فأهجسُ أن التي لم أُرِدْ أن أسَمِّيها،
ستقول لي:
لا أحدَ يكره الملهِماتِ يا شبيهَ الأب.
وأتخيَّلُ الكريمَ في موقعه:
تحت العُنق بمقدارِ قوسٍ،

وفوق النهدينِ بمقدارِ خنصرٍ.

لا بد أن هذه الهيئةَ
ستجعل اليتيمةَ تشذّبُ بعضَ أفكارها
عن المقَصّاتِ كوسيلةٍ لوضع حدٍّ للبصيرة،
أما وجودُ الخَرَز حولَ معصمٍ عانى سُلطةَ الموس
في محاولةٍ بعيدةٍ للنصر،
فكافٍ لأن يصون حبيبي
من قدرةِ العباقرةِ على تعاسةِ النَّفْس.

وداعاً يا فتىً لم أجدْه،
هنا التقى البطلُ والبطلةُ في شريط: «الحبّ الضائع».

رفرفَ الحريرُ أعلى المحل،
وسَخَتْ عيونٌ بدمع من بقايا الخريطة،
فظلَّ السِّرْبُ مرتبكاً
على الرغم من روائحِ القِرْفة.

فبراير، مارس ١٩٩٥

حِكْمةُ الكومبارس

كان ينبغي أن تكوني هنا: المائدةُ بجوار النهر، وأنتِ
بيني وبين جمال. ربما تعمَّقنا في الحوار عن مقبرةِ
النبلاء التي صارت خاليةً لأن سُكّانها تحرَّكوا من قبل.
ربما كنتِ سترفضين الخُشافَ، فأنهبُه أنا وصديقي،
وندعو لكِ بدوامِ بُغضِ الحلو. كان ينبغي أن تكوني
هنا لتشردي منّا مستورةً بشعارِكِ عن غرفٍ سرّية
سيغدو كلُّ ما جرى فيها مرفرِفاً. وحين تكتشفين لُطفَ
القَصّاص ستدركين أن الناس مظلومونَ على كل
حال.

* * *

لن أَمُرَّ على البيت
الذي استيقظتْ فيه المرأةُ الوحيدةُ مبكرًا،
وطفقتْ تكذب على هيئة المحلِّفينَ
حتى لا تنقطعَ شَعرةُ التوازن.

البيتُ الذي حُرمتُ من رؤية صالته،
لأنني صوَّرتُه على الجِلد بالحَفْر:
«من الغَرب: الزَّرعُ الذي عالجتْه الكرَّاكات،
من الشرق: الأندلس».

وحينما تتوهم المراةُ الوحيدةُ
أن شبحي يسير تحت شرفتها في الثانية ليلاً،
سأكون على الطَّرف الآخر من الطريق الدائريِّ،
جالساً في كبرياءٍ مجروحةٍ من نوع كبرياءِ المفكِّرين،
أتأمل الخسارةَ التي مُني بها عدَّاءو اختراقِ الضاحية.
ثم حينما تفزعُ المرأة الوحيدةُ من نومها،
في السادسة صباحًا،

لن أكونَ أنا الطارقَ،

سيكون الزَّبال.

* * *

ستنهض من نومها وتمسحه بقطنةٍ بيضاءَ. تستطيع أن تسدَّ فمهَ بالخِرقة التي تمنع بها صرخةَ الذَّبح.

وتستطيع أن تحدِّقَ في خامة البازلت وتقارن سوادَها بمجرياتِ الأمور. وتستطيع أن تسرَحَ في ماضيه الإلهيِّ حينما كانت العاقراتُ ينحنينَ عليه وينشرحنَ من رطوبته بين أفخاذهن بينما السَّقالاتُ منصوبةٌ أعلى الهضبة. تستطيع كل ذلك، لكنها لن تصنعَ شيئاً منه. فهي غالبا سوف تستخدم الجُعرانَ «ثقيلةً» على الورقِ الأبيضِ الذي سطَّرتْ عليه:

«ارفعْ حنانَكَ عن رأسي

ولا تجعلْ جمالكَ فِعلاً يوميًّا».

* * *

الخنجرُ اليمنيُّ في الصَّدر،

«عاريةٌ» محمد ناجي في قُبالةِ العيونِ التي تستلقي

على السرير،

«في الإمكان أبدعُ مما كان»

على حافةِ المكتب المكتظِّ بالمصادر،

مفتاحُ الحياة يتوسّط حائطَ الردهة.

المِكحلةُ في شنطةِ اليد.

هذا هو خيالُ قُطّاع الطريق،

أما أنا فأعلمُ أن كلَّ هذه الأشياء،

ليستْ في مواضعها التي ذكرها الوهمُ،

لأن فقيهة المكان لم تجرؤ على وضعِ شيءٍ في مكانه.

هذه الأشياءُ كلها،

مصرورةٌ في صُرَّةٍ فوق آخر الدولاب،

تنتظر أن تفتحها المرأةُ التي لم تفكّر مرّةً

فِي ما يناسبُ الآخرين

لتقلّبَ فيها بصمتٍ محترفٍ في التذكُّر.

أعلمُ ذلكَ مثلما أعلمُ

أنني الرجلُ الذي لم يعُفَّ عن نفسه.

* * *

ليس سيئًا تمامًا أنك لستِ هنا. فربما لو أنكِ بيننا كنتِ ستسخرين من نُصبِ الصداقة لأنكِ تمقتين القضايا، ولأنكِ لم تشاهدي لومومبا ولا خليج الخنازير، وربما كنتِ حوّلتِ غرامَ الآلهة إلى كوميديا، وجعلتِ جوابات حراجي القط منشفةً للأصابع، لأنكِ لا تعتقدين أن الحياةَ قد صُنعتْ بالكفوفِ، ولم تعاينِي سوى سرقةِ المعدّات وطقطقةِ الجسر. هل صحيحٌ تماما أنكِ لستِ هنا تماما؟

* * *

صاحبةُ هذا البيت رأتْ أننا مختلفان،
لأنني لا أفضِّلُ المطربَ المخنَّث،
ولا أُكثِرُ الحديثَ عن بَوْلي
باعتباره علامةً على تغيُّر الحساسيّات،
فقرّرتْ أن أنفاسي نقيضُ مصالحها:
مكافأةُ رعاةِ العزلة على إنجازهم تعطُّلَ الحواس،
منحُ توكيل التصرف في مصيرها للحِلف المقدَّس،
التلذُّذُ باحتياطيِّ الخيوط.

أما المنمنماتُ التي تهندِمها صاحبةُ هذا البيت،
في المايك،
عن نفي السُّلطةِ وكسْرِ الوصايا العشْر،
فقد طوّحها الرعبُ حينما نما إلى الكُهّان أنها
ربما
قد
توشكُ
أن تحاولَ

إمكانيّةَ

أن تواربَ

بعضَ نفسِها

لرجلٍ غائصٍ في عارِ حُبٍّ اللغةِ العربية،

ويداه ملطّختان

بجريمةِ العداءِ للبانجو.

* * *

سيداتٌ ناجحاتٌ في الدنيا،

يفضّلنَ البهاءَ بلا فاتورةٍ،

والأمن بلا فاتورة،

لكن فَتْلةٌ صغيرةٌ في الغَزْل

سرعانَ ما تنسلُّ عن نسيجها

بفعل ضربة إبرةٍ لم تكن في الحساب،

تقلبُ الأنوال كلَّها،

فإذا بالسيدات الناجحات،

يجرُّهن هلبُ الصَّدفةِ من شفاههن.

أما البيتُ الذي صمَّمتْه درجاتٌ في الأزرقات،
فهو الأبقى والأرقُّ:
لأن فيه كاريكاتير المدفأة،
وناساً بسيطين يحسُّون أن أطرافَهم حرةٌ،
إذا قلَّ تجارُ التشوُّه.

سأحبُّ هذا البيتَ،
وحدَه،
وسأعيش فيه،
وحدَه،
وحدي،
تاركاً في الخارج صاحبتَه الوحيدةَ،
تحصي المغانَم التي جنتْها
من إزاحةِ الجمالِ بشبشبِ البيت.

* * *

عندما عقَدنا مقارنةً بين نهج البلاغة ومعبد فيلة، لم
نكن واثقينَ من أن عظْمَ الترقوة ضالعٌ في الرغباتِ،
على الرغم من أن أهلي هم الذين اقتنصوا النقوش
التي استراح بعدها المهندسون الاستشاريون؟ سأضعكِ
لصقَ المعبد، وأرصدُ مؤشرَ السُّرَّةِ: حينئذٍ سأرى في
عينيكِ قليلاً من كربلاء، وقليلاً من ربْكةِ النحو.

* * *

الفقْدُ أصْلٌ في النباتات،
هكذا حطّتْ كَفَّها
على الأذى الذي يعرفه الخارجونَ منه،
وعلى فتنة الشّرِّ
التي تزوّقَها جُرْسةٌ تليقُ بصاحباتِ الطموح.

يا بنتَ أمي

نحن فعلاً غيَّرنا المكان

لكن المُبَشِّرينَ بالجنة كانوا قد طحنوا العِظام

من دار بن لقمانَ حتى جنوب غربِ القاهرة.

كل ذلك حَسَنٌ:

فقد تأكَّدَ الرهينان

أنهما غيرُ مضطرَّيْن

إلى موسيقى الجنائز.

أبريل - مايو ١٩٩٥

مصدرُ جاذبيةٍ لسائقي التريلّات

أنتَ تنظِّفُ الصُّحونَ من بقايا العشاء، وتفكِّر أنَّها
كانت هنا قبلَ لحظةٍ: تعيد البطانيّةَ إلى وضعها،
وتمسحُ بعينها الشارعَ الذي استيقظَ قبل أن تهبطَ،
ناسيةً ساعةَ اليد. جلبابُكَ ابتلَّ من طرطشة اصطدامِ
الماء بالأواني، حينما كنتَ تسترجع أنها اقترحَتْ
عليكَ أن تبدأَ نَصَّ الوداعِ كلَّه من وقفةِ المطبخ.

* * *

لنفترضْ أن هذا البيتَ لم تكن نملكُ فيه إلا
الاعترافَ، ولم يكن يحتاج منا سوى إعارته سلوكَ
سُكّانٍ عاينوا صعوبةَ العيش. سيظل الثُّقبان تربطهما
فيونكةٌ رخيصةٌ، والسَّبَّابتان أطولَ من إبهامَيهما بفارقٍ
غرائبيٍّ، ما دامت قصةُ سندريللا ليست من مكوِّنات
الوعي. نحن إذن متوازنان فيما يخصُّ الروائحَ، من
حيث أن هذه الزوايا التي خفنا عدوانَها لن تكون بها
بصماتٌ تعطي لعلماء الاختصاص قرائنَ على أنَّ
المرأةَ كانت مُعفاةً من ندمِ الأمس.

* * *

الثعبانُ الذي يلوِّثُ البياضَ خارجٌ عن معاهدةِ
التراحُم. فلماذا لم يدلّنا أحدٌ على أن الشوائبَ حليفةُ
الوقوع على عَظْمةِ الوجه، مثلما دللنا نحن بعض
البَحّارةِ على أن الذي مَرَّ بين الفواكه منسوبٌ إلى
صراخِ الأمهاتِ قبل الغيث؟

* * *

لم يكن هناك غيرُ خيطٍ يربط البويضات بالفراغ،
حتى ترضى المفزوعةُ بالتجاريب، فلا مفرًّ من أن يؤمنَ
الشركاءُ بأن كلَّ لذّةٍ موصولةٌ بالموت.
هكذا كان الرجالُ قوّامين لأن أحشاءهم لا تنزلقُ إلى
الأرضِ كلَّ استدارةِ بدرٍ. فلماذا لا ينفدُ الجسدُ، وكأن
إبليس في الحوض؟
سنكون خيّرينَ يا أختُ ونحن نغيِّر الجلدَ، فليتنا لم
نغسلْ هذه الشُّبهةَ بماء الصنابير، بينما نمضغ الورقَ
ليمرَّ سهلاً على المرِّيء، وليتنا نشّفناها بضرورةِ الفرارِ
من الرِّق.

* * *

بدلاً من أن نهرولَ في خُضرةٍ ترتكز عليها طواحينُ
الهواء، وهي تفرد ظلَّها على اللاهيَيْن، أحضرنا تمثالَ
طاحونة الهواء، المصنوعَ من جَصٍّ يتحطَّمُ إذا داسه

حذاءٌ غَليظٌ. التمثالُ يصدر موسيقى إذا حرَّكنا
الزمبلكَ إلى اليمين، سنحرِّكه كلَّ ليلةٍ ونحن نُقنع
أنفسنا بأن فكرةَ الدوبلير صالحةٌ لتدبير الشئونِ كلّها:
بدءًا من صناعةِ الزَّعامات، وانتهاءً بحِفْظ بدائلَ
عاطفية في أجندةِ الهاتف.
طاحونةُ الهواء ستعلّمنا أن كراهيةَ النَّفْس إنتاجُ
التوجُّس، لكننا لن نتعلمَ كيفَ تدور المروحةُ من غير
أن تأكلَ ذراعًا مرفوعًا بالتحيّة.

* * *

هذه مجاميعُ تشتغلُ على أن السَّيدةَ تلقَّتْ درسَ المرور
بالتريكو. مما يتركُ احتمالاً بأن شراشيبَه كانت تخمش
موضعَ الجراحة كلما داستْ على الفرامل. وهذه
مجاميعُ تحضّرُ لقطةَ القُبْلة في فضاء المطار بطريقةٍ
تعطي انطباعًا بأن القبلةَ مغامرةُ اليائسين الذين ارتبكتْ

تصوراتُهم عن حصانة العِظام، فأزاحوا ارتباكَهم
بتشويه البورتريه. وهذه مجاميعُ تركِّزُ جهدها على
إشاعة الغموضِ كلِّه في الدائرة، وتوفير الوضوح كلِّه
لحبيبي، بمساقطَ ضوءٍ توحي بأن الشلالات كانت
بداية الأورانج في بشرة الذراع. يبقى الشبحُ الذي لا
تكاد تلمحه العينُ في آخر المشهد: هذا هو الرجلُ
الذي لم يستأجِرْه أحدٌ، ولكنه تطوّعَ بوقفته هذه حتى
ينقذَ الشريطَ من التهرُّؤ، إذا لم تنزلقِ الحَمَّالةُ عن
كتف السيدة.

* * *

سوف نزيِّن الحماقةَ برتوشٍ تساعدنا على تركِ مراحل
الكشّافة، لأن الفساتين أختُ الحضارةِ الداخلية. ملائمٌ
أن يظلَّ جسمُكِ نافرًا من الدخول في المازورة طالما
مخرتنا من انجذابِ المعلِّمين للموديل. ذلك الأسودُ
المُستبعَدُ في الركنِ سيحقق للذاهبةِ إلى ديوانِ
الحكومة فرصةً لاكتشاف الذات.

تحوّلت الحياةُ إلى محلاتٍ عندما كان جسمُك الدقيقُ يتعثر في خجلٍ غريبٍ عن شعائره، ويفكّر كيف ينجو من البئر، ثم يستديرُ ببطءٍ ملبياً تغزُّلَ البائع، تاركًا سمكةَ الخَصْر تتقلّبُ في الماءِ الذي ساحَ على الزجاج.

* * *

تختلطُ العواميدُ بالسوائل، فتتفتح عيونٌ على محاسن الكوليرا، وتصيح سيدةٌ بأن الخبزَ أسودُ، وأن الدم يساوي مزيجًا من العفونةِ والكمال، لكنها لم تُصدّقْ أن النزيف إرهابُ العواطف، إذا تحرّكتِ الأحشاءُ من ركنها. ليس هذا تخثُّراً، بل انكشافُ العُصَابِ، لنعرف أن الخيطَ الرفيع سَحْقٌ للمُتَغيّر، وأنه ليس صدفةً أن نكونَ هكذا.

* * *

نحن مطالبون بإعادةِ تركيبِ المناظر، كأن تساورنا
الظنونُ بأن الغموض كلَّه للآخر، والوضوحَ كلَّه
لحبيبي الذي تخرَّبتْ حياتُه من نُدرةِ الرقص، فعالج
الخرابَ بدُفعاتٍ من أحلامِ اليقظة. بهذا الشذوذ
وحدَه، أستطيع - إذا اندمجتُ - أن أُطلعَ الضباطَ
على ثنية البطن، لكي يدركَ الجميعُ أنهم مرَشَّحون
للمَذَلَّة إذا كانت هناك امرأةٌ تتفادى أن ترى نفسَها
مضغوطةً تحت هواء الغرف أو تحتَ هواء المطارات،
حتى إذا حجزني الشرطيُّ تحسَّستُ الخدوشَ قبل أن
يسألَ: ما اسمُ الوالدة؟

* * *

هذا البديلُ الهوائيُّ كان ناقصًا صامولةَ الخلف التي
تربط مروحةَ الأمام، لكي تدورَ بشكلٍ كأنه الأصلُ.
أنتِ مرهفةٌ في هذه الزيارة، فينبغي ألا نستحضر
الأفلامَ التي ارتبطتْ فيها الطواحينُ بالكوابيس.

في تحرُّكٍ معاكس، سنخمِّنُ أن قلوبَنا مثلُ توتُّرِ الفضاءِ المحيطِ بلفَّتها، وسنؤكد لأنفسنا أن الابتعادَ دوبليرُ اقتراب.

* * *

تركنينَ رأسَكِ للخلف، وتستحضرينَ التُّوكةَ التي لم يتعد ثمنُها جنيها. سنُخفض الضوء تنفيذًا لفكرة المرِّ، مع شيءٍ من الموسيقى الكلاسيك. تتذكرينَ الخُفَّ المغربيَّ بينما يَدُك تبحث عن الكبريت. ستحاولين إرجاء تهدُّجِ الصوت، وأحاول ألا أُجري مقارنةً، فقد تعلَّمنا في أعمالنا المشتركةِ أن المقارنات تُربكُ الأصابعَ في جوار القدح. ستهتز المحاولةُ حين تغيمُ عيناكِ بالصندوقِ الفخم الذي احتوى أطقمَ الأقلام الفخمة وقواريرَ العطور الفخمةِ والمسجلاتِ توشيبا. سنصمت برهةً لتفريغِ أعقاب السجائرِ والتفكير في مونتاج

اللحظة التي حملتِ فيها الصندوقَ الفخمَ لإعادته إلى
بهو الفندق الفخم. وحيث أننا لسنا فلاسفةً، فلن
نختم الشريطَ بتعليقكِ الخارجيّ: قمعُ الفرار إلى أعلى.
فقط سنحرِّكُ الكادر إلى أمام، بعد تقليب السُّكر في
شاينا الخامس، ونحن نقهقه بلؤمٍ حينما تذكرين كيف
اقتبستِ الأقلامَ ووزَّعتِها على المغترباتِ في بيت
المغتربات.

* * *

اتركينا نزاولُ بعضَ التهيُّؤات لسَدِّ الفراغ الذي تولِّده
الحيرةُ في الحيِّز المتاحِ، فربما علَّمنا ذلك أن قوسَ قزح
ليس كافيا لتبرير التلون. أرأيتِ أننا لم نخسرْ شيئاً
مهمًّا؟
وأننا كَسبنا حُبَّ المِقَصِّ.

* * *

يستحضرها هكذا:

يمهِّدُ المناخَ باللحظة الأولى: دموعٌ تقول أنتَ لم ترني. وهي اللحظةُ التي اكتملتْ بقولها: وقعَ الخَطْفُ فانظرْ إلى دوائر الجونللا. ثم ينتقل إلى فَكِّ عُقدةِ اللسان: إنني آتيكَ بحِسٍّ من تورَّطتَ في أمرٍ. وتنتهي هذه المرحلةُ بإقرارٍ أنها كلما التقتْه صار الكونُ ابن أخت.

وبارتفاعِ المناخ إلى مستوى الضرورة تأتي الروضةُ بشعائر ركْن الجينز على جنبٍ، وما رافق ذلك من صدْمة البشرةِ وهيمنةِ الحيوانات الناطقة. عند هيمنة الحيوانات يبلغ الحضورُ ذروتَه فيشتبك التداعي: نخلُ ناسٍ في أفواه نامس، المشيُ على أطراف شخصٍ بأطرافِ شخصٍ، صوتها يُخرج الأسماءَ الصحيحةَ من قمقمِ التحريم، زفيرُها بعد ٢٠٠ كيلو متر من الحركة: فيكَ من ماضيَّ بعضُ المخايلات. حينئذ: تظهر الأقواسُ واضحةً، ويملأ الماءُ كَفَّ اليد.

* * *

تحتفظينَ في القاعِ بكتب دستويفسكي، التي تسلّمتِها في جوارِ النهر مشفوعةً بلمسةٍ على الخد، ثم قذفتِ الحصى في شباك بنت الخال، حتى تُسرِّبَ المفتاح من غير أن يستيقظَ الجيرانُ.

لم يَرِدْ ذكرٌ لختْمِ أمي، لكنَّ سعيي للتماسك سيُفلح إذا قلتُ لنفسي: ليس هذا هو النسيانَ، فنفسِّر القفزة بأن المرأةَ لا ترى الخَتْمَ جزءًا من الذكرى وإنما تراه لحمَها المدموغ بمدّة الصلاحية، وهو ما يسبب وفرةَ الأشباح، والانتعاشَ كلما اعتلى أهبَلُ الحيِّ المنصَّة. سيعينني ذلك التفسيرُ على اتخاذ موقف يليق بمن يظنون أن الفهمَ أجملُ من التسامح، فأُكمِلُ ترتيبَ حجرتنا المستعارة، متعاطفاً مع الشرودِ العميقِ الذي انتابَكِ وأنتِ تحكينَ عن وردة المخزنجي.

* * *

هذا الوَشُّ يُفضي إلى أن تدخلَ العناصرُ في العناصر،
فإذا بجسد مسجَّلٍ وجسدٍ «لايف» يتقاطعان:
يهرب الأوّلُ إلى ماضي رواسبه، ويثبِّت الثاني أطرافَه
مقلِّدًا دورةَ الفونوغراف.
أما المسحوبةُ التي بينهما فكانت تندبُ الحَظَّ.

* * *

خشبُها ليس من الصِّنفِ الثمين، لكن انطباعَكِ عن
لونها عوَّض النَّقصَ. مؤكّدٌ أن المدخرات صارت
ضخمةً، لأنكِ مُغْرَمةٌ بعام الإصدار، فلا تتاولي منها
تكملةَ الحسابِ لباعة الجرائد. ما عليكِ إلا أن تَخُصِّي
يديكِ بالرعايةِ، فإذا لم يعدْ بها هواءٌ لقطعةٍ من
المعدن، سنشتري حَصَّالةً أخرى، ليس خشبُها من
الصِّنفِ الثمين، لكنَّ انطباعَكِ عن لونها سيعوِّض
النَّقصَ.

* * *

يا خرابي كم أنا خربانٌ. صيحةُ المتصَدِّعِ الذي سألني:
ما هو الحبُّ؟ من غيرِ أن يعلم أن شقيقتي مفتونةٌ
بطريقته في ترجيل شعره للخلفِ. لم نكترثْ
بالضغينةِ التي أشرقت في وجوه الوفدِ حينما بدوْنا
كعيِّنةٍ على الصَّرَع، إذ كنا مستغرقَيْن في تتبُّعِ الدودةِ
التي تنطُّ من قلبي إلى قلبه بالتثاوبِ، تاركةً حصيلة
النَّخَر.
بدافعٍ من التطهُّر الذي يرافق الانهيارَ اعترفتُ له بسرقةِ
الغَبشِ الذي فضَّضَ السرير. هو الحكيمُ وأنا الطائشُ،
وبالعكسِ. هذه المرأةَ الرجلان ضالآن ويلزمنا راشدٌ
ينظِّم غرامَنا بالذي قال أنا الغنيُّ وأموالي المواعيدُ،
ويُسَوِّي لنا سياقًا نرى فيه الأعزَّاءَ يصرخون: ليتَ هوى
الأحبَّةِ كان عدلاً. ويسألون بغَرضِ كيِّ النَّفَس:
كيف يعيش المتنبي في عام ١٩٩٤؟

* * *

لم تستعملْه منذ فرحةٍ قصيرةٍ اختفى بعدَها في قعْرِ
صندوقِ الملابس المنبوذة من الخدمة.
تخيَّلتْ حينما وجدتْه عُقَلَ الأصابع التي ستسلُّه
بخشونةٍ تعود إلى نَزْعةٍ زراعيةٍ في التنشئة. هي تعرف
أن الجاهلَ لا يُفضِّله في الموضعِ الذي اختاره التطور،
فلم تقدِّر أن البُقعَ التي ستلوِّثه في لقاء تبادُلِ المواقعِ
لن يُزيلَها مسحوقُ الغسيل، ولم تخمِّنْ أن الغشيم
سيطلب أن يحتفظَ به بعد أنِ بلَّله الماءُ الذي رطَّبتْ به
شفتَيْها، حتى يتسنَّى له أن يشُمَّه في الليالي التي يشحُّ
فيها الأوكسوچين.

* * *

هذا هو المساءُ الذي نفَّذنا فيه تثبيتَ الأنفاس بمساميرَ
بريمةٍ على الحوائط، وتثبيتَ الجسدِ بالتحميضِ
والطَّبْع.

سرَحنا قليلاً في الوجود، فألهمتنا التُّحفُ في ساحة المطار تيمةَ الهجْر، حيث أنَّ كلَّ وصلٍ ليس فيه بَتْرٌ هو وصلٌ مشكوكٌ في أصالته.

وحينما قالت للممرّن: لا أُريد للشحم أن يوسّخَ الثوبَ، كنتُ قد أتممتُ كسْرَ الأقفال كي أتمكنَ من إعدادِ المائدة، لامرأةٍ تتمنى أن ينخلع الدِركسيون في يديها حتى يتألقَ الذعرُ على جباه المرتاحين في حدائقِ البيوت.

* * *

تبلغ المخايَلةُ مُنتهاها:

عُريُ امرأة الغرفة شبيهٌ بعُري امرأةِ فونوغرافِ الغرفة، كأنَّ الكائنات تنسخُ بعضها.

* * *

سأُحَدِّقُ كمزارعٍ لا يزعم أنه بنى أهراماً من الحَلَمات،
ثم أهربُ من ترويجي لخلاصه من الشدّادة، فكلُّ هذا
الطّربِ منافٍ لأسلوبِ شقيقتي في المَشْي. وما دام
ذلك كذلك، فسوف أُفشي رغبتي في أن أجُزَّ القطعةَ
التي تتوسَّط الدائرة بأسناني، ثم أمضغها بلذّةِ المُشْتَبه
فيهم، وأتخيَّلُ أن تمويها لا تصلح فقط لمرور لبن
المسمارِ، بل تصلح كذلك أن أغرز فيها إبراً كثيرةً،
أظل أتأملها بنشوةٍ، ثم أنزع الإبر بشفقتيٍّ واحدةً إثر
واحدة. فإذا نزَّتْ نقطٌ من الدم سأكفُّ من فوري
متوجِّهاً إلى كتابةِ الواقعةِ الصِّرْفِ بكلماتٍ محايدةٍ
مثل:
هذا هو ثديها الأيمنُ، بكاميرا «١١٠».

* * *

هم شاهَدوا خيالَ الظلِّ وحدَهم، فعاينوا الجسدَ الذي
تحدّى نصفَ الشّلل، ومسُّوا بأيديهم أنوارًا لم تكن
على الخاطر. ولما انتهى الأراجوز من وصْلته كان سيِّئو
الظنِّ قد ناموا وهم يحلمون بأن كلَّ صاعقةٍ وداع.
ولما صحوًا وحدَهم قالوا لأنفسهم: لم نتكئْ على
رُخصة الرّسول بجعْل الكتانِ مسرحاً للعرائس، ولن
نكرهَ دَمَ الشهر.

* * *

ليس موجوداً لأننا موجودان. تركَ لنا الكرسيين
الأبيضين لنضعَ السيرةَ الذاتيةَ موضعَ التطبيق. الغائبُ
الذي تعمَّد نسيانَ النبيذ والكاسيت لم ينزعجْ حينما
استهلكنا أنبوبةَ الغاز، لأنه التقطَ رائحةَ الجنس في
سجّادةِ الطُّرقة. هو على الثغر مملوءٌ بنفسه بعد أن دفعَ
فاتورةَ الكهرباء في الزيارة الأخيرة، لكي يتيحَ لنا أن
نطفئَ النور بإرادتنا عندما نحتفل بالماضي، ونجترَّ صورَ
الزفاف، التي أكّدتْ لنا أن المنطقةَ التي خلفَ الأذنِ لم
تأخذْ حقَّها من صلوات الرجالِ.

هو في المدرَّج يحاضر الطلاب عن مصادرِ الطاقة،
ويعلِّمهم أن الجدرانَ يمكن أن تصيرَ من موادِّ الروح،
إذا بلَّها عَرَقُ الغرباء.

* * *

شرودُها دليلٌ على أن الانحرافَ ما زال ينتج بشراً
خصوصيّين، وحُكمٌ بأن هناك مساراً سليماً عندِ
الأشقَّاء، من قبيلِ الاحتفاءِ بالمتروكِ من أجل تعديلِ
المكان إلى بحر.
ستُظهرين لمحةً من الغضب الصناعيِّ. عند هذا
الغضب سننجزُ اختلالاً مؤقتاً ينوِّر سلامةَ المسار،
ويساعدني على إدراكِ أنَّ ما بيننا لن تُزيلَه المكنسةُ
الكهربائيةُ، نظراً لأن الوداعَ الذي نقرِّره كلَّ ظهيرةٍ هو
مشهدٌ لا يُتقن مديرُ التصويرِ اقتناصَه بالمهارةِ المنتظرةِ
من محترِف.

* * *

لو اتفقنا على أن الأزرارَ الطوليَّةَ في مكانها المحسوبِ،
سيكون الفراقُ ممكنًا، ويصبح الالتفاتُ موفَّقًا من غير
قوّةٍ إضافيةٍ في الرِّقابِ.
حينئذٍ سنصير ملزَمين بقسطٍ من الشفافيةِ حتى نرى
الرجلَ راكعًا على ركبتيه وهو يفكُّ بأسنانه الأزرارَ التي
في مكانها المحسوبِ، لنغدو أمام مجموعةٍ من
الأنصاف: نصفِ جسدٍ، ونصفِ ثوبٍ، ونصفِ صرخةِ
الكراهية.

* * *

غاضبٌ علينا لأننا كسَرنا شيشَ النافذة، وبوَّشنا سقفَ
الطابق الذي تحتنا، حتى أن الجيرانَ عاتبوه ملمِحينَ إلى
أنهم سمعوا مواءَ قططٍ في أكثر من فجر. لكن شيئاً
بداخله كان ممنوناً لهذا التعدّي، حيث تركنا بعض
اتساخ على جلبابه المهجور. وأفهمنا الحيَّ أن سرقةَ
بيت تتسرَّبُ منه في أنصاف الليالي تلويحاتُ أيدٍ

مسألةً عسيرةً. عندئذٍ يراوده الاعتدادُ وهو يرسم معدَّلَ
العنفِ عند الجماعة البشرية، لأن الغرباءَ حرَّكوا فعاليةَ
السُّخانِ، وأدخلوا الهواءَ إلى قطنِ المراتب.

* * *

كانت تؤلمها كلما طاف ببالها الأذى، فحرَّرتُها أمامي
بعد أن غمغمتَ: أريدُ أن أخلعَ الكوتشي. هذه
الأصابعُ تسحّبتَ في صباح إلى المحطة، تاركةً الزوجَ
نائماً. بعد أن عَبَرتَ الحَجْرَ. لم تخَلِّفْ قُصاصةً تدلُّ
على مقوِّمات الهروب.
أخذتُها في فمي منتشياً بالعيب الخِلْقيِّ في السَّبابةِ.
هكذا فإن فوتوغرافيا الأصابع أبقى من تحريكها كلما
أنهكتَ الأصابعُ من كثرةِ الحَصَى.

* * *

محكومٌ علينا أن نبدو متماسكِين. فإذا كانت المهمة

صعبةً، يمكن أن نستفيدَ من بياضِ الأكاذيب. ونوقظَ

الحنكةَ التي علّمها كلٌّ منا لصاحبه في سابق العهد.

هناك أمورٌ معاكسةٌ: كأن يتذكر أحدُنا شجونَ الآخر.

وهو ما يوجِبُ اتساعَ الحيلةِ حتى يستحضرَ كلانا مزايا

ربع قرنٍ من الأخوَّة.

من جانبي سأتذكر أنكَ أنفقتَ على شقيقي الصغير

طيلةَ السنوات التي قضيتُها نزيلَ المبرَّة، وأنكَ كنتَ

أمينَ السِّر في تشكيلنا العُصابيِّ.

لستُ أعرف ما الذي ستتذكره بخصوصي، لكن هذا

الهواءَ الراكدَ ضروريٌّ.

* * *

كانت لم تزل تعاني تورُّمًا من الدوران حول منازلَ لم

تجرِّبْ لها أزقةً فرعيةً، فلم تُعْمل المِبردَ في أظافرها إلا

حينما توثَّقتْ من أن هذه الأَظافرَ ستحتكُّ بذقنِ الرجل، بعد أن جذبتْه من خطْمه امرأةٌ تقيم علاقةً معقّدةً بأصابع قدميها: فإذا انتعشتْ المودّةُ بين المرأةِ وأصابعها اشترتْ حذاءً ذا ملمح نسائيٍّ من أجل خاطرِ الأوبرا، وإذا ساءَ الظنُّ بينهما دسَّتْها في القالبِ المهمَلِ، قبل أن تبرهنَ على أهمية الوداعِ في تطوير النفوس.

حالُها الآنَ هو امتداحُ اللواتي قطعنَ أصابعَ أقدامهن وسِرنَ من غيرها آمناتٍ، معفيَّاتٍ من وضع المانيكير للأظافر كلَّ ثلاثين سنة.

كم تعذَّبتْ هذه الأصابع؟

* * *

انتهت الكَمالاتُ يا أخي، والنشوةُ التي أربكتْ ساعديَّ جعلتْني مستغرِقاً في إزالة الندوب، وإقناع حبيبي بأن استعداء السلطات لم يكن متعمَّداً. لا تحزنْ، فليس

أحدنا مورِّثاً في الخَلق، ولم تتبقَ لنا مهمَّةٌ سوى أن
نشدَّ الروحَ من حضيضها. وأن نؤمن بأن أحداً لا
يعبثُ، إذا كانت التي أدرجتَها في قائمة المطاريد
علَّمتْني أن الفشلَ هديةُ الآلهة لمدمني التفوُّق. مطلوبٌ
إذن أن نمتَنَّ للعَكارة التي رتَّبت الأوراقَ، وأن نضعَ
رُبعَ القرنِ على الطاولة. لنصبحَ غيرَ مسلحَيْن.
طال الصَمتُ، لكن تقديمَ الماء المثلَّج كان يعني أن
السنين لم تكن ضمنَ قائمةِ المشتريات.

* * *

عندما اكتشفتْ للمرّة الأولى ذلكَ العُشبَ أخذتْها
الصيحةُ، فواردٌ أن تكونَ احتاجت لأمِّها كما لم تحتَجْ،
حتى تتكسرَ عيناها في حضْرتها من رَبْكةِ الفوَران،
ووارِدٌ أنها كلما حدَّثها الأدباءُ عن النَّحل ضمَّتْ
نفَسها إلى نفسِها بتشنج خشيةً من أن يشوِّشَ العشبُ
على دقَّةِ الطَّرْح. قضمتُ عيِّنةً منه من غير أن أكون

مفوَّضاً بزراعةِ الحياضِ، كما لو أنَّ غلماناً من الزنوج
يحطُّون عليه حطباً يصلح لحريقٍ مميَّز ثم يرفعونه،
فيجيء غلمانٌ آخرون يرشُّون جيوشاً من النمل ترعى
في سراحها توطئةً لإقامة البيتِ، ثم تتلاشى الجيوشُ.
أعلمُ أن ذلك الأصلَ بعد ثلاثين عاماً سيغدو أبيضَ
ناحلاً، بينما النسخةُ التي أستلُّها من دُرْج مكتبي في
ليالي الخسارة ستظل بعد ثلاثين عاماً سوداءَ كَثَّةً يفوحُ
منها لُغزٌ لم تَحلَّه الأجيالُ. هذا العُشبُ عصَّبَها عندما
تخبَّطتَ في المرآة، إذ لاحظتْ بقايا من لُعابِ رجلها ما
تزال طريَّةً عليه، كما لو أنها مربوطةٌ بحَنكه منذ
تفرَّطتْ أسنانُه على الحَجَر. كيف صارت ترعاه
بالجَسِّ، ناسيةً حقدَها على الخالة التي عالجتْه بالعَسل،
كما لو أنها صَدَعتْ لأمرٍ يعلِّمها أن هذا الدغلَ مماثلٌ
لرؤيتها في الحياة.

* * *

ستنفرد بأبطالها بعد أن تُوقنَ أن العربةَ أخذتْه إلى
حديد الجو. لن تُجيلَ الطرْفَ في المكان حتى لا
يفاجئها السَّنَدُ، ولن تدخلَ المطبخَ لأنها لا تحبُّ
الضَّغطَ. بينما تَقْطَعُ لنفسها: لم يكن من الضروريِّ
اصطحابُه إلى حيث ترتفع المناديلُ فاضحةً تهافت
الذين لم يتلقوا تربيةً صُلبةً.
يكفيها أن تطردَ التفكير في أنه نائمٌ على المقعد المنزاح
للوراء، ليمكنَها أن تغفو بعين واحدة، وتستدعي
أبطالاً مشكِّلينَ طابوراً بزيٍّ موحَّدٍ ومرتَّبينَ حسَبَ
عُمقِ الجُرحِ.
كتمُه متّقلٌ بالحقيبة، وهي متقنةٌ وحدة:
لا تتمنى أن يترك العابرُ بأحشاء تلميذة المدارس نُطفةً
تشبه أمَّه التي أحبَّتها برغم الفارقِ بين القبرِ والضحكةِ
المشفوطة للداخل
شاخصةٌ أمام الشمعدان مشمولةٌ بالارتعاش الذي
يسبِّبه بُغْضُ الطائرات: ليس السريرُ شاسعاً كما قد

تتوهم النسوةُ، وليس الفراغُ جليلاً كما قد تزعم امرأةٌ توتّرها الوحشةُ كلما نزل الشّخصُ الذي لم يكن في الطابورِ أصلاً لابتياعِ حاجياتِ الليل، فظلّتْ تتجاهل المطبخَ حتى لا يهزمها التّقلُ.

* * *

حضورُها في صالة المغادرينَ ذكّرني ببندقية الصّيد، خاصةً أنها لم تقصدْ إهانتي حينما تكلّمتْ بانشراحٍ عن افتتانِ الصغيراتِ باللوكيميا عند أهل الأدب، ولا حينما نامت في فراش الخال. لذا فنحن نحتاج إلى سُكّريّات، لنفهم بشريّةَ أن يكون هناك ناسٌ لم يقدّروا ثقلَ الكَلَبْش في الرُّسْغِ، ثم ظلوا طوالَ العمر يبكون الكائنَ الذي لا تُحتملُ خفّتُه.

* * *

تنقصنا شجاعةُ الاعتراف بأن مستقبلَ الطفلةِ كان رَهناً بأصابع الجيل المقدَّس. فلا يجدر أن نديم التفرُّسَ في الأضابير حتى لا تتهرَّأ الشَّعَرةُ على رأس القطبيْن. كلانا مضطرٌ إذن إلى التجمُّل، لنعرفَ أننا لسنا صُنّاعَ المساطر، ولا عملَ بيننا للوسطاء حتى لا تُغلقَ الدنيا حسابنَا المفتوحَ، قبل أن نعي أن المجروحةَ بنا تنتقل من حافة إلى حافة. لن تكونَ القبلةُ زائفةً، لأن رُبعَ القرْنِ سيفرُّ من الدابغ، حينما نفتحُ عيوننا على الطفلة التي لا تستحقُّ أن تصيرَ عرضاً من عروضِ مسرحِ القَسوة.

* * *

شأنُه شأني، معتوهٌ ولا شهادةَ له في المحاكم. سلَّمَ الفتاةَ السوداءَ المداخلَ التي تجعله مذلولاً، فلم يستطع أن يقودَ المساومةَ بحذقٍ ببيوتِ الخبْرة. في حالةٍ كهذه دسَّ قثان جوخ حياتهَ بين فكَّيْ فانتشر الإمتاعُ، حتى وضعتُ الحليبَ كلَّه على الرأس، وانخرطتُ في تصفيف المستقبل جوارَ بعضه. ثمة اختلافٌ ضئيلٌ:

الفتاةُ التي تستعينُ بالمنوِّم لكي تصرفَ أشباحَ حاضرها
تزدادُ سمرتُها في المساء الذي يمرُّ فيه الخيَّالةُ. هؤلاء
معاصروه المخابيلُ، أقلُّ رَزانةً من معاصريَّ الذين
أوصوني بقطفِ الزهر بخفّة الإلهام من غير التورُّط في
مأساة الحديقة. أما هو فقد أَرسلَ أذنَه اليسرى في
حُوالة لامرأةٍ يلزمها أن تلمح في الدمِ الذي يشخبُ
علامةً غير التلوُّث.
أشرقتْ حقولُ القمح، ففكَّرتُ ألا أقولَ ليتها كانت
هنا في المتحف لتعرفَ أن التقاليدَ منَّةٌ لا تُمنحُ للقافز
فوق كلِّ سور. غرفتُه صندوقُ سحْر: نفسُه الحَدْسُ
الذي باغتها عندما شاهدت المؤلَّفاتِ على الحصيرةِ
والباليته على دولاب الملابس. بيني وبينه ضلالُ القوى
إذا شُلَّتْ الأيدي بفعل زيادةِ الأصفر. فلا يحسُنُ
التصنُّعُ: ينبغي أن أكونَ في جانب الحق، وأعترفَ أنني
تمنيتُ لو كانت معي: نقرُّ الكتالَوج سويًّا، ونستعيد
المعاطِف عند خروجنا معا. وقبل ذلك نكون قلَّدنا
بعض المراحلِ: أنتِ تصبحين القبعةَ اليابانيةَ، وأنا

أصبح المقعدَ الفارغَ، حتى لو سخرْتِ في الطريق من
ذلك العبيطِ الذي قطعَ أذنَهَ.

* * *

خانني الأصدقاءُ. هذا فألٌ حَسَنٌ، لأنه يتيح للمسام أن
تتنفسَ في آخر الليل. كانوا طيبين تماما، فلم يتخلوا
عن رقائقِ الحريرِ ساعةَ الصّفر في المودّة. ومن أجل
هذا فإن الفخاخ مسألةٌ مفيدةٌ من حيث أنها تهبُ
السلامَ العادلَ فُسحةً لأن ينتكس.
خانني الأصدقاءُ، لأنهم ضاقوا بالضحك في الصباح
الذي ضقتُ فيه بالصناديق. وعندما حاكموا جثتي في
شرفةٍ قليلةِ الضوء كنت أمرُّ بكفيَّ رقيقا على بطنِ
حبيبي الذي حذّرني من الإفراط في الرهان. كان
يعرف أن الكراهيةَ أقوى من الحب، في حين لم أكن
أمسكتُ بعد أن الطبقةَ التي التممنا حول أشواقها
يمكن أن تقلِبَ الأشواقَ كالجورب.

صِحّيٌّ أن يخونني الأصدقاءُ، لأن هذا المنظَر الرأسيَّ
سوف يمدُّني بلونٍ من الحزن لم أدرِّبْ عليه النَّفَس.
معظمُ الأحزانِ التي عشتُها كانت من نوع انتقالِ الأم
للرفيقِ الأعلى، أو هجْر معشوقةٍ في عزِّ احتدام
الصَّبابة، أو في أعمقِ الأحوالِ: سقوطِ مدينةٍ عربيّةٍ
ساهمتْ في سقوطها بالقصائد. لكن هذا الحُزنَ
الطازجَ سوف يجعلني حكيماً أغلب النهار ومصدَرَ
جاذبيةٍ لسائقي التريّللات.

* * *

لماذا تحملقُ في السُّجَّادة هكذا:
ليس في خشبِ الأرضية نسبةٌ من ظواهر الطبيعة، فلا
تكثِّفْ الضغطَ عليه بالكعبين. صحيحٌ أن القبقابَ
كان هنا منذ دقائقَ، مركوناً على ملتقى الأرضِ
بالجدار، يعلِّقُ سكونَه على هواءِ شرقِ القاهرة سؤالاً

ضعيفاً، بينما الرسومُ الشعبيةُ على جانبيه تجعل

المستقبل بسيطاً، لكنها رفضتْ فكرةَ الاحتفاظِ بفردةٍ

منه، فربما بعد عصور ينشغلُ المتخصصون في

جيولوجيا الغرام بالتنقيب عن الفردتيْن لجمعهما معاً

في مكانٍ واحدٍ قد يكون مُشابهاً لمتحف الشمعِ.

ساعتها ستتجاور الفردتان للأبد، طالما أن الأقدام

البشريةَ الحاليةَ لم تستطع أن تضع أصابَعها في هذا

الخشب الذي طار على ارتفاع ثلاثين ألف قدم.

فرجاءً لا تحملقْ: ليس في هذه الصناعة المصرية غيرُ

التسلُّخِ، وليس في خشبِ الأرضية إلا آثارُ أصابعَ لَن

يمسحها الرجلُ الوحيد.

* * *

ينبغي الآن أن نتحاشى الحنانَ، أنتَ جرَّبتَ أنه جارحٌ،
ثم إنه باهظُ التكاليف، فدعنا نفتِّش عن دُرج الأخطاءِ
بعد انقطاع النور في الفجر، بعدها يجوز أن يفكّكوا
أقفاصَ الصَّدْرِ في مقابل أن نفكّكَ القصيدةَ، فربما
يُشرِقُ الفرْقُ بين الألوانِ والضعف.

يونيو. أكتوبر ١٩٩٥

ديـــوان

الواحدُ الواحدة

(١٩٩٧)

كتبت قصائد هذه المجموعة فى الفترة من

أواخر « ١٩٨٩ » حتى أواخر « ١٩٩٣ »

ثلاثية المصري

حسن بدوي

طفلُ المداراةِ البَهيُّ يقوم من سَفَر إلى سَفَر
ويشبكُ في الهواء عبارةً،
عشرينَ عاماً أرجحتْه الفتنةُ اليقظى
على أسلاك حُلم لا يغيبُ.
يقول لي: هذي البلادُ تميمةٌ للمشي،
فاحفظها قبيل الموت أو بَعْدَ الجنون
أنا المواقيت التي ستعود بالقطن المَصفّى
فاحملوني،
ثَمّ أحْجية تراقبني
وأنثى تستعيدُ شهيةَ السنوات.

* * *

كم قلقاً سيطلبني؟

هنا عُمَّالٌ قلبي يحصدون بُقُولَهم في ليلة التوياد

أرقدتُ الفتى في حوض يَنْسُوُني:

انكئْ فوق ارتعاشات الأمومة،

واستعِدَّ لرحلة يختار فيها الصحبُ صحبا

والحزينُ دموعَه الفُضلى.

الطريقُ قريبةٌ من بؤبؤ الروح،

انسجمنا ساعةً في الوجد وانفتح السبيلُ،

وهذه الأنثى التي راقصتَها ستظل سوسنةَ الأقاليم.

الطفيليون يمتلكون أقبيةً،

ولكن سطح بيتكَ عائليٌّ في أماسينا

ومحتك بقَوسٍ.

* * *

ليلُنا خَمْرٌ،

فطرْزْ بُردةً للحالكات،

وليست الأعوامِ مملكةً

ولكن الممالكَ حلمُنا والقومُ.

خذْ شِعري رهيناً

واختبِره على حديدات الزنازين،

احتدادُكَ في المقاهي رأفةٌ،

هات السقايةَ وانسني بين التلاميذ،

استمعْ للصمت واشهدْ معصميَّ:

أنا اشتعلتُ كمصطفى،

ونجوتُ.

* * *

هل يكفيكَ قرطُ جميلةَ الذهبيُّ؟

كان عليكَ شمسٌ من حِسابٍ غابرٍ

فكسبتني.

عَلِّقْ صباحي أو صباحَ السيدات العاشقاتِ

على فتيل ضمادة الشيخ المسِنِّ،

وعِشْ على سُنَنِ البداوة،

هذه الأيدي ستخلق من مسامير القوارب،

والأنوثةُ بيننا شِصٌّ تداريه العقائدُ،

عندنا عنب نؤجله على اسمِكَ،

هل ستعجبكَ الشطائرُ؟

* * *

ليس في عينيكَ ما يُنبي بأني قد هُزمتُ،

الوردُ مقصدُنا

وأنتَ الحاملُ الأبديُّ للنجوى وأبخرة المحبينَ،

التفتْ واسأل صنائعكَ الأخيرةَ:

من سيمنح للخليل الصَّفْوَ؟

هذي ليلة أخرى لنا،

يا ربما هجسَ الحيارى بارتمائكَ فى الهوى،

فامرحْ،

وسُقْ عمراً كبرهان على أن الزراعة مَجْدُ أمي،

والتفلسفَ أولُ النزفِ.

ابنُ أختي أنتَ والمعنى يداك،

وأصدقائي من وصاياك القليلةِ طائلونَ.

عيونُنا أرقى من المُرَبَّعَة التي ترجوكَ،

أو تُحصي عليك الأضلعَ المخلوعةَ.

البلدُ الحرام مقرَّحٌ

فاذهبْ طواعيةً إلى بدءٍ.

جميلةٌ تسكبُ الماءَ المقطَّرَ فوقَ صدر المتعبينَ،

وترشد الزوار للدنيا،

وتقرأ ما صنعتَ من الدفاتر عند أُذْني،

صوتُها يُلقي على الطرقات مسبِّحةً،

تعدُّ فطيرةً للجائعينَ وتبدأ الإضراب.

لا ليلٌ بحجم طفولةٍ.

طفلُ المداراة البهيُّ يقوم من سَفَر إلى سَفَرٍ،
ويطلقُ في البراح سحابةً بيضاءَ.

* * *

كم قلقاً سيطابني؟
هنا الفسطاط بنتُكَ فادَّخرْ مِسْكا لها،
وقصاصتيْن من المواثيق.
الليالي ضيِّقاتٌ عن أصابعنا،
فخبِّئْ وردةً،
واذهبْ خفيفاً كي تعود مع الصلاةِ،
النارُ موقدةٌ بصحن البيت،
سوف نعدُّ شايَ الصبح:
كبرى العاشقات بجانبي،
فارجعْ بهرولةٍ لنشربَه معاً.

* * *

صلاح عدلي

خَلَت الأيادي من فتوحات الصِّبا،

والقلبُ لا يخلو من النَّـأيِ.

اختلافاتُ الليالي حِكمَةٌ يا صاحبي،

وبشارةٌ،

لِمَ قلتَ للرفقاءِ في اللحن الغريب:

أتتركون جميلةً نَهْباً لموتٍ جاهليٍّ؟

نامت الأوجاعُ وقتا

واستفاقت فوق لحم العاطفينَ.

ابدأْ بلحمي واستعنْ بدماي كي تخطو إلى

العَلَمِ المُرادِ.

هنا مَدَى،

ليست عليكَ لياسمينَ مَودَّةٌ،

قبَّلتهَا وشرحتَ درسَكَ باستفاضة مُلهَم،

وتركتَ في ذيلِ الفساتينِ اليمامةَ.

كنتَ ترمقني وراء الباب

ألعقُ قشدةً ريفيّةً من حلمَتَيْن،

فخنتَني بالهجرِ.

موعدُنا المُعَلَّقُ لم يَحن.

لا تنتظرني في الميادين التي عرفوا خصائصَها

على كفيكَ والقمصانَ.

هل حلَّقتَ أم عاصرتَ بادرةَ التأزم؟

مستمرٌّ أنتَ في عهدي،

ومخلوعٌ على العتبات،

لا غفرانَ يُرضي ساعديكَ سوى انكسار المُتَرَفينَ.

عليكَ أغنيتي ولَهفُ جميلةَ المخطوفُ،

قلنا في المساء المشتَهى:

ليتَ المآقي حُرَّةٌ لنكونَ مدارينَ.

أنتَ خرجتَ من أسْر المرارات،

استرحْ يومين من عينيك والجدلِ،

استمعْ لي:

ليس بين الحزب والشِّعر اتفاقٌ طائفيٌّ

فالضلوعُ وسيعةٌ،

ورجاءُ أجملُ من ملائكة محنَّطة.

خطوتَ إليَّ عَكسَ القلبِ هيماناً

فقل لي: كيف سَرَّبتَ البيانَ إلى يديَّ

وأنتَ تقذف بالكُرات إلى شباك فريقنا القرويّ؟

قالت لي جميلةُ:

لستُ أعرف أنه من طينة الكهّانِ،

قلتُ: شقيقُ بنتي،

وانفعالتُه تقيَّةُ رحمةٍ.

شربتْ عصافيرُ الشوارع من يدي،

وحديقةُ الحيوان مقفرةٌ

سوى من عاشقٍ فردٍ يحط غزاله فوق الغزال،

وينثني.

لا تنتظرني في الميادين التي كشفوا لغات نخيلها.

أو سجّلوا بصماتِها فوق البنفسج،

خذ عن المعلوم من خطو،

أنا لم أُنهِ بين يديك أسئلتي،

ولم أشرحْ غرامي في اجتماع الدعوة السنويِّ.

موعدُنا المعلّق لم يحنْ،

لا ترتقبني تحت أمطار الجنائن،

هل أدلُّكَ أين أكمن؟.

إنني في كفكَ اليُسرى أعيشُ

أُعدُّ بُرهاني لقهر خطابك السحريِّ،

فافتحْ - حين ينطبق الحديدُ عليكَ -

كفَّكَ كي تراني،

ثم نكملُ ما ابتدأنا من حواراتٍ مؤرِّقةٍ،

ونضحكُ

مَرّةً.

مبارك عبده فَضْل

راق الوجودُ على اليدين

وشَفَّ دهرٌ،

كان يقطع هذه الأفلاكَ مَشْياً،

يكشفُ البلغَ المخبّأ للحياة،

وينتمي للمُضْمَر البشريْ.

نامت في وسادته هنيهتُه على الأوطان

وانسابت مُنَىً.

قلتُ: انقسامُ الوردِ لمحٌ عابرٌ سيزولُ.

غامت مقلتاه كمُدْنَف،

فمررتُ.

لا تحزنْ إذا انكسرتْ غصونٌ في تكيّتنا البعيدةِ،

هذه الأحلامُ طافحةٌ،

ولكنَّ الطرائقَ ذابلاتٌ.

أنتَ يا صوفيَّ طائفة النهاريّين،

كيف سترتأ الصَّدعَ القديم؟

أنا رأيتُكَ في مسيري:

كنتَ خاطرةً تؤلبُ نفسها تحت القفاطين القديمة،

تهتدي بالروح في فيضانها الذاتيِّ،

تسكبُ للرعاة نصيبَكَ المقسومَ من

قلقِ الجبين ومستحيلٍ أزهريٍّ،

ثم تخلعُ في الخَليَّة جُبَّةً

وتنام مثل الذئب.

رفرفةٌ ستنزلُ،

قاهراتٌ في الحوارى،

قاهراتٌ في النجوع،

الشوقُ مشكلة وهذا القلب أضنته الرؤى،

يا شيخُ هل من جمرةٍ في النفْس؟

كان المغرَمُونَ أهلَّةً والماءَ يحبو،

«قُرْنَةُ» انتبهتْ عليكَ وأنت تصنعُ من

مآذنها المناجلَ للحصادِ الموسميِّ،

وتختفي في القاطراتِ.

العَزفُ موصولٌ فكيف يجوعُ نيليُّون؟

ها بدني استوى،

عِدني بأغنيةٍ لأعرفَ أنني لم أنشرخْ،

وادخلْ عليَّ بنَقْدَتيْنِ،

ودلَّني:

هل ستكفُّ كفِّي عن ملاعبة الهيائم،

أم ترى ستعود للعزفِ؟

اعترفْ:

نوبيَّةٌ هذي الحَصَاناتُ القليلةُ

فاختزنها سَاعةً

واشرحْ فؤادكَ بانحلال الأرضِ في دمنا منابعَ

ليس فى الوجع اختلافٌ

فاتجه لي لتسألني:

متى سيحررُ الشِّعرُ الأصابعَ؟

خُصَّني بالقول،

أثقلَكَ التشرذمُ،

فانحنيتَ على الحمام كأنّ ستحصي الضائعات،

وكنتَ تهمس:

يا جميلةُ جَهِّزي الشُّعراءَ.

أنت أخو أبي،

فاحفظْ مواويلَ الصبابة تحت شرياني

ولا تغْفلْ دواءَ الضَّغط،

أمي فوق رأسك بانشراحين،

افترضْ خيرا ولا تغمضْ مُفتّحةً،

فهم يترصّدون مسيرَ رأسكَ حين تينعُ.

هذه الأحلامُ ممكنةٌ،

فقُمْ سيراً على قدميكَ نحو نوافذي:

أعطِ الجميلةَ لي.

وسلّمني الإشاراتِ الضروريات.

هل أُبلغتَ أن زنازن الرؤيا

اسمُها الحركيُّ في هذا الدجى:

حُرّيّةٌ؟

أكتوبر ١٩٨٩

خليج المرايا

(يدورُ على نفسه الحقُّ،

يلبسُ أقنعة من حرير القلوب،

ويمشي على السِّلك ملتبسا بالغوايات:

تنخطف الحدقاتُ إلى شهده الدائريّ،

وتصبح في شَدَّة الخيط أوطاننا دُميةً)

هذه ظهيرةٌ غيرُ شرعية:

شمسٌ مصنوعة بالمعدّات،

وأفئدة من الفلّين تطفو على الخلجان،

وبينهما حضارةٌ زعافٌ وماءٌ غيرُ شرعيٍّ.

صرخ ابنُ جاري: هواء غيرُ شرعيٍّ في أصابعي،

وحكوماتٌ تطلُّ من مشرحة أبي الريش سالمةً.

لكن الملقّن ما زال يصرخ:
دمٌ غير شرعيٍّ في الملفّ والخوذة،
وريق متعدّدُ الجنسياتِ في فمي.

أنتَ الذي علّمْتَني أن الخُطى تصنع الطريق،
فكيف تفصل الوردةَ عن أمراضها العائليّة؟

الطُّهاةُ جاهزن وقُبلة الشَّفَةِ السُّفلي محرَّمةٌ،
فكيف خذل النزيفُ أمي؟
لم أقرأ «الأمير» لكنني أراه في الهندام والقبضات.
أنتَ تكره الكنوز في العمائم،
فلماذا لم تنتشلْ إسحاق الموصلي من جُبِّه؟

(يدورُ على نفسه الحقُّ،
تلمع فوق المرايا الفتوحاتُ مدهونةً بالمحبة،
والنَّفسُ أمارَةٌ.

كتفاك أم العَصْفُ مستَترٌ في الخلايا؟

مواقيتُنا أرسلتْنا إلى الذبح منتصرينَ:

يتوجنا مرمرٌ طائفيٌّ)

أخط وأمحو:

القصدُ والسبيلُ شفرتا نَصْل،

فمن يعيرني حنجرةً لأصرخ:

ارفعوا أحذيتكم عن بابل؟

حطَّ الغزاةُ في سريري فرفرف لقلقٌ يموت.

كتبتْ جميلةٌ على شاهدةٍ: شرفة القرصان فخٌّ.

كلُّ البواغيز فاسدةٌ، فقولي للمحزّبين:

الشعراء لا يحصلون على بلادهم هديةً من الخُطّ.

أحتاج حُلكة صافية لكي أرى صديدي،

وأحتاج أن أقرأ الفصول كلها:

من القضم حتى الاحتراب.

فكوني لساني عندما تنهض المقاصلُ في البيوت،

واسألي بغتة: هل كرْبلاءُ أشرفُ من مكة؟

صُنَّاعُ المحارق مرهَفُونَ،

فكيف يفرّق ابن جاري بين الفرات والشيح؟

كان اجتماع السقيفة عامرا بالمحبينَ:

محب ١: غبارٌ وفتنةٌ،

محب ٢: ثروة تهزم الثورات والرصاصُ عادلٌ،

محب ٣: أطفالُ نينوى يجيئونَ في الحلم طائرينَ،

محب ٤: الثوراتُ تقتل نفسَها بصبوة الكرسيِّ،

محب ٥: حصن يضيعُ وأفق يضيقُ،

محب ٦: وإباءُ الروح والعهدُ الوثيقُ،

محب ٧: وما الحربُ إلا ما علمتم،

محب ٨: عيد الطفولة أم يداكِ يمر بردُهما على ناري؟

محب ٩: فأمزّق مظلمتى ثم أكتب فيكَ قصيدة،

محب ١٠: زهرة الشرِّ مورقةٌ.

تُعوزني زوارقُ مخفيَّةٌ لكي أفهم الريحَ وأحصي بلادي،
وألقطَ السؤالَ الذي دقَّ بابَ السقيفة:
كيف أذود عن الكوفة من غير أن أنقذَ الحجاج؟
قال المرابون: إسرائيلُ طيبةٌ وكلُّ حليفٍ شهيد.

مرّتْ جميلةُ خلفَ مخبأ الرونيو وتركت شفرةً:
البلاغةُ فوق كلّ جثة،
والمجرمونَ سواسيةٌ كأسنان المشط.
وأنا أمرُّ على بلادي حلسةً أعيد سؤال أمي:
هل جِنينُ أبعدُ من بُخارىَ؟

قال ابن جاري: ماذا رأيتَ من ثقبٍ؟
فقلتُ: مدنٌ سليبةٌ.
والمصاحفُ فوق تورنادو وسكود،
محمد بن عبد الله دستورُ خصمَيْنِ،
وقميصُ عثمان يخفقُ فوق كل دُشمةٍ.

ليس هذا السائلُ علي الرمل دمي،

وهذا الذي يجري في عروقي ليس دمي،

هؤلاء الأعرابُ المنهارونَ ليسوا عشيرتي،

تكلم يا لسانَ الحزنِ:

عاصفةُ الصحراء ليست عاصفتي،

ولا أمُّ المعارك أمي.

فلماذا متحتني هذه العفونات

قائلاً: إنها خيرُ أمّةٍ؟

(يدورُ على نفسه الحقُّ،

سيِّدُنا الزيتُ يصعدُ فوقَ الجماجم مؤتزرا بالإلهِ،

يدسُّ علي الدمِ دماً ويتركنا ساجدين،

الرعاةُ استفاقوا على قارعٍ عَسكري،

وأهل المزارع يصحون في قبرات المشانق،

والسيّدُ الزيت يُخفي المحفَّات في سُترة المشرقيِّ ونفاثهِ،

سوف تمشي الجنائزُ في نجد والقادسية،

والسّيدُ الزيتُ يحنو على كلِّ أرملة،

ويُمَسِّك من يغمض العين مسبحةً من

رءوس يقطّفها الرعبُ،

هذي المضاجع مهجورةٌ من لهاث الأجنّة

معمورةٌ بالبياض المسلّح،

جاء المحاربُ يدفع خاتمَه في مقايضة

كي يفوز بوطن وشاحنتيْ سكّرٍ،

وعلى النجف الأشرف السيدُ الزيت يعلو.

يُخيّرني بين خُبزي وقَيْدي،

ويبني المكائدَ في قبلة المسْجدَيْن،

يدورُ على نفسه الحقُّ دورتَه المستميتةَ

والسيدُ الزيت يرقص مؤتزرا بالإله)

يطلعُ عليَّ ضحى ملتبسٌ:

لصوص في بُردة الرُّهبان،

أوطان تُحرَّرُ بالأُجرة،

بغيٌّ على مئذنة،

ألفا طلعةٍ جوية كلما دقت التاسعة،

جماهير مسيَّرةٌ بالريموت كونترول،

تجار حشيش من سلالة إبراهيم!

كيف أفرز الُدرَّ من القَار في هذا الغَلسْ؟

وهؤلاء الذين يسوقون قلبي:

مجاهدونَ أم عسسٌ؟

أنتِ فتحتِ كتابي وقرأتِ:

خذوا خدّي سقفاً للبَصْرةِ يحميها من ليلِ أبابيلَ،

هنا الأكفانُ مرتَّبَةٌ بالحاسبَةِ الآليَّة،

فاغتسلي في المُهْلِ وحُطّي القمصانَ المكذوبةَ في النارِ،
فلسطينُ ابتعدتْ كالحُبِّ،
ولكنّي لن أدخلها تحت بيارقِ أيلولَ.

انتبهي، تلك نهايةُ شَدْوِ القوميِّينَ:
السّفّاحونَ الصُّغراءُ
يحاجُّون السّفاحينَ الكُبَراءَ،
وبينهما تاريخٌ يهوي في بئرِ سيانورٍ،
ومساحيقُ تزول.

١٩٩٠

صحراءُ منزوعة الأصابع

١

تيهٌ من ورقٍ مقوًّى،

وأفئدةٌ مطبوعةٌ على البنكنوت تنزفُ،

كسرْتَ رقابُ البلاغات،

لكنَّ محطةَ الإنذار شامخةٌ،

هنا ختمٌ أمي: زاهيةُ السيدُ نصّار

وخلفَ الستائر فتىً يقلّبُ الوثائقَ الرائجه،

عساه يرى: لماذا تصيرُ الفرائضُ مقسومةً

بين الحكوماتِ والعشبِ الإلهيِّ؟

سَهِرتْ عناياتٌ وأجهشَ الأطباء،

هذا طوى المقدّسُ

وهذه المرأة التي تحبل نيابةً عنى،

فمن ذلك الجنرالُ الذى يُخفي دمعةً في السيفَيْنِ المتقاطعينِ؟

كظيمٌ ابنُ كظيم

كانت فتاةٌ دَرّاجة تحدثني عن شقائق الجامعة،

فرددتُ: الإنذارُ المبكِّرُ عكسَ عبد الحليم حافظ،

عساكرنا موثوقونَ إلى حزيران،

والماءُ لا يفصلُ بين المأتم والمآتم.

قلتُ: إبراهيمُ أصلان ليس مؤرِّخ الخراب،

ولستُ منَسِّقَ الأعلام البيضاء،

عندي فتاةٌ لم يحفرْها سوى الشبينيين،

ولم يمتْ بها سوى نطفِ خمسٍ ألقتْ بها

فتاةٌ دراجةٍ تحت قبْلةٍ،

زمُرُّدٌ مُراقٌ ودَمٌ في كشوف الحساب،

تحرَّكي جهةَ الجنوب لعل أمراً يفجؤ الرهطَ،

كيف اصطدمتِ في قزح سانت كاترين؟

لا تضعوا أمام القضاةِ قلبي،

أرى أشباحاً يفردون الخرائط القديمة،

وليست المناجاةُ للزُّناة،

قالت المرأة المُصفَّاةُ: لا تتحررُ الأوطانُ بالفقه الدستوريِّ،

خذوا عَيِّنةً من كبدي تحت المجهر،

ودبِّجوا الفتوى:

هل أنتمي لكليتيّ أم لقَاصفي أبي زعبلَ؟

كظيمٌ ابنُ كظيم ومحطةُ الإنذار شامخةٌ،

هذا طوى المقدسُ وأولئكَ الرؤساءُ المدنَّسونَ،

فمن ذلك الجنرالُ الذي كتبَ بلسانه على بلاط ميناهاوس:

لا يجلو الغزاةُ بشهود النفي؟

تيهٌ من ورقٍ مقوّى ودمٌ في كشوفِ الحساب.

٢

هكذا بَقَرَ الوحشُ أختَه:

هيئةُ الكتاب نافرةً،

وهذه فتاةٌ درَّاجة تراجعُ سُنَّةَ البَطْش،

مرَّةً أتاها رعاةُ الانقلاب،

فأزاحت الآلة الكاتبةَ عن أمِّ القرى،

وقالت: كمْ سَنَةً قضاها الشاعرُ فى حَبْسِه؟

كان رواقُ المهرجان عامراً بالمدسوسين والوُعَّاظ،

فاخلعْ نعْليْكَ دونَك ختمُ أمي: زاهيةُ السيد نصار،

مَرَتْ تهزُّ على المقرفصين البرامجَ والقمحَ،

وتخبِّئ الأسى خلف المذكرات،

هل طلبَ سائقو القطارات خمسينَ مليما؟

لم يَعُد المفهرَسُون بالنبيذ والخردوات،

وما من مفكِّر رأى الوشيجةَ بين خطواتها ورقبتي،

هيئةُ الكتاب نافرةٌ،

حَكَتْ لصاحبي عن العائلةِ وأقسامِ الجراحة،

وتركتْ على المائدة ذاتَ الهمة،

لكن أحدا لم يفكّك الهواءَ بين قطمةِ الرأس واضطرابِ تلاوتي،

كان أصفرها زاهرا خلف مجمّع الأديان،

فلم يُخِفْ لؤلؤةَ المخابرات،

قالت جميلةُ: الشعراءُ يشبهون الهوائيَّ،

فردَّ سائقو القطارات:

نحن سُقاةُ الهوى فمن يعالج الربوَ؟

مضتْ طوابيرُ العازفينَ تحت إبطيها،

فاستيقظتْ في آخر التراث،

كأن عِلْمَ النبات معلّقٌ في أذنيها بإبرة

لكن مساءها مرمّمٌ،

هرب المزيّفون إلى الأضابير،

وبات سلاحُ المهندسين مغدوراً،

فأمسكَ الشللُ عينَها اليسرى،

مؤخرا صار جلدها حنطيا ولها أجر الخطأ،

فلماذا جرجرتني المآذنُ المكسورةُ في معصميّن؟

كانت وراء محطة الإنذار تصرخ:

هكذا بقرَ الوحشُ أخته.

٣

مرق الشهابُ على منازلنا فخُضنا عمرَنا المرتدُّ/ هل فَرَّتْ على أبراجنا أممٌ ومغزلنا عصيٌّ؟/ هان ودٌّ فاستباحتنا ممالكُ عبدةٍ/ لا يسلم الـ/ صدر النجيّة لينٌ في الريح محروسٌ/ فكم قوساً سيلزمنا لنعفي الروحَ من سقطاتها ونؤوب؟ / داري في هشيم الشجّ سابحة ولكني الصُّوى/ هيِّئ حروفَكَ يا كلامُ فلي على مهر الطبابةِ دلة/ شرف الرفيف / يهوي هواكِ/ أنوثةٌ أولى وآخرةٌ تريق الكهرمانَ على سَبِيٌّ/ أيهذا المستجيرُ من الولاية بالوليّ/ يظل جرحٌ فوق بحريْها يكلّمني: أنا من شهوة الحرية انجلبتْ قطوفي/ يا زمانَ الوصل صِلْ شرقي بأمسية الختان/ على الأرائك ينظرون فأين أخفيتم يمامي؟/ أهل أختي خلف أبواب الحرابة واقفون/ الليلُ خصمٌ للدجى/ ع من الأذى / لفَّت جميلةُ رأسها بقميص واحدها وناحت: يا وحيدُ/ ضريبة المال انجبتْ وضريبة الضباط في صرر الخفير فأين يأتيني

حبيبي؟/ ذي صوامعنا على كتف اللواء مخمَّسَاتٌ بالبريق
الحرّ/ يا كبدى اشتعلْ / حتى يُرا/ كل الصبايا ضارعاتٌ/
كم شهيداً شقَّ أوردةً ليمشي فوقها العملاء والمفتي؟/ خلاء
هذه الأوطانُ من غزل البنات ومن تفاصيل الخطى/ قَ على
جوا/ لا بيرقٌ في الكفّ لا سمكٌ على نار الليالي/ كلُّ سارية
بضائعُ والنشيدُ خديعةٌ/ قالت على جرف المضائق: جهزوني
للجحيم وجرّسوا الوزراء/ أسلحةُ الإشارة سلّمت شفراتها
للدائنينَ/ انغلْ بجوف جنائزي يا غِلُّ/ أختي في انتظار
خطيبها منذ الصبا / نبه الدمْ.

٤

كان بين يديَّ بدنٌ ثريٌّ بالثريّات،

مرّتْ أظافري على عظمةِ الساق فانهارت رؤى،

في أي مترين ثوى ذراعُ سعيد فراج؟

قلتُ: مرمرٌ زماني وفخذُك على الدّست استوى

مخطوطةُ الزراعيين مجهولةٌ وهذه صحراءُ منزوعةُ الأصابع:

امرأةٌ عليا تسُقِط حملَها تحت المنصات،

وتحفر على شاهدةٍ:

ثلاثون دبابةً تساوي عابدين،

ليس إرثي سوى ختم أمي: زاهيةُ السيد نصار،

فجلَّ الفدائيُّ والمفتدَى،

حوّمتُ حتى تبينتُ تختةَ الفصل،

قلتُ: أسراي شاخصون في عنابر الإذاعة،

فتاةُ دراجةٍ خلعتْ عن الدلتا رسالةَ الغفران،

وصحّحتْ كراسةَ الإنشاء للجرحى: طابا غزالُ البر،

ليلةَ رحل مصلحو الأعطاب عن الرسول،

فقالت ضارباتُ الرمل:

المطار الحربي عاقرٌ والأحبَّةُ مفروزون.

جيشي سكرانٌ يا مكتبَ الأمن،

وبنتُ رجاءَ تنازلت عن وليدها لي،

لكي أخطَّ العقدَ لأجيال الشرخ،

لكن ذراع سعيد فراج يطفو،

يفصل سيناء عن المغربلين،

قلبي عجين والحياة منزوعة السلاح،

أوقفي حقنةَ السكر يا أمي،

فإحصائيو الخسائر متعبون.

سبتمبر ١٩٩١

بلطة في أم رأس

صعب

لم يكن اللقاح بين المجاز والأنوثة لهوا،

لكنها راحت تخبّئ اللوعة خلف يشمكٍ،

وتلعن الخنازير في ثياب النص،

ما من محقق رأى الخيوطَ بين رعبها والترو،

كان أهل النقل فوق شرفتها يرتبون رقصة اليحموم،

وكنتُ في مهواي أعزّي المقرّحينَ:

صعب مساؤها،

مساؤها صعبٌ.

بكيت

تركتُ على الخوان نصفَ مودَّةٍ وانتحيتُ
ولوّحتُ بجوربها المغموس في الطمث لأبي،
كان خارجا من مسجد البحرية:
محفوفا بالخفراء وجامعي المانجو.
صنعتُ ألف كتابٍ معلق تحت فكّيها ونمتُ
زارني أبي بعد السراح من زنزانة
قال للرجال: كان الحصار محكما والجنود مدّرعين.
استجارت حنطية الجلد بذكرى عشيقات جدها.
وقالت: عليك ثمانون جلدةً،
حينما انكسرت المآذنُ ليلة الرّي صحوتُ:
كانت ذئبةً وذائبة،
وثدياها على المائدة حجران أسودان،
أخذتُ أبي إلى زاويةٍ،
وحينما انصرفَ الخفراءُ وجامعو المانجو:
بكيتُ.

رباباً

ليست مباهجُنا سرايا:

صُبحُ التساقي، جأرةُ الوحش، الرقاعةُ، خلطة الحلْ المحلّى بالحرام، تجبُّرُ الفصّ، انكشافُ الكهرمانة عكسَ ماء النَار، قط أذاننا الشخصيّ، قنصةُ قانصٍ، وتحوُّل الأنثى ربابا.

كبَد

أحاطني بخطّته:

«ما زلت أطيرُ فيه عشرَ سنين»،

هيتَ: الانتقامُ استوى على الهامات،

والبسطاميُّ مأسورٌ في مخيلة الغير،

فجأةً: رملة بولاق استضاءت مخلّصة أعينَ الولدان

من قذى: وقفُ هي اللغات،

فرأيتُ ندمَ الطريق يغفو على الكرسيّ المدنّس،

سكنة بسكنةٍ يرجع المستوحش إلى ملجأ

يزاول النزيفَ الآدميُّ بحنكة المصطفى:

ذلكم هو المقدّس،

ذلكم هو الجميل.

والذي ينير بينهما ليس غيرَ أعيرةٍ.

سمعتُ أختي تقول:

إذا شفّني الوجدُ سأسقي في نوافذي لبلابةً وبطاطسَ،

فكتبتُ على باب منزلها:

خلقنا الإنسانَ في كَبَد.

الوعّاظ

تدلّت أجسادٌ مسلوخةٌ من تيلها مشطوفةٌ بعلقم،
شهدتُه يقول: الأنبياءُ لا يَقتلون بالغمز،
فأزاحت الخُنّاقَ عن سريرها وباحت:
نبات الظلِّ مسقيٌّ بالوعّاظ.

الفتح

شرح البلاغيون مغزى: فاقةٍ

وأباح عيسى الغوَّاص في قفزةٍ سرَّ: وطن

بينما امرأةُ الكوابيس تسأل:

هل وَطَر في وَتَر؟

قال ذاهب: كلُّ كمال كان في كان لا في يكون.

قال قادم: نحن الهيامُ بالحواس الخمس.

الروائية نامت بعد لطمة البعل،

وهم يورقون في جهل المصنوع والصنعة.

حوِّل الدفة:

لم تكن اللوثة في يد أحد،

وحينما تلاطمنا صرختُ:

هل تقذفين السنواتِ الخطرةَ إذا شهقتِ: يا كلبُ؟

يخرج بربريٌّ من مضجعه إلى القتل،

فراحت سيدةٌ تملأ القيراطَ بآثارٍ مسوَّقةٍ،

وتدقُّ في معصمها:

أنا المربوطةُ في وَتَد الفتح.

العذابا

ليست مباهجُنا سرابا

خذ: هذه شمسُ التباسِ اللغز باللغز،

اختزانُ مسرَّةٍ،

ثمرٌ يطيب وكان طابا

نعدُ الزمانَ بدفئه والمجهدين بكوّة المعنى،

ونصنع من أغانيج الهوى للظامئين لنا شرابا،

يَعدُون كلَّ مليحةٍ بالسلخ،

كلَّ مهندسٍ بالمُهل،

والعشاقَ بالقار الذى تطهوه ساقيةُ السعير،

ويصنعون من العذوبات العذابا.

طرفة

هاكَ الكنانةَ:

لا صيادَ لي ولاَ حدَّادَ للقَفْس.

ظلت معارجُ الراهبيِّ في خبائها.

ودامت الأطلالُ مبروكةً،

اثبتْ: فليس المَنُون والمنيُّ طُرْفةً.

للتعجب

رأيتُه محبوساً في ديار المغرب / فاصلة/

كان سقمه طافحا فانقرضَ الطريقُ/ فاصلة/

قلتُ/ نقطتان رأسيتان/

انقشع الغمامُ وتخرَّقت المشيمةُ / فاصلة/

حينئذٍ/ نقطتان رأسيتان/

فارَ التنور من الشكل المخروط/ نقطة/

مساحة بيضاء/

هذا ما جرى / نقطتان رأسيتان/

عندما حرَّم السهرورديُّ على السيدة

عصيرَ بطنه / علامة للتعجب /

البقرة

وراء التماثيل قالت: ذراعي هدف للرماة،

حكتْ في الصوامع جُبَّةٌ تبدل الوقائعَ بالبسملات،

فمضى نحاسُ العرائس،

هل كان أبي جائراً على نسائه الكثيرات؟

أيقظتْني أمام «الخماسين» فانفتحتْ مرابضُ،

لكن ملثما صاح: ويح للمساخيط

دهنَ الأطباءُ نحرَها بالمقانق المحرَّمات،

فاصطفت الشاحناتُ في القلب،

وظلت جواريها حائرات بين المسلّة والفاتحة.

متى إذن سيفهم القضاةُ أن بابَه الشرُّ؟

استظل عبد الغني بجميزة عشر سنوات

يراقب الصاعدين ويشرب الفواتَ المُر

قال للصبي: هل يغلب العاجزُ العاجزَ؟

وطار في سنَة،

بُكرةً: هجَّتِ المحاصيلُ،

ولم تُقرأ «البقرةُ».

بشَخْرة

ليست ليونةُ مرفقيها قلنسوةَ الولاة،

ويبدقاها على قلق كأن الريح،

حاولتُ أن أكون مورِّدَ الأقفاصِ لتاجر الكناريا،

لكنني ارتعدتُ.

كانت جروحها تطيب مائةً بعد مائة

والهجرةُ إليها كناية عن غسيل كُلِّيةً.

صاحت حلكةٌ: نحرِّر الأقصى بالمدائح،

لا ملامةَ: انكسرت درّةُ البرنس،

لكن فتحةَ الغار محفوظةٌ لأهل الدرايات،

وسمُّ الإبرة مشغولٌ برحى المدنف،

وأنا من وراء أبي أهرس البقلَ،

والغلمان حولي يرددون:

يُبعث الفتى بشَخْرةٍ.

رمل

رملٌ على الأحداق والأحداقُ رملٌ، ها هنا رملٌ إلى رملٍ
يجيءُ، وهذه الأعمار رملٌ، كلنا سِرْنا إلى التابوتِ والتابوتُ
رملٌ، ليس في رمل الوداد سوى رمالٍ، سطوةُ الرمل استجارت
بالأرامل عبرَ رملٍ، رملتان: على رئات السائرين وفوق أعناق
الهوى، رملٌ يبدِّد غرينَ القرويِّ يقذفه إلى رمل الجزيرة، كلُّ
رمل كان رملا ثم صار قيانَ رملٍ، من بخارى للرميلة، يصبح
الرمل الحقائقَ، يا لرملٍ من رمالٍ عند رملٍ في صِبا رمليٍّ،
الرملُ البدايةُ والنهايةُ، والفتاةُ فتيتُ رمل.

رأس

نهضتُ في شريعة وانكسرتُ في شريعة

قال محمد الشَّبَّة: السماءُ للسماء والأرضُ للأرض،

لكنني أبصرتُ جِيدَها غيرَ فاحش وترائبها صقيلةً،

قلتُ: ليست نؤومَ الضحى ساعةَ خوار أبي أبيها،

وجعلتُ الطيبات تحت عجيزةٍ،

بعد برهةٍ: كان امرؤ القيس تحت المظلة مشلولا،

طافت حولنا وصيفاتٌ من زفير السَّحق،

فرددتُ أختي:

نحن مكتوبانِ في اللوح هكذا:

بلطةٌ

في أمِّ رأس.

الباء

لم تكن ﻓﻲ سؤددها على اتجاهِ المَرْج،

شكتْ من القيء فى أغسطس،

فانتبهتُ على خواتيم لم أجهز لها ساقيٌّ.

يأتي رجلان من دياري:

يحكي واحدٌ عن جاهلية العزف،

ويسحب واحدٌ يده من مدافن الصدقات،

قلتُ: أُختي اختارت المتحف،

وهو لا يزال:

مقرفصاً يتربص به «الصولجانُ المتعطش»

راحت تبوّبُ المشوقينَ فى دفتر الهجر،

وأحشاء عليٌّ على سريري،

فصرختُ: أنا النقطةُ تحت الباء.

معزولين

قلَّمَ غصونا وجهَّزَ الزكاةَ: عُشْرَ نارنجةٍ،

واستدار للفتى: لا تقبَّلْ يدَ القطب،

رأى خلخالَ أمي فأعطاها حُجَّةَ البيت.

لم يكن يعرف أن المصاحفَ رفرفتْ على الأسنَّةِ،

لكنه بفطرة المزارعينَ كان يدرك الكيدَ،

وفي السادسة: بان الأحباءُ معزولينَ.

العُقداء

آنا طعنتُ أختي حينما كنتُ في ساحة الحرس

وأنتِ جاءكِ الفجرُ حينما كنتِ تقبضين على بلال،

لا غروَ: ثعبانُ الهضيمة يجري بين حراءين،

وتحت ليفةِ الذراع صفقاتُ موت.

لم يزل جلد الكاحل مدبوغا بجنزير عليِّينَ،

فمرقتُ من: طلع الصباح وجسدي ناقصٌ جسدي،

حضُري في الضحى ركوةَ السلام

مصرُ تزن مشفَرين وعوَّادُها عليلون،

نفتح الخزانةَ:

مُديةٌ في ثيابِ العُقداء.

خرابا

ليست مباهجنا سرابا

منا اعتناقُ الدهشة الأولى من الألم الأخير،

فيستحيل المستحيلُ على تناجينا سحابا،

منهم فيافٍ مثقلاتٌ بالجوارح،

يستحيل التين والزيتون في بُشرى مشاعلها حِرابا،

فاستمسكي بالجمرة الوثقى التي سالت

على أقدامنا شهداً مذابا،

من قبل أن يصلَ الغزاة إلى صوامعنا،

يحيلون اختمارتَها خرابا.

وذْع

كان الزناةُ طوابيرَ أمام الباب العالي،

فشدَّني أبي من البرزخ بين النزيف والسَّلف،

ربما أقبلَ العبيدُ بالأثاث فانتشيتِ،

لكنك لن ترسلي الصوتَ المليءَ بالخاءات،

الباعةُ يخافون ابن رشد وأبناءَ الصنائع،

يا أختَ روحي:

أنا اتسعت خطاي وضاقت السُّبلُ،

قال: برئتُ من كسورِ الضلع،

قلتُ: الكفُّ أخو الكف والفتيةُ آلُ أمثولةٍ،

ربما صارت مقابضُ الفضة أشهى من:

«الوتر والعازفون».

لكنكِ لن تأسري أبا الهول بالأسود المشَفَّف،

سيكون التأويلُ وصيةَ الحيِّ للحيِّ،

بغلٌ يحمل الجثةَ والمؤلفات بينما الرعاةُ مُبْكرون،

قال في فضاء المشيِّعين: «الحقُّ لا يضاد الحق».

فطفَّ ميزانُ اليوسفيِّ في ساعد الكهل،

وصاح في ابنه:

ودِّع.

الحبس

تركض وكعبُها مكشوفٌ للسهم،

كانت العباءات في الموسم التجاريّ موحياتٍ بالأبد،

توهّجتْ أمُّ القرى لكن المسرحَ مطفأ،

فيمشي القَصَاص على بخاريةٍ ينتقي من كلٍّ زوجين.

واجهت حنظلاً سيطبخه الناجون في قدّري،

لذا: تقهقر الملثَّمُ الذي رشَّ على المدارس سخاما.

كان يختبئ خلف: كهيعص،

لكن فأسَ أبي أجرت الماءَ في الماء،

ذُبحتْ إوزّتان في عُرس الفتى فتوزع الحُسن،

وحيداً لاقيتُها في: حَمَّالُ أوجه،

وحيدةً غادرتني في: سكَنٌ لكنَّ.

ضمَّها أبي إليه في خُصِّه وقال:

تزيَّنى وأظهري الآلاءَ واللؤلؤَ،

ثم أجلسها على نورج القمح،

ريث يمسح عن أنفِ شاعرٍ صعقةَ الحبس.

يداي

أنهى أبو هريرةَ رقعتَه وراح يُحصي الدراهمَ،

صاح صائحٌ: هل العذابُ تنزيلٌ؟

فصار لسانه المشجوجُ بَرَدى،

أشرقتْ ثلاثُ ليت:

ليتَ سيدةَ القُطْر ما أضناها التملُّكُ،

ليتني ما عاينت رمشَ العين فوق كشحيْن،

ليت الزمانَ عينُ شمس.

هشمت الذقونُ غرفةَ الإنعاش وخطفتْ القسطرة،

خطرتْ على الجسر ومرمْرها مرايا

فقلتُ: سلامٌ وبردٌ

لكن الملثَّم قال: ليسَ غيرَ الدُّف،

واستقر قرنُ الغزال في رقبةٍ.

هكذا: أفلتتْ من صدر الفتى أمُّه،

غائبٌ صوتُكِ وغائبةٌ يداي.

العيون

أنتِ الملائكُ لا المليكةُ، والمَلاكُ ولستِ مُلكاً، زهوةُ الملكوتِ لا زهوِ الممالكِ، نفتدي أشواقَها بدمِ العيون.

أغسطس - سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٢

«ما زلت أطير فيه عشر سنين» للبسطامي. «انقشع الغمام وتخرقت المشيمة» من السهروردي. جيدها غير فاحش من معاني امرئ القيس. «أنا النقطة تحت الباء» لعلي بن أبي طالب. «الوتر والعازفون» عنوان كتاب نقدي الشاعر، «الحق لا يضاد الحق» لابن رشد.

كلنا التقطنا سِنَّارة الموشح

عكسَ الشرق

انقلبْ على عقبيكَ وامشِ عكسَ الشرق،
هذه اللؤلؤةُ المبريَّةُ من شَغَل
أطفأتْها الحِيَلُ،

ترابٌ ثانٍ

هزّتني آلةُ الإجابات فأودعتُها سري،

معهدُ المسرح خالٍ من الملقّنين،

في آخر المشهد كان ناثرٌ يموت

والأكاديمية مقفرةٌ من القسم الحر،

قلتُ: ما ألطفَ هذه الشمائل،

والتفتُّ: فإذا الزراعةُ على جبينٍ منصورةٍ،

طابَ الوقتُ،

وتَسَلطَنَ الطائرُ الأسود.

أشركتُ أمي

هل تذكرين جعْلَ الجزازاتِ أهزوجةً؟

كنتُ تحت أصابع القدمين أستعيرُ عشيقَ ولاّدةَ:

تهّ أحتملْ،

لم يكن خلف الملاءات غيرُ رقطاء،

وأنا صاحبُ تخليد الشفرتين في شريحةٍ،

ومعلّمُ الفجورات والخَطْ،

في مُلكِك المَفرد أشركتُ أمي،

وفي صبيحةٍ: رفعتُ عنك نعمةَ التأنث.

كالخرتيت

منذ ٢٢ يوليو وأنا ألهثُ كالخرتيت،

كان الصباحُ أسودَ،

وابيضاضُ الفلة البيضاءِ أسودَ،

من هنا: سقط الثورُ ولما تُقم حَلَبة،

فكيف قلتُ منذ عامين:

لم أدهنْ حصيرتَكِ بالمانجو؟

والمانجو محشوة بالمخدرات.

مستقبل

ستجيء في الثانية عشرة،

ستحكي عن القرحة واضطرابِ الهرمون،

ستشكو من الهيبيِّين وجماعةِ الخُضر،

لكنني سأفرك النافرتيْن بذبالة القهوة،

وأقرأ طالعَ البكوات.

الحائط الرابع

من هنا: روت للجماعة عن ضباع الحِرفة،

وعن مساومات التشخيص والأسرَّة،

تكلم صاحبي عن خصائص النجوم،

وتكلمتُ عن هوسِ الملذة وتخاذلِ النقباء.

من هنا: عادت تحكي عن اسكندرية،

وأمها التي تركتْها مريضةً في الاستعلامات،

وأنوثةِ النفط،

مرت سريعا على النَّفسِ وانحرفتْ إلى الشاشة،

قال رجل على الطوار: يا زمانَ الوصل،

فألقتْ فكرةً عن الحائط الرابع والثأر،

من هنا: استمرت مكائدُ البدلاء.

ساعة الجامعة

تكره المجازَ والفلاحات،

ها هي ذاكرةُ الفتى في المقرنصات تصحو:

ظَهرُ أنثى على الكاتب المصريّ،

الثورة المعلّقة في ساعة الجامعة،

بدايات: شين عين راء.

ماؤها لا يزال بين ساقيّ،

لكن هذه السيدةَ التي تلتوي في مقصورة المحظيات:

أكذوبةٌ،

فكيف قلتُ في صحراءَ منزوعةِ الأصابع:

فخذكِ على الدَّسْتِ استوى؟

والدستُ مرشوشٌ بعلقم الغل،

والغِلُّ أسودُ،

مثلما كان الصباحُ أسودَ،

وابيضاضُ القلة البيضاء أسودَ،

ناديتُ: يا من لعبت به شَمولُ،

فرجَّع الصدى: تعشق الجبرَ ومائدةَ الزان.

شروخ العين

قِشرُ البرتقال يخفي شروخَ العين،

لكن ماءَ البرتقال يجري تحت شعيرات المثلث،

وحواءُ الرمل تستريح تحت مطواتي،

أعني: كلنا التقطنا سنّارةَ الموشح.

الواحدة

نفَّحتْ حكايتَها عن المسلمين والأقباط،

واغتسلتْ في برد ديسمبر،

قالت: لماذا لم تقبِّلني مثل ابن أُختي؟

قلتُ: أخشى لعابَ المهمَّشينَ.

لم تكن تحب الشِّعر،

لكن صوتَها على السلك كان من عائلة عروة،

في الواحدة: سيبدأ التسامحُ.

راجعتُ فصلا عن خصال الجنوبيين،

لذا: لم تكن جاهزةً لصاحبة الجلالة،

بينما أبقار عينيها كانت محلولةَ الأوتاد،

في الواحدة: سيبدأ الفاروقُ.

قسمُ المكتبات عامرٌ بالرفوف:

على كل رفٍّ عاشقٌ مستحيلٌ وعاشقٌ محتملٌ،

وأشجارُ الجامعة مدهوكةٌ بزيت الخلفاء الراشدين،

بعد بوابة:

سيارة الإسعاف على مدرج ٧٨،

وعلى السلم صنوف سكاكين من زمزم،

لكن صوتَها على السلك كان إيذانا ببدءِ نهضةٍ،

لذا: أضافت مبحثا عن الكنائس المعلّقة،

وكتبتْ: صانعُ التنوير جسدي،

فصحتُ: في الواحدة سيبدأ الواحدُ.

القطران

مرّةً: خذْ حياتي وأعطني صباحات سبعة،

ومرةً: أنت أنتَ من حلّوفين سابقين،

ومرّةً: الحياة من غيرك حبلى بالمسرات،

ومرةً: نحن أسطورة الحب في زمن الكوليرا،

ومرةً: أين أجري على ثلاث سنوات؟

وهكذا وهكذا وهكذا:

كيف يحتمل القلبُ ماسورةَ القطران؟

الطابق السادس

كان وكيلُ المواريث بالباب حينما هوى نَصْلٌ،

ومحتسبُ السوق قابعٌ خلف المودّة،

قال قائمُ الأوزان: جلطةُ الروح ممتدةٌ،

على عمود الموحّدين نقشٌ:

لي جسد يذوب ويضمحل،

وهم يصنعون من خشب الورد الحربةَ والكَمَان،

حينئذٍ: صرتُ أبعدَ من الطابق السادس.

مضى مضى

قلتُ: ما مضى مضى،

فزلزلت زلزالها،

كان كائنان يعذِّبان كائنين ويسلخان شاةً،

قالت جميلةٌ: لستُ شريكةً لشريكةٍ،

فكيف سيلقي شاعرٌ شهادةً عن «إضاءة»؟

جوف الكون عصابيٌّ وقد تكاثر العرضحاليون،

فكيف ستسحب من تحت أنقاض الحياة وردةً؟

ما مضى مضى،

والميدان غاصٌّ بمرعوبين.

بعد صباحين

أغلقتُ بابَ الإدارة وقلت:

يا سيدي خدك ورديٌّ،

بعد صباحين سأجعل الخلخال محتكا بالقرط،

فلا تهرولي في الطريق حتى لا ينكشف الهرمان،

قبل هذا النهي:

ظل الخراط منصوباً تحت القطن والصوف.

كوكب الصفح

عندئذ:
أدركتُ أن صمتَ الحمِلان مكنوزٌ بالدسائس،
وثَمَّ ثعلبةٌ،
فسألتُ: هل رعيتِ كوكبَ الصفح؟

تاجر الموالح

كان بدنٌ سليم سحاب يتهدم على نوتته،

وأنتِ ترتدّين إلى الفرات،

تستحضرين توترَ البهو ساعةَ الكشف،

عرفتُ في حصة العلوم أن البراكينَ لا تموت،

فظلّتْ قهوة الأوبرا مخلوطةً بالوحي،

عشرونَ كمنجةً في الجِلْد وبروحي في التنفُّس:

على خدِّه يا ناسُ مائةُ وردةٍ،

انصرف القائدُ دون بلادي بلادي

ودونَ كريم العنصريّن،

فظللتُ محجوزا عن تاجر الموالح،

وقلتُ: انقلبْ على عقبيكَ وامشِ عكسَ

الشرق.

راكزتان على موسى

شَعرها المجزوزُ مُسْوَدٌّ كنَفَس،

ورُكبتاها الموفُ راكزتان على موسى،

قدمتُ كوبَ ماء وحيدا،

خلفَها بصيصُ نافذةٍ

يجعل النهدين تضمينا من أبي تمام،

لست كاتبة .

ولكنني أسكب الصفراء،

قال الفتى لنفسه: لماذا يتقلص الأذين؟

كان بيتُ أبي في المنفى شاحبَ الضوء:

هناك آخرون في المطبخ،

وعَرَقٌ غريبٌ على مفاتيح الكهرباء.

قال المؤرخون: كان أجملَ العائلة،

انحرفتْ جميلةُ إلى البنك،

فلوّحتُ تحت الإيموبيليا وحيداً.

شوهاء

بدا منطاد الفزع قربَ رقبةٍ شوهاء،

لم يعد الجرحُ معادلةً،

فلا بدّ من نشازٍ في ساكني مطروح،

لأنني لم أخطف النسخة الأولى من رائحةٍ،

وكلُّهم زَنَجٌ خلا سعدي يوسف،

كلَّ عامين نلتقي كمن كلَّ هنيهتين،

هات أشجاراً جديدةً في آخر الليل،

لأنه لا بدّ من نشاز في الخواتيم:

اقتل طفلتَكَ الصغيرةَ،

وخذني: صافيةً، وصافيا.

محجوز عن يدي

تمرّ له ليالٍ في سمّاعة الواحدة

لستُ مرتبكاً ولكنني محجوزٌ عن يديّ،

فهل تفلت امرأة من فلكها؟

قال عبد المنعم رمضان: المستقبلُ للأصابع،

فلماذا بكيتُ حينما هتف المطربُ الصولو:

أنا هويت وانتهيت؟

أعوزتك السجائرُ في مصر العليا وأعوزني دمي،

أنا الذي تركتُ بين ثيابك ثلاثةً:

القلب / الجسد / النص،

من هنا: أفلتَ رجلٌ من فلَكه،

حينما ضيَّع الكبدُ ثلاثةَ المرء.

مصيدة

ساقت خُطاي إلى مصيدةٍ،

كانت تقول: لم تكن على صدري توتتان، .

وهي تعني: أريد الهودجَ،

حينما قدمتُ لها ختمَ أمي عقرتْ يدي،

فتذكرتُ: «هي امرأةٌ وصَقرٌ»،

وقلتُ لأخي: أنزلْ عن النورجِ المحنَّكات.

قارب نجاة

أماناً أيها القمر المطلّ،

أنار كاليجولا جسدَ أختهِ

أنا سليلة البناة،

أمانا: كراتُ النار مطفأةٌ،

وأخته تبحث في الأنقاض عن:

• قاربٍ.

طفل

صار جسده عن جسده غريبا،

لم يعد يقول كلما رآها:

هذه الكعبة كنا طائفيها،

لكنه في المساء قال:

يا طفلُ،

فقط: كن.

ديسمبر ١٩٩٢

الطائر الأسود: زرياب/ «ته أحتمل» لابن زيدون/ «لم أدهن حصيرتك بالمانجو» من قصيدة لي في «فقه اللذة»/ «شين عين راء» قصيدة لي في «الأبيض المتوسط»/ «ولي جسد ينوب ويضمحل» من الشعر القديم/ «هي امرأة وصقر» من قصيدة لي في «البائية والحائي»/ «وأمانا أيها القمر المطل» من الشعر القديم/ «هذه الكعبة كنا طائفيها» لإبراهيم ناجي.

الواحد في الواحدة

حارّةٌ/ كان القطار خاطفا. وبلحُ الشام في يديّ، كلما ماتَ
فتى صحا فتىً من عرَبِ اليسار واستهام، فكيف تقطعين
عشرينَ ساعةً من غير شَعر صدري؟
وحُرّةٌ/ هنا القاهرة بصوتك مجلوّةٌ، سوف يرحل العابران
إلى وادي الغضا بعد تجهيز الفصيح بالذخيرة، لكن القاهرةَ
هنا على كعبيكِ صاحيةٌ، حينما كنتِ حارّةً وحرّةً.

حضن الأهلين:

ليس على الجنديّ

إلا أن يرقب ماءَ النهر الساكت،

ويعدّ دقائقَ نوبته المكرورة،

يذهب للذاكرة:

فهذا حضنُ الأهلينَ،

وهذي غمغمةُ الطفل،

وتلك مسرّاتُ القرويِّ

كان يسرّب دمه اليقظانَ إلى وهوهةِ الأصوات

اليقظانة في الردهات الحيّة

بالليل الحيّ

يتملّى عمرا ينساب من الكفّين،

ومدرسةَ لم تخطفه إلى الأنشودةِ

والتلوينِ المائيِّ

أحبولته: الشُّقة بين العطش وبين الريِّ.

حريرٌ/ قال شاب لشابة: حلمنا الصغير كتملة. قال شاب لشابة: زال الترابُ الذي عفَّر الماسُ يا أم رُقَيّ. أنتِ مقدورة بي وهم هشّموا المقهى الذي ارتجفنا به يومَ الطباعة. لكنكِ أثرتِ الجوانحَ يا اسمَكِ. قال شاب لشابة: أنا بكِ مقدور كما تفصح الذبذباتُ في: كاحلاكِ كاحلاكِ. هل رأيتِ البرجَ في مثل هذه الكبرياء؟. قال شاب لشابة: رُكبتاكِ إيماءةٌ إلى الحلاج. وأنتِ حارةٌ وحُرّةٌ وحريرٌ.

ماء الساكت:

ليس عليه سوى أن يقبع بجوار

الطلقات المقرورة

منتظرا أن يأمره الآمر ذو النسر الذهبيّ

بمواجهة المخطوفين إلى الأنشودة والتلوينِ

المائيّ

كي يحمي منهم ثمرَ الشجرة وبكاراتِ

الفتيات ومئذنةَ المسجد والجذرَ

العربيّ

ويعود ليرقبَ ماءَ الساكت،

ويقارنَ أبديته بالنهر الأبديّ

يسأل موجتَه السهرانةَ:

منَ يلتقط الليلةَ نزف الجنديّ؟

. . .

حَرِيّة/ هذا المساء بدءٌ أمصارٍ وراء أمصارٍ في ديزل الصعيد
من أجل رائحةٍ. وأنا في بؤبؤ انتظارِك أتكشف عن منوّرين.
وأرى الكائنات محاطةً بجاذبية المحبة تهتف: بَطنُكِ طَيِّبٌ
وطائبٌ وطِيبٌ. ستضبطونها تحفر في فضة: أطفال الجليل
مدنفون بينما الضليل في الخلف بقدر سنواته يموء:
ظمآن ظمآن ظمآن ظمآن ظمآن ظمآن ظمآن/
اثنتين وأربعين مرّةً

وأنتِ ساقيةٌ وساقيةٌ
لأنك حارّة وحرّة وحريرٌ وحَرِيّةٌ

تخبئ حلكتها في البيوت؛

شوارعُ خاليةٌ من شوارعها،
والخماسينُ نائمةٌ في الأسرّة،
والطائراتُ الصغيرةُ مرّتْ
تخلخل هسّ الهواء على الأسطح الواطئة
شوارعُ خاليةٌ من شوارعها،
والتجوّلُ ممتنعٌ لسوى عسسٍ خائفٍ
وليالٍ تخبّئ حلكتها في البيوت،
فرحتُ أفتش في صدرِ عابرةٍ لجأت لي
عن الأمنيات القصيّة أو صيحةٍ صائبةْ
ولكنني لم أكن أجتني غيرَ أصداءِ موت ورائي،
مراوحُ كامنةٌ تتربص بالخطو،
والطائراتُ الصغيرةُ تجأر: موطوءةٌ واطئه.
هكذا استيقظتُ غريقا
رفيقةٌ صرخت:
استدِرْ لنستقبلَ الحريقا.

تخت شرقي:

تشتاق قُبَرةٌ إلى فَنَن،

وتبدأ سيرَها في الحالكات إلى الفنارة

ضوءُ الفلسطينيِّ أشعلها بزيتون الجَساره

هذي بلادٌ لا تقايضُ وردةً بخديعةٍ،

أو مستحيلاً فاتنا بالممكناتِ المستعاره

كفٌّ تواجه نصفَ جنزير

وعاشقةٌ تسجي عاشقاً في صخرة الأقصى،

وترجع للصفوف منيرةً وهي المناره

هات العصافيرَ الطليقةَ واتّبعني،

هذه أيد تعلّم وجهَنا لغةَ الحضاره

تشتاق قُبَرةٌ إلى فَنَن،

فيصنع عاشقون على الثرى مجدَ الحجاره.

هكذا اغتنى هامشٌ وأقفرتْ متونُ

قلتُ للأحاديث: شُبِّي إلى ذُرى عورتي،

قالت الأحاديثُ: من تكونُ؟

قلت: إنني الظنونُ.

هكذا ترجُّني الحُدوسُ

فراشةً على فرائصي تدوسُ

هل ينطق المسوسُ؟

خَرَّاتة/ يعود للبدن دراويشه المرهفُون، من بينهم

أُطلّ برأسي: ارتقابك بدعة في الذات وموهبة

لعجز المخاليق. يصعد الشوقيون مدرجَ الزفت،

بينما أسأل: هل انتظرتُكِ كي أخط

محوي أم كي أكنسَ الرواة عن محفّتي؟ عندئذ

أخمّنُ وقعَ الحذاء على الرخام، وأرى تهدُّجَ
الصدر في المرايا، ها أنذا باغتُّ نفسي
مستسلما لاحتمال أن تفتجي بعد ساعةٍ.
لذا سأنهي مقطعي بقولي: كوني ببيتي في
ذي القعدة وجدِّدي استبدادَ عنقكِ بأيامي، حتى
يردد الدراويش المرهفون:
ذا مرهمُ الرُّسل المصابة بالجوى،
لا دمعةُ الربِّ المشويةُ بالسماح تردّني،
لا تيِّمونَ يسيِّجون دماءَهم بدمي،
ولا.

كتابة على اللحم يمينا:

كان القطار خاطفا وبلحُ الشام في يديَّ،

كلما مات فتىً صحا فتى من عزب اليسار واستهام،

ماشياً من شين أشواقه إلى العدالات والرزق.

كتابة على اللحم شمالا:

أنا الذي لامه الأسياخُ حينما صاح في صبوة الصبا:

في الكون جَلبَةٌ: إنها أنا،

وحينما سمى بلادهَ: الواحدُ في الواحدة.

كتابة موسطنة:

كيف إذن تقطعين أربعين عاما

من غير أن تقولي في سريري:

حِرِي حارٌّ وحُرٌّ وحريرٌ وحَرِيٌّ وحرّان؟

انتهى الجمعُ.

حضور:

الدبابةُ في باب المقهى بالميدان
الدبابةُ تحت ملابس طفلي المنشورةِ
في الشُّباكِ العلويّ
الدبابةُ جنب الأرجوحةِ والأحصنةِ
الخشبيةِ والبالونات
الدبابةُ في سقارة والقلعةِ وفناءِ
البنك الأهليّ
الدبابة في رئتيّ.

أبريل ١٩٩٣

سَبُّورة السادسة

وجد عندها رزقا فاستخار القلب،

طريٌّ السادسة يغفو على حوادثه،

تراءى الوشاح ينخرط من شفرةٍ،

ويدان ترتجلان الأصابعَ،

تساهيل،

يرقب السقالات والمونَة المضروبةَ بالعَزْف،

جيبه محشُوٌّ بكُرات الخبز،

ويعرب المستثنى بإلا في آخر الذِّكر،

تتقدم الشهوةُ في بطن حارسها فتنحل الجماعات،

تساهيل

مثلا يقول: جاءت البناتُ إلا بنتا،

والرمز مسنودٌ إلى وردةِ المائيات،

فجرى دمٌ من دم في هاتف السويس،

وجاء عمّالُ المساحة:

يقيسون النوافذَ على قدّ السادسة،

ويخطّطون موضعاً للأرانب،

مثلما علّمتْ مربّيات أطفالهن كيف

يرسمون نزهةً،

مثلا يقول: وتهون الأرضُ إلا موضعا،

تساهيل،

وهى تغني لذاتها: عطشانٌ محبةً.

* * *

حليبُ الوجه يسيلُ في عروقِ أربابِ الصبابة،

كلُّ جسم يتزلزل بلمزة، والمنشدُ البصيرُ طائرٌ

على الأكفّ، فحيحٌ سماويٌّ يلفح الصدوغَ

بالسلوى ويجعل الأفخاذَ أجنحةً، يركب القطبُ

حناجرَ الأهل ويرخي ساقه بالهدايات، وردٌ

السادسة في آخر السلسال مسكونٌ في القمر

* * *

إذا تلاها، يقبّل يدَ الصالحِ، لم يكن يدري
في عرجونه أن تلكم اليمامة ستسأل ذات
ماء: هل وضعتَ على حائلك ضَمَّةً؟ يبلغ
الحليبُ مبتغاه في علامةٍ من فوق، مندوبُ
الإله يسحب الدفَّ من صدور الهائمين، يخرج
الطيرُ من رقابهم على هيئة طاووس وقطّين،
يدفس المشيرُ طاووسَه في فمي ويشبك
القطّين في طوق أمي، فتندلع الزغاريدُ:
حطَّ في البيت رضوانُ.

* * *

الخلقُ نيامٌ وأنا وحدي عنّابٌ،
ليس الأزرقُ رمّانا في أذن المترفةِ،
النيلُ عليكَ فلا تجمعْ مسكينَ: مساكينَ،

وليس الأزرقُ بدلا للغرقى،
أمسِ هداني النحوُ إلى الجذرِ الأبعدِ في: يمتنُّ،
فأمسك بالهبة الضعفاءُ،
إذن: ليس الأزرق شصًّا للمغلوب كما
خمّنتُ بحضرةِ هذا الأزرق،
ستقولين الآن:
اكسرْ هذا الصندوقَ وصِحْ في الكلمات/
تساهيلُ.

* * *

يرى فيما يرى الصاحون إنسيةً تكوِّر الأساييعَ
في نبلةٍ وتلدغ الموظفين، ثم تعلّم العَجولَ
أن السنارةَ التي تريم بين صائدين خصم اللغة،
وأن الطيور في فضائها تطير. لم يكن زهر
المحل مرويًا بالخيالات مثلما شاعَ عن أهل

الطريق، فرأى فيما يرى الصاحون خرزَ الأماسي
يقفز في رخام السراي، والنساءَ خلفه يدحرجن
حاجياتهن من شبَعٍ وطيورا في فضائها
تطير.

* * *

رفع صبيٌّ السادسة برقعاً:
إذا متُّ في الأراجيح سأسقيكِ من الفخاريات،
فتنهضين ضد الاسم في ليلةٍ نسج الغرامُ طيوفَها،
لم يكن يستطيع أن يعفي ندَّه من بهائه،
فإذا أدار المؤشرَ جاءت: تساهيل،
ببساطةٍ، هذه تفاصيلُ وردةِ المائيات:
١ـ لا تتشبثْ بالموجة التي...
٢ـ وارني عن اسمي.
٣ـ ليس خطؤنا أن الألم...
٤ـ بعد أيام سوف أعرف.

٥. نادرا ما أكون وحدي.

٦. حيث لا نجاة.

* * *

يا شقيقي لا تفرِّطْ في: تساهيل،

خُذّها في متحف الفضيّات أو في أسطوانة الجزيرة،

خذها لحظةَ الماكياج،

خذها وهي ترفض الكافَ والمثلَ والنعوتَ

خذها على مقطع الكمنجات الكمنجات الكمنجات،

خذها في الأظافر التي في الأظافر،

خذها إذا متُّ ظمآنا فلا نزل القَطّر،

خذها من جهلها بالترجمان،

ثم دارِها عن سبعةٍ من: خُذّها

وسبعةٍ من تفاصيل وردة المائيات،

وإن أعوزتْكَ الرياحُ ضَعْ يديكَ في: تساهيل.

وأذهب إلى سَبُّورة السادسة:

حقيبته محشوّةٌ بنائب الفاعل،

وكفاه مضمومتانِ على: يتمدّد بالحرارة،

انتهى من نشيده: فوق كيْد المعتدي،

فطار السُّلُّ بالصغيرتيْن،

كان الجرن مزهرا بالأصفر السفّاح،

وهو على أتانه يقلّد ابنَ المحافظ،

لفَّ طمبورَه أربعينَ لفّةً لكي تصبح محصنةً:

سللتَني من غباري،

وهناك: كان المعلّم يبكي بهانةَ،

غير أن الحقيبةَ لم تكن ملأى بواو العطف.

* * *

بناءً على ما تقدّم: لستُ ريلكه،

لكنني قادرٌ على لقْط العلامات في: حلمتُ،

أمامَ مريضِ الوهمِ جرت أصابعُ المشاهدينَ على
رُسغِ ذاتِ الرُّسْغِ،
فخرَّ الأزرقُ من عليائه على الكومبارس،
وهتف الملقّنون خلفَ الجدران: تساهيل.

* * *

هو الوحيدُ بين أقرانه يخطئُ الحسابَ،
قبّلته امرأةٌ تشمُّ المكيدة،
وفسرتْ لتلميذتها تناسخَ الثلاثاء في الثلاثاء،
كأن يجيب في مسائل الطرْح:
بالأمر المحالِ اغتوى،
اجعلْ الحبرَ في باطن الراحات،
فإن فعلتَ رأيتَ كُتّابَ أمينةَ ناقةَ الله وسقياها،
شدّني رَقّاقٌ من خصري فانتصبَ المحتوى:
مفردُ اسمكِ راشقٌ في الجداريات،
في التوّجاءت طرودُ البحر أو تدلىّ السّراج،

كأن يجيبَ في مسائل الضرب:

احتكّتْ الأسنانُ بالأسنان،

أنصتْ، هذه حصّةُ الأب:

داعب امرأتَه بعد الغداء، وشالَ

حفيدتَه بضعَ مرات حُجَيْجةً،

ملّس على صدره كالمحبّ، نادته

قيلولةٌ فجاوبَ، وحينما جاءه

مستردُّ الأمانات كان نسيمُه

أزرقَ، عدَّلَ الجارُ رأسه نحو

الغنيّ - كان عبدَه - فراح المصلّون

بالباحة يقرأون راضيةً مرضيّةً،

وعلى باب الحظيرة أمي وترابُ

الرأس،

* * *

لهذا كله: لستُ ريلكه،

لكنني الفرخ الذي خطفته ناجيةً: انجُ،

كأن يجيب في مسائل الجمع:

فراقُ النسر زائد فراقِ النسر يساوي فراقَ النسر،

وبين هجريْنِ يلقي على شقيقته السؤالَ:

كيف تذهبين إلى الذين يلسعون

مؤخراتِ الرجال حتى يلحقوا بالتراويح،

ويفعصون أثداءَ النساء كي يَقْرنَ في

بيوتهن، وفي انكفاء الشمس يركعون

بالريموت، ثم يشكرون الله أن

جعل الورى خُدّاما لخير أمةٍ، بينما

النّخُّ والفَخُّ تحت العباءات موصولٌ؟

* * *

الخلق نيامٌ فيما الصدفةُ حائمّةٌ / وتساهيلُ،

فلا الأزرقُ سهو المرأة عن بيدقها وهي

تصيح: اخسرْ إلا النصَّ / تساهيلُ،

ولا القلبُ بريءٌ من مثقابِ القلب،

طريُّ السادسة أضافَ البحرَ الميّتَ للشفة العليا:

فيْ كاملِ عُدَّتِه هبطَ إلى الكَيِّ.

تساهيلُ، وفيْ كامل عُدَّته ذَرَّته

الأملاحُ إلى صدفاتٍ، فاستيقظَ

خارجَ درّته، وانتبهَ إلى الفكرة فيْ خفّتها:

خذْ فُرشةَ أزرقَ فيْ الروح،

وجُدْ بالروح، تساهيل.

ديسمبر ١٩٩٣

عهدُ الغُرَف

مفتاح

تدلف أقدامٌ أربعةٌ إلى مجرّةٍ،

فتستيقظ الانقلابات،

ليس للروح ممشى

غير انقسامٍ بقعةٍ على نفسها،

لهذا: سيرى المتأخّرون على كل حائطٍ

تمثالَ أمعاء.

١١٠ شبرد

تكوّمتْ قطّةٌ على منصّة التلاوات،
بينما عيون المقرئ المكفوف تفتش الحضور.

ثلاثةُ أنخابٍ طائرةٌ على رءوس الأوليات والأولين،
لكن وصفي التل لم يكن مهزوما حين دوت الرصاصاتُ،

هنا الحفيداتُ أدركن أوتاراً بين جسدين،
فطِرنَ إلى الطابق العلويِّ كي ينفردَ كوكبان:
برَكةُ حابي،
بهائمُ معلوفةٌ بين شِدْقين.

وساقا الصحافية في المشترى،
وبين شفرتَين النُّطقُ.

١٠ شارع دجلة

كانت النشوةُ طافرةً على الكُحْلِ،

والأقداحُ حمّالةً للرسالات،

أزاح الحلمَ عن خواصره:

كأن عين شمس أول الدنيا،

كأن كفليك سيرةُ التلاميذ،

لكن نشوةً طافرةً على الكُحل أجّجتْ كعوبَ المجلّدات،

قال ابن المحار:

أنت صنّاعةُ الأساطير فكيف يهفو إليك الرهبان؟

بعد دائرتين ظلت المرايا حافظة:

جسدٌ في جسدٍ إلى جسد،

في لمحة: هزّتْ نشوةٌ طافرةٌ على الكُحل الفلسفاتِ،

وسلّمتْ المنظماتُ دفاترَها:

للنفط.

جامعة الدول العربية

خلع قفطانَه وصاح:

أبي مات،

والميراثُ مقسومٌ بغير العدل،

غير أنني لا أحبُّ المهندسين،

ساعتَها:

صارت الأنثى محدّبةً،

والأصابعُ سراطينَ،

حكَتِ الصغيرةُ عن القبة وحكى الصغيرُ عن ظفار،

كان في العاشرة حينما أخذتُ منه رأسَ الحسين،

فباتت بلادُه غائمةً،

بينما نشوةٌ طافرةٌ على الكحل تجدّد العهدَ،

هكذا صارت أشواقه، تعطّله عن أشواقه،

في توقيتٍ صارت الأنثى فيه: مغبشةً.

فجأةً:

داهمتْه نوبة القلب في الكافتيريا.

محسن للموبيليا

ظل رملُ البدو عالقا بفوديه،
قالت صبيته: هيا إلى أرض توت،

مزلاج باب: مؤخرة مترعة بالسلالات،
أكملنا الحديثَ عن العقداء الكاذبين،
وأثنينا على الشعوب المريضة بآلهةٍ سُفْليين.
بينما الشدّاداتُ مهملاتٌ على سجادة البهو،

كشفتْ عن الفلقتين في الباحة فتكهرب المتّقونَ،
سألنا: كيف انقضى عقدٌ والمحبّون مغلولون؟
أجاب: «أصبح الصبحُ»،
حينئذ: غدتْ أصابع في فم،

في آخر الهنك حار اللسان واستوت مصاباتٌ،
وكان رملُ البدو رملَ البدو.

مساكن شيراتون

صمَّمَ المدخلَ على غرار النوبيّين،
بعد الدوام قبَّل ابنه في الذراع،
وأغلق البابَ خلف الهاربات:

جدَّدنا الأرائكَ كي ينامَ بعد النشرة،
وفتحنا على المطبخ نافذةً حتى تتراسلَ الحواس،
وحينما جهّز الفِراشَ البدائيَّ للمرهقيْن قال:

يطفو كمأساة ويطفو كملهاةٍ،
وبينهما ذُرِّيةٌ تدفع المكوس،

فراحت تمسح دمَ الحيض عن شفةِ المؤلف،

أغمض عيونهَ على جاريْه منحوتيْن،
هادئا غطى وجهَه:
في الصباح يأتي «كريم».

١٥ أبو بكر الصديق

ليس عند الغندور فواكه مخزونةً،
بدأ الفتى مشهدا عن مدن القناة ثم انصرف،

فربّتتْ على الحيارى وقادت الأعمى إلى الماس،
عاود الحديثَ عن سنوات التهجير والسمسمية،
ثم اختفى في أرقِ الغنادير،

احترقتْ حدائقُ المانجو،
ووزّعونا على الدلتا ضريبةً،

وكنت أكتب في دفتر الحصّة:
دع مياهي فمياهي،
صار النبيذ في الرسغ فتطهرتُ،
وهو يهوى الصبايا والرحالةَ والتباسَ الشكل،
ويجيد تقلُّقَ الثمانينات.

ميدان لبنان

هذا هو الجمرً الذي كوّن النطفات بعد شهر،
لم يتكلم عن حائط الصواريخ ولا عن غموض المطالع،
كان الناي حيواناتٍ مبروكةً فانفلق النوى،
صنعنا عشاء خفيفا وانطلقنا إلى الحفل،

أهملَ المعزوفان الأسرَّةَ وانشرحا على المِلاط،
هنا أشرق ظهري بقمح،
لكن الغنادير عادوا من تقلُّق الثمانينات
بروايةٍ لم تتم،

فلم يحكِ أحدٌ عن المعدية رقم ٦،

بينما البيانو لا يزال ينزف قصة الطفل الذي

قتلتُ،

صرخةُ الهتك في المسرح الكبير دوّتْ،

رأيتُ مائي ماشيا من الركبتين حتى اللسان.

هدأ الغندورُ بعد جريمةٍ،

لكن طفلةَ النهضة لم تقفلِ السُمَّ.

مدينة الطلبة

لماذا لم نعد بسطاءَ مثل أمِّكَ يا محمدُ؟
أمُّكَ التى هزَّها مِن يقينها تليفزيونُ القِسْط،
اختبر وحدَه جبيرةَ القدم
لكنه لم يختبرْ وحده جبيرةَ القلب،

أختها قالت: كيف تحتملين هذا الإله المجدوع؟
تكلّمنا عن الأعوام والشّعر،
فاندلعت ينابيعُ محبوسةً بالمرارات:
أنا النصُّ الذي فوق كل نص،
أنا الذات التي على كل ذات،

أنا الصُّنّعُ الذي أعلى،

فلماذا لم نعد بسطاءَ مثل أمك يا محمد؟

أمكَ التي وضعتْ على جبيرةِ الساق طه،

وعلى جبيرةِ القلب ياسين،

وراحت ترمق تاجرَ الحرب،

وتهمس في ليل البحيرات:

لم تتم.

الحي العاشر

أنّب مهندسُ الري عُمَّالهَ وأدخل الفتى الصحافة،
كان الهويس على آخره والمقاعدُ خالية من المنجِّمات،

حكى لي كيف شُدَّتْ سيدةٌ على ظهرها عاميْن،

وهي ترقب في الشرفة نخلا تحت الجبردين،

هل فرَّقتنا السياساتُ؟
استعدنا «النبيَّ» بين الأصابع ثم أعددنا قطائفَ،

«ينبغي أن ننظِّفَ المخدَّات من ريق الحمّام»،
هذا الخشِنُ الرءوم: شرخُه جَبْر،
لكن مهندسَ الري كان ممرورا،
لأنه رأى الشَّجَ تحت زخرفةٍ.

الإسماعيلية

من ذلك الذي يقطع الجنوبَ في سكتةٍ؟
تباعد المساءُ فاختار أن يبقى متفردا في الحانوت،
وحينما صار إخوانه أصحابَ توكيلات،
ظل يعيد وحدَه ترتيبَ «الأربعين»،

وضع النادلُ الخضرواتِ في فخّارةٍ،
فأيقظ الفتى خزانته:
حذاءُ الجندية في قدمِ المتفلسف،
مأدبةُ الجرجير،
شعارٌ: يا حاكمنا بالمباحث،
تحدَّثَ رجلٌ عن تيمة الجسد في عملِ الطليعيين،
ساعتَها: صارت عيناها بديلاً للخضَر،

وحطَّتْ تسورُها على موضعِ الرُّمح،

هذه هيئةُ القناة،

وهذا هو الرمل الذى ذوَّبه المهندسون،

قالت حُرةٌ:

كلُّ مطرٍ يفتّح المسامَ تحت كشكشاتِ الثوب،

وقالت البَصَّارةُ:

في بطنِ كل ضفدعة مفتاح عدن،

فمن ذلك الذي يخطُّ:

انكسر الوزنُ وَضلَّتِ الشيوخُ.

٢٨ شارع سوريا

يطرُقُ الغامضون النوافذَ بالعِصيّ،

هنا: أوّل انتصابةٍ للسرو،

أوّلُ مسودّةٍ لأوّل سائلٍ،

يطرق الغامضون النوافذ بالعصيّ،

هنا الآخرون الآخرون الآخرون،

وأوّلُ قيءٍ مع المؤذّن.

حارة الونش

النرجيلةُ مفاجئةٌ للصبايا،

وألمظُ موحيةٌ بالهوان والهوى،

لم تكن التفاصيلُ ثقيلةً،

لكن الدبقَ في فمِ الشاحبات طافحٌ على الدُش،

الترزيّةُ منتبهون لخطوة الأنثى،

بينما الصغارُ تحت النوافذ يبدأون لعبة المحرّمات،

أحضرَ الطعامَ بغمزة:

هذه عباءةُ الأبِ،

وهذا سيفُ العِوَز.

٣ حسين رشاد

بدأ البكباشيُّ خطَّتهَ بعد الفحوصات،

كان النشيجُ كمينا وكلمة السر: مشَّاءون،
طَرْقَةُ الصباح على مجزوءِ الكامل،
فاحتجتُ مهزلتين
لكي أنقّي اللهاةَ من زرنيخها،
نام اللغويُّ خدعةً،
ليترك الزائرِيْن في المتون،
فبدأ البكباشيُّ خطتهَ بعد الفحوصات،
لكنها لم تصدق أنني اشتريت للمتفلسف الدواءَ
اخلعي الكردانَ خلف سلسلة: اقرأ،
ليدخل ضمير الغائب في ضمير المتكلم،

وثبِّتي التَقَوُّسَ: كي تظل آية جيم وحشاً،
أما نحن:
فسوف نأخذ يوليو إلى المدفأة.

القطامية

لم نحتج سوى سجادةٍ يدويةٍ وسخّانٍ بسلْك،

هذه الأمتارُ للأحمريْن طيلةَ الفتوحات،
أما إزالةُ الغبار فمهمةُ القُبلة الخاطفة.

قال جاران:
خذا من عندنا الماءَ والحبّهان،
كان المقطم راكما في انتظار مدبوغيْن:
هنا غرفةُ المعيشة،
وهنا بغتةُ الجنس،

لم نحتج سوى كنكةٍ،
والقميصَ الذى لم تهركْه بعدُ غسّالةٌ.

أوصانا :

احتفظا بالمفاتيح في الرقاب وغيِّرا وضعَ الحوائط،

لم نحتج سوى روح،
هكذا: ظلت بقعُ الشهر تنشع في نسيج القصاصات،

هكذا: المقطم ضئيلٌ،
جنبَ سحليةٍ.

ميامي

لكنّ الرذاذَ ظل ملوثا بانتفاخ البطن،
أما ركبتاها في المنتدى فكانتا مَحَكَّ العَزْم،

باتت القراميطُ التي قلاها النادلُ مشمومةً،
لكن صوتَها وهي تخطئ النحوَ نحوٌ،

لهذا: سيجرح القلبَ شرطُ الجزاء،
لم يكد كعبُ الغزال يعبر البلعومَ حتى التاثت
النوّات،
فظلتْ سخونةُ الكف برهانا
على روحٍ شرَّخها لصوصُ الجَدل،

كتب الملاحظُ:
لم يغسل اليودُ أدرانَ الجواري وقذى العبدْ،
وهمَّشَ: عينُ حورسَ مفقوءةٌ.

المجاورة ١٢

زارني المحبوبُ،

على الحوائط الدمُ الجافُ الذي خلَّفه الممثلُ،

وفي المرحاض بقايا حشيش،

قال الشقيقُ: هذه الأشعار أوسعُ من إناء الطهي.

زارني المحبوبُ،

فلماذا أكون غريبا في غرفتيْن وصالةٍ:

ليس لي لوتسُ الشرفة،

ليس مني جعرانُ أفريقيا،

ليس البلاط الذي تركتْه المخابرات بلاطي.

كانت الأشباحُ بالباب وسلكِ الهاتف،

كانت الأشباح بالرموش وتحت المُلّة،

كانت الأشباحُ في الذاكرة والذكرى والذُّكر والذَّكَر،

مرعويةً صاحت:

«سيثقبون الجدارَ الآن ويهجمون»،

فانسلَّ الإله من إلهته،

وانهارت مصر.

قفل

مرّت البقاعُ على القلب،

ومرَّ القلبُ على البقاع،

لنتركْ على كل صوّانةٍ طوابيرَ المضارع،

هكذا: طارت القلنسواتُ،

فلماذا لم ألاحظ سلَّ العظام في المعاهدة،

لم تذهب أساطيرُ الغرف،

لأنها في المتر بين صالة التحرير

وأشلائي،

أدر المفتاحَ في كالونه:

تك/ تك/ تك

حركة وسكون،

حركة وسكون،

سكون

أغسطس ١٩٩٣

ديـــوان

يوجد هنا عميان

(٢٠٠١)

كتبت قصائد هذا الديوان

في الفترة من « ١٩٩٥ » حتى « ١٩٩٩ »

رفع العيون من الجثث

مادة

لمسةٌ بسيطةٌ في عَصب التذوق قادرةٌ على تحويل الكتل إلى مرئيينَ، لتصير أطرافهم على مناضد التشريح مادةً لبحوث خلق الرغبة. وما إن يستحيلوا إلى جُسَيْماتٍ حتى يصير كلُّ جرحٍ تحته جرحٌ، يزاولان الولعَ بالتعايش.

البحيرة

هي مثل كل البحيرات زرقاءُ، وهي تصون ما تبقى من فلول التجارب. فلماذا تتوقع أن يصعدَ من مائها كاتمُ الصوت؟ خذْ جرعةً أخرى من النبيذ لعل تنحلُّ عُقدةُ اللسان. يمر الخاطر فتستعيدُ البحر الميتَ، حيث القدس على الجانب الآخر من الماء، بينما الثدي الذي كانت صاحبته تدهنه برحمةٍ هو عينهُ الثدي الذي تشهَّاه أوديب، فلا تظنَّ أن للديانة صلةً بالأثداء حتى ينجحَ الشُغل. نعم أنتَ لا تكره العبرانيينَ برغم المشكلة القديمة التي لخِصوها في: هيت لك، فانظر إلى البحيرة بزاويةٍ منفرجةٍ، وإذا طافت بكَ المصريةُ التي قالت: «لو وجدتُ الرجلَ الذي يعوضني عنكَ لاشتغلتُ له خدّامةً»، فأنتَ في أمانٍ.

كلود مونيه

بجلافةِ الذي لا يُحسنُ التصرفَ أفلتت مني فرصةٌ أن أكون واحداً من النيتشويّين الخُلّص، فأمتلكُ قوةَ نسيان الماضي بنظرةٍ من الطرف. لو أن معي المفاتيحَ لأجلستُ شقيقتي في موضع قطعةٍ من أعمال مونيه، في المتحف الذي أغلقوه على حاملي التذاكر، ولانكببتُ على درس أفعال أصابعها بما يتيح لي استخلاصَ بعضِ التباديل: حزام العفة وحزام الفقر وحزام الديناميت، عسى كنا قبضنا على الناقص في أحشاء المدن.

درسٌ أفعال أصابعها هو التعويض عن فقد نيتشه في أول العمر.

وصلنا إلى نقطةِ التراضي وقسّمنا العملَ: أنا عليّ الإضافةُ وأنتِ عليكِ الحذفُ. يُستحبُّ بعد ذلك أن نترك للزمن هَوَسي بأن أراك في كلِّ اسكتش. فإذا سالَ مصهورُ الذهب على شاشة التليفزيون نكون في حصانةٍ من اقتصاد الدّجل.

عليّ

سنعطيه فرصته العادلة لعله يكتشف أسلاكاً جديدة في حوار الحضارات بين الدولة التي دفعت أعمامه إلى آخر الشمال وبين بنتِ جبيل التي غنّى فيها خاله الفولكلور على الفيديو. وإذا كنا نظن أن صاحب نهج البلاغة ليس عضوا بحزب الله، ولم يطلب تأشيرة إلى بلاد الخير، فلا داعٍ لأن نسقيه ظنّنا مع دواء الربو، حتى لا يخيب سعينا في أن نكون عكس ما ربانا عليه الآباء.

محتمل أن سميَّكَ الأعرابي- الذي حذر الأصدقاء من أن يحاججوا بالقرآن - كان فلسطينيا من سكان ٤٨. وطالما أن الأهل هم الذين يجرحوننا بينما يطبّبنا الغرباء، فلن نفرض عليكَ الهواجس التي يقتنيها رعاة الماعز.

بعد سنوات ستذهب إلى شيكاغو، وتستطيع بعينيكَ وحدهما أن تقارن بين العملاق الزجاجي وبين بيت الدين. ساعتها يمكن أن تقرر: ما هي السعادة؟

أصل العائلة

كنتَ من الحُرثِّين في كلية الآداب ومتّهما بتحريف الثوابت في جذور أصل العائلة، فكيف ارتجفتَ حينما قالت لك الفتاة «أنا من إسرائيل»؟ مع أنها دقيقة الحجم مثل اليتيمة التي تركتها محاطةً بقصاصي الأثر: رُبع زهرة البستان أمامك: فنعِّمْ استقبالك العدوان برفعة من ثقّفتهم الأحداث. وحين تقوم المحاليل بدورها في تخليص التواريخ من التّدبُّب، سينبغي عليك أن ترى البحيرةَ زرقاءَ، ولن يصعد من مائها كاتمُ الصوت. وفي كرنفالٍ حضاري كهذا، فإن وجود جثث للذين عادوا في التوابيت من سيناء لن يكون في صالح الإيقاع. هل تريد أن تكون خارج التابلوه؟

الحب الذي كان

ربما نعرةُ الفخر نفختْه مرةً فأعلن أنه قادم لتحطيم زبائن السلطة، لكنه الآن يقدم لك حمّالة البنطال من ماركة فؤاد المهندس، ويتخلى لك عن مستطيل نومته تحت النافذة. فماذا يضيرك لو كبَّرت مخكَ وأدركتَ التغيّر؟

يدعوك ألا تندهش من تدلُّل الإسرائيليات، ويرجوك أن ترى الحرب ورطةً تجاوزها الجميع باعتبارها الحب الذي كان. المدينة شدّته كالشّفاطة فلامني على محبتي لأحفاد شوقي، واحتج على استعادة الخواطر الحساسة من قبيل بحر البقر، شارحا لي معايب العُقد التي لا تراعي تقلبات الجو.

كلما أوغل الليل أمسكنا التعارضَ: هو لا يرى علاقةً بين المؤخرات والأيديولوجيا، بينما أومن أن عيون حبيبي مستوىً في المواطنة. وفيما يظن أن طعنَ الأب شرطٌ للاستيقاظ أرجِّح أن السلامَ صعب، وأوقن أن الذي بين فخذي حبيبي ليس إلا ثلاثين عاما من قهر: صُنع في مصر.

أكورديون

نعفي أنفسنا من تمرير الغصن الأكثر رهافةً، مستبدلين نهارنا بواجب أَمَرّ: أن نعامل الشروخَ كآلة أكورديون، ونحن مرغمون على اقتراح هوّةٍ بين الكتابة والرقص. وفي مثل هذا الظرف ينبغي أن نفكر بحكمة فيما سنفعله بمشطيّ القدمين.

الطريق ٩٤

أنتَ الذي كتبتَ شِعراً من أجل زوال الهيمنة، فلماذا تحدّق الآن مذهولا في ماكينات شرب الشاي، وتتذكر صاحبتَك كلما نط قلبك من رعب الطريق ٩٤.

سينفذ اليساريون من هذا الخُرْم، أولئك الذين تعلموا في منظمات الشباب أن خطوةً للأمام تعقبها خطوتان للخلف.

خمِّنْ الإله الخفيَّ الذي يسند هذه البضائع، فلا نجاة لك إلا باستحضار الحبيب: يهبط من المدخنة، وتتجولان في شوارع السود، وقد خبرتَ عطفه على ضحايا النبذ، تضمه برحمة الذين رقّقَهم اللهاث، ثم تنظّفان جِلدَكما بالدشّ.

بمثل هذه الحلول سينفذ اليساريون من الخُرم، لأنهم سيعترفون أن الواحديةَ جرثومةُ القلب.

العيون المسموح بها

لماذا لا يوجد هنا عميان؟ الهيئة أن الله لا يحب هذه المخاليق، فلم يعطهم العاهات التي تدل على وجوده وعلى إمكانية العفو. ويجوز أن التقدم في سلم الصناعة عاملٌ مؤثرٌ في نسبة العماء بين الأفراد، لأن قلة الحروب النسائية على منوّر البناية تتدخل بالسلب في طبيعة الإصابة. ويبدو أن قدرة الطب على تحجيم نتائج الحوادث لها علاقةٌ بكمية العيون المسموح بها، لاسيما إذا كانت المصحاتُ نشيطةً في جعل الناس المسرعين لا يعترفون بالبصيرة.

ثمة احتمالٌ واحد لم أقاربْه، وهو أنني الأعمى، ولذا أحسب أنه لا يوجد هنا عميان.

إصبعان في الكف

كان في القطاع نفسه، وربما في الطائرة نفسها التي قصفت موقع النديم وسبَّبتْ بطأه في تقليب الشواء، إذ لا يستطيع المرء أن يمسكَ السيخَ بإصبعين في الكف.

يا ولد: لعل هذا هو التفكك. فماذا تفعل بنفسك إذا كنت لا تزال تصنّف الذي كان على الضفة الأخرى في خانة العدو.

أمام طائر النحاس الذي أقامه بيكاسو كنتُ مغلوبا بآلامه أفكّر: كان يتعين أن تديمَ النظرَ في عينيها، لعلك تجد انكسارا يجعلك تصدق أنها هاربة من التجنيد في جيش الله المختار. فتفهم بيديك أن السرير ليس عنصريا.

تصغر الريبةُ كلما امتدّ الكلام، فإذا بحجرنا عامر ببعض التجانس، كأن نرى أن إنقاذ امرأة جميلة من ربقة الأوصياء مسألةٌ ضرورية لمستقبل الطلائع. وعندما صارت مدينة البنوك في الوراء، أيقنتُ أن زوالَ الغشاوة كافٍ لنظافة الجرح.

ترجمة الشعر

أعرف أن زوجته انجذبتْ إلى ندّاهة الفيمينزم، وتركتْه يداعب التلميذات اللواتي يشدّهن سحر الشرق. ربما إحداهن التي تعدّ لنا الأرز بينما فخذاها يقطران عَرقا من حرارة المطبخ.

لم يشكُ من ساقيه، لكنني أحببته لأنه كان فظا: ليس في وطني مكان أمارس فيه شغلتي الوحيدة: التعليم. ألم تلاحظ تحوّل المدرجات إلى مساجد، وتحوّل المساجد إلى غرف عمليات؟

كنتُ أود أن أحتضنه على الطريقة المصرية، لكنني تركتُه على كرسيه المفضل، يفكر في مرادفٍ دقيقٍ لمصطلح: اقتصاد المرايا.

إنديانا

خلف بابها قامت جماعة الشعر قبل أن يحدث انتخابُ الطبيعة ليجعل العشاق في جانب والأذكياءَ في جانب. فما الذي حدث؟

استعارت المقهى اسمها من هذه الغابة التي اغتصب فيها الملاكمُ فتاةَ الغلاف، وجعلتْ كراسيّها مسرحا لأقدم نظرةٍ علقتها اليتيمةُ على رأس الشخص، لتستنفر غيرةَ المطلقات على البيوت المِلك.

ماذا فعل أهل الدقي؟ ملأوا الاسم بالحرارة والكوارث، حيث تمت فيه اتفاقياتُ تشطيب المباني، وأُرسلت غمزاتُ تسهيل المتع.

بينما الملاكمُ السجين يختم القرآن بالإنجليزية ويعدّ نفسه لاستعادة عرشٍ طيَّرته الفضائح.

يقتضي التوجهُ التراثيُّ أن ألوم أهل الدقي على أنهم لم يختاروا لمقهاهم اسماً ينبع من تراثنا، مثل: نادي رهين المحبسين. وتقتضي الصحة النفسية ألا نكون من هواة الشرانق، فنظن أن الدفء لا يوجد إلا في مكان تدوسه أقدامُنا نحن، فَمَزاتُ تسهيل المتع مكسبٌ بشري حصّله الجميع من تراكم الجهد، بدون فضلٍ لعربيٍّ على أعجميٍّ. الدقي هو الأصل. آه لو كنتَ معي نختال عبرَه.

جرين كارد

هل تعرف شمس البارودي؟

بادرني عبد الله بالسؤال، لاعتقاده أن مصر كالبنيان المرصوص.

أنكرتْه أسرتُه بعد أن رتّبتْ له العروس برفقة الجرين كارد.

ذقنه غير الحليق ينمُّ عن أن ناسه مستورون، وأنه اختار النشاز على التجانس، حيث أن تشّذيبه حشيشَ البيوت مهمة لا تليق بالوجوديين الأوائل.

خلافا لإمكانية المغترب كانت لعبد اللّه ضغينة مع القوة ١٦، عندما آمن بأن المؤسسات قامت من أجل اصطياد مواقعه، لتحرمه من أن يكون علامةً عربيةً على قلة التكيُّف، حتى يكون في الأفق متسعٌ لتحقيره.

عبد اللّه محترمٌ في نفسه، يضم كل ما يملك من ملبسٍ على

لحمه حتى يكون مؤثرا حين يتحدث عن تورط البيت الأبيض في حادث الأم التي دفعت بطفليها إلى النهر كي يخلو لها وجه المحب.

ليس عند عبد الله وقت، لكي يعود إلى صيداء يزرع قطعة الأرض ويفتح الدكان، ويتلقى آخر الأنفاس من صدر أمه. أمه التي تظن في احتضارها أن عبد الله موشك على إتمام الرسالة. وحينما بان ما بين الأصابع كان واضحا أن وقته ليس ملكه لأن بوليس المطارات في انتظاره.

مصرٌ ليست كالبنيان المرصوص، بما يسمح لي أن أعرف شمس البارودي عدا اعتزازنا بفخذيها قبل هبوط الوحي، على الرغم من أن بوليس الولاية يعطي لعبد الله حرية التجول: في الجراجات التي تفتح أبوابها ذاتيا، وفي مطابخ الناس الأكارم.

عبد الله حزين بحق، مع أنه ليس له في الأسرّة، ولا يحب محطات البنزين ويكره ملكية البيوت أو استئجارها.

التحكم عن بعد

زوجته التي انتظرت خبرا عن حياته أضافت إلى رصيده بنتا يربيها الكنديّون في مراكز التأهيل. ورفاقه الذين صاروا في هيئة الحكم أسموه الشبح. الرجلُ الذي دفعتْ به الثورة إلى تجارة الحلويات كان له عدو، فعذّبه نسورُ الردع وحراسُ سورة التوبة. باح لي أنه ما زال عنده الكثير ليفقده، وأنه حائر في اسم شركته الجديدة هل يكون : جاتوه نابلس، أم: القدس للحلويات؟

أغلقت المدارسُ أبوابها، فلماذا تراودك من حين لحين كلماتٌ من نوع: كأننا عشرون مستحيل؟، وهو قد حدثك ليلة الأمس عن تفكيك الثورة بآلة التحكم من بعد، وعن ميله الفطري للزنوج مع أنهم كادوا يقتلونه من أجل ربُع.

فورست جامب

حديثه عن صنوف الأحذية ممَّن عمرها، فتذكرتِ الحذاءَ الذي اشترته ليلة الأوبرا، تقليلا لعنصر التنافر. لم يكسر حديد الساقين إلا حينما هاجمه الحبُّ والعدو. فعرفتُ لماذا أحبت شقيقتي هذا الشريط الذي يعلم المشاهدين أن الحذاء مرآةٌ للنفس.

ظهرت مؤخرته أمام كل رجال الرئيس، فهل يمكن تجاهل الصعق المركّز الذي تركتّه مثل هذه اللذائذ على فتاة تشمئز من التكرار، ويأبى جسدُها إلا أن يتم نوره؟

أخذوا للحرب هذا المهمَّش الذي يأتيه التفوق كرها، فجذبته القنابل لأنها كانت بالألوان الطبيعية. ولا بد أن هذا الخط هو المسئول عن شكّي في أن الريشة التي طارت في الفراغ هي حبيبي بعينه.

بقلاوة شاتيلا

أنت تعرف أن ثمة أزهارا للتكريس وأخرى للقتل، حيث أن الوحدة العضوية بين أسماء المحلات وبين الشعارات قديمةٌ. لكن جينيه اللئيم سوف يلاحظ أن إعلان المحل يجسد الاتجاهات الجديدة في الأدب: كالمفارقة، وتحقير القيم، وجعل القضايا الكبرى شُغل العواجيز.

نؤمّن الشحن إلى جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، على الرغم من أن صاحبه مريض بسرطان الحنجرة، فيا صديقي اللص جينيه: عنقود العنب الذي وضعتَه في سروال الرجل يعني أننا في احتياج إلى عتلة لنرفع العين من جثتها.

حرية الرأي

ليس لديّ مرارةٌ تجاه أحزابنا العربية، لأنني أقضي يومياتي في زراعة الطماطم. كنتُ من قاطعي الأنابيب عام ٥٦، وهذا ما جعل مخابرات الولاية تسرق ملفي من نقابة الجزمجية.

ليسوا متقدمين عنا كما يشيعون، ففكرة الجنس بين الرجال شغّالةٌ عندنا منذ عهد الخلفاء، فلا تؤاخذني إن وجدتني عصبيا لا أتورع عن اتهام ابنتي بالشرمطة كلما تطرق الحديث إلى حرية الرأي.

هَزُّوا الثقة في النفس، رغم أنني خبرتُ الخمسين ولاية، وآمنتُ بالبعث من باب الغَشَم. فلنزاول بعض الخسة لعل تعذيب الروح ينقذ البقيةَ الباقية.

أقضي يومياتي في زراعة الطماطم، وأثق أن زراعة الوطن لها ربٌّ يحميها. لهذا تراني هادئا، خاصة بعد أن نجحنا في امتلاك جبّانة تخصنا، هنا.

الكثير من أسمهان

وددتُ لو حكيتُ له عن انجذاب حبيبي إلى أسمهان، كنموذج على الانحراف الذي يأتي مع اللمح، تاركا خدشا على الوجه. عيناه غامتا بالطفلة التي يعذبها الله عمدا، فلا قدماها تكفّان عن رغبة التحريك، ولا أطفالُ العائلة يصعدون للجنّة. حبيبي به الكثيرُ من أسمهان، وخاصة: الحياةُ على شفا الجرف.

لكن الرجل الذي دفعت به الثورة إلى تجارة الحلويات، حكى أن المخابرات لم تمانع في دخوله، حتى لو كان يحلم بسلطة القطاع في كل متجر يصرّف فيه البضاعة.

صامتٌ بعض الليالي، وخاسرٌ بعض النهارات. وبين هذين كان يعزّي نفسه: سجلتُ صراع الفصائل كله في مذكرات. ثم ينهض كي يرتب الكراتين حسب الماركة المسجلة.

فورد

عندما أهدى سيارةً كلاسيكيةً من إنتاج مصانعه إلى مدخل الرينسانس حصل على التمثال الذي يذكّر الرواد بأنه راعي الإنارة، وحين خصّص مكتبةً لطلاب المعارف كان يدرك أن ساكني المدينة سيرونه مؤسّس السرعة، فلا يلاحظ الفنيون علاقةً بين رموشهم والتروس.

منذ خمسة وثلاثين عاما، كان اسم عبد الغني سالم مخطوطا بالدوكو على باب اللوري العتيق، الذي ظل سائقه يسرق إيراده يوميا، حتى أضاف للاسم: وشريكه، لكن اسم عبد الغني سالم كانت تزاحمه حروفٌ نحاسيةٌ أجنبيةٌ باسم الرجل الذي أقف الآن في جوار تمثاله، وفي عينيّ الليالي التي كنتُ فيها ألعب خلسةً بالكلاكس.

فم المرء

الشقيقة التي أراها غير العمارة التي أراها، فإذا حاولوا صبَّ
هذه بتلك، لماذا تضطرب أنتَ، وأنتَ تعرف نسبية الفشل؟
أنت تخشى أن تكون حصيلة المضاهاة ضارةً بالذي لو شُغلتَ
بالخلد عنه. أولاً: قل الروحُ من أمر ربي. ثانياً: النزاهة
تقتضيكَ أن ترى تحريكَ البنوك بالخيط قسماً من حوار
الشرطي الذي يناقش المومسَ في شروط عملها، بغية تحسين
آلة الرعب في فم المرء. إذن يا حبيبي لا تخشَ المباراة.
فالمؤمنون خارج المنافسة، وهم مواظبون على الدواء الذي
يخمد شهوةَ التمييز.

الحمد لله. الحمد لله.

شيكابيكا

الآخرون الذين خانوا الرحمة، الذين جاهدوا بصبرٍ حتى تكون لكل نفس مصيدتُها. الذين جهّزوا زراعة القلب. هم نجارو الباب الفرقان، وصانعو التواليت الذي سنشخُّ فيه مزيكا، كما قال درويش.

الخرتيّة جيراني، وعليه: فالنصابون معذورون لأنهم انجرحوا سلفا يوم سلّموا العشمَ كله لفنانين يرسمون بعون الله كيف تنهار العمائرُ على طريقة السينما.

ليس صدفةً إخفاقٌ بعضنا في أن يتبرأ من حاضره، إذا ما كان الأخوة يفضّلون اللحظة المهينة للظهور على الخشبة، لكي يتركوني أخسر قناعةَ الرسامين بأن كيلو من اللون الأخضر ليس أكثر اخضرارا من ربع كيلو.

متشجن/ القاهرة/ ١٩٩٥

صعوبة أن تكون رومانتيكيا

ليس لعينيكِ بدءٌ ولا ختامْ

تمامُ عينيكِ نقصٌ، ونقصُهما تمامْ.

* * *

النارُ موجودةٌ في جوار الكتف، فلو أن لأحزانكِ بابا لابتدأتُ،

ولو أن لأحزانكِ أسهمَ الخرائط لانتهيتُ. كيف لا يحسنُ

الشعراءُ المصريون الحديثَ عن المتاهة؟

* * *

طيرٌ أقربُ للماءْ، طيرٌ أبعدُ من سطح الماءً، طيرانِ التحما، تحتهما ينفعل الماءْ. سين: كيف تصير امرأةٌ عيدهْ؟، جيم: لو قرأتْ أورادا في الركعة وتجلى وحشُ أظافرها في السجدهْ. سين: كيف سيغدو الرجلُ إلها؟، جيم: إن مسحَ الجبهةَ في باطن قدم الطفلة وتولّى عنها الرقصة وتولاها.

* * *

أنغامُ المدن الساحلية لها وطأةٌ، فلماذا لم تخلعي حلمتيكِ وترسليهما في حوالة على القسم الثقافي؟ ربما لو فعلتِ كنا وفّرنا المشاويرَ إلى عيادة المقطم ووفّرنا الكرسيَّ الكهربائيّ الذي جلستُ عليه في سنوات النضج. لا بأس، لنفترضْ أن الحوالةَ تأخرتْ ثلاثةَ أعوام - هذا يحدث في هيئة البريد - وها أنا المطرودُ أستلم الطردَ، فلماذا تستيقظ حلمتاك كلما عرَّج الكلام على سيد عويس؟

* * *

ستعلّق امرأةٌ جوارحها على سقف المنازل، ثم تمضي في مباخرها لقوم صالحين يقدّمون السُّم باسم عصير مانجو. شاءت الدنيا وما شاءت يكونْ.

* * *

أريد أن أكتب شعرا لعينيكِ، شريطة أن أتفوق فيه على تشبيههما بغابتيْ نخيل ساعةَ السَّحر، وألا أكرر أنهما خانهما التعبير حتى ظلتا كما هما. أعلم أن ما أريده شاقٌّ عليَّ. وحتى إذا استطعتُ فسوف أكون حينئذ شاعرا غنائيا، وهذا ما أتحاشاه منذ عشر سنوات. وهبْ أنني تجاوزتُ الكبارَ الذين سبقوني (وهو واردٌ بقليل من التفاؤل)، وأنني قبلتُ أن أكون رومانتيكيا لبضعة أسابيع (وهو ممكنٌ بقليل من إهمال الواجبات الحداثية) ساعتها ستواجهني المشكلة الأمُّ: أن كلَّ الأوصاف التي سألصقها بعينيكِ سوف تظل مجردَ شرح لعينين تستعصيان على الشرح. الأجدى إذن أن أنقّط اليودَ في هاتين العينين نهارا كاملا، وأن أفتحهما على

الآخر لحظةَ انفلاق البويضة، لأبلع ما ينزُّ منهما من فائض العمر. هكذا فعل بيكاسو: قضمَ التفاحةَ بين شدقيه تاركا الرسامَ البائس يخلط الأحمرَ بالأزرق في دائرةٍ من فلقتيْن.

* * *

رِتمٌ يثير الدمعَ في عين الفتى، وهنا تصير جروحنا بدءَ العبادةْ.
أنتِ اقترحتِ نقاوةَ الغيب المطهَّر واحتضارات الشهادةْ.
هاتي مناشفَكِ البليلةَ من على سطح المنازل، علَّنا نحتاجها لنحوكَ منها للجنين منمنماتٍ في الوسادةْ. أنتِ الوليدةُ من ضلوع الصبح فيَّ، وكلُّ صبحٍ في مآسينا ولادةْ.

* * *

كنت تقرأين المحاولةَ رقم ٧، فبدا الأفقُ أضيقَ من كلية الطب، وتوهجتِ الشفتان بكل ما يجعل القلبَ طائرا. لستِ

مدانةً فلم يكن بمقدورِك أن تشدّيه من لجامه. وليس مجرماً فلم يكن اشترى الحصان الأبيض. ينبغي أن نستريح قليلا من العزف المنفرد، ليصبحَ كلُّ تركيزنا الليلةَ على الطائر.

* * *

انتَ الذي تحتى، وأنا التي تحتَكْ. ارقب تحوُّلَ جبهتي، فأنا أزاولُ صحوتي من جرفكَ الأشلاءَ في أحشاء أعوامي، وتشهد صحوتي كحْتَكْ. أنتَ الذي تحتى، وأنا التي تحتكْ. سيوثّق الفانونَ حرثَكَ في أراضي الجوع لي أو يكشف العشاقُ فحتَكْ. أنت الذي تحتي، وأنا التي تحتكْ. يا ليتَ للمحتاج فقرَ يدين فيكَ، وليتَ للشهداء سُحْتكْ. فاحفرْ على ظهري حوادثَ حزننا، واتركْ على الحقوين نحْتَكْ. حلمي الذي تحتي، وأنا التي تحتَكْ.

* * *

تفتقر حياتنا إلى قصيدة عن الصوت، وليس من أحدٍ ليكتبها سواي. غير أنه يلزمني حينما أواجه البياض أن أتفادى صنعَ علاقة بين الحلق واللسان وضمة الشفاه. وإذا جلستُ منفردا في مقهى بلدي أفكر في مدخل للكتابة، سيكون ضروريا أن أزوغ من الحديث عن الفوناتكس كلما نطقت المرأةُ الكاف، سواءٌ كانت الكافُ في أول اللفظ أو في آخره. فأنا منتبه إلى أن ذكرَ مخارج المفردات من أشهر الألاعيب عندي. لن أهتم بقلة الخيارات التي ستبقى لي بعد كل هذه الإقصاءات، فقد عيّنتُ التيمةَ التي سأبني عليها شعرية النص: سأركز على ما في الصوت من نبرة العزلة، والاضطرابِ الذي تثيره هذه النبرةُ على وجوه الجرسونات. منذ ليلة البارحة وضعتُ عنوانها: الحطام. ولم يبق لي سوى أن أسدَّ النقصَ الذي تعاني منه الحياة، مستبعدا سطوة الهمهمة على أذنيّ.

* * *

أخفيتِ بطنكِ بيدكِ اليسرى حينما نهضتِ نصفَ نهضةٍ للسلام عليّ بعدما رفضتِ الاشتراكَ في السخرية مني كما أوصاك الزملاءُ غير المشوَّهين. حسنا صنعتِ بإخفاء بطنكِ، فربما لو رفعتِ يدكِ اليسرى كنتُ رأيتُ طفلي الذي سيخترق هذه البطن بعد ثلاث سنوات، ونزعتُ عنك الجوب مقعيا كالجرو ألحس ما سوف يسيل بين فخذيك من آثاري عندما سينتهي الطبيبُ من جريمته. لو جرى عكسَ ما جرى كنتُ خسرتُ الأصدقاء، وتسببتُ في فضيحة للجميع. لكن الآن جرى كل شيء على ما يرام: خسرتُ الأصدقاءَ، وخسرتُ الطفل، وتسببتُ في فضيحةٍ للجميع.

* * *

توحشني في الليل أصابعُ قدميكِ مخمّشةً عنقي وضلوعي اليسرى وحشايّ. في أول لحظات الحلكة أفتقد تراتبَها الشاذَ ورعشتَها إن بلّلها عَرقي أو مسّتها شفتايّ. في آخر لحظات الحلكة أفتقد غرائبَ حركتها وهي تقلد طوراً ديكَ الجن وطورا تتمثل فعلَ الربّ إذا مرّ على الأمشاج فكانت خلقا: من طيني وعظامي وحصايْ. ثم تدوس على السجادة في خفة وعلٍ صيدَ حديثا، عكسَ خطاي: فخطاي خطى وعلٍ صيدَ من الأزل ومزجَ نزيفَ قوادمه بدمايَ. أو تتأرجح بفضاء الغرفة ساعةَ تغدو السيقانُ حدائقَ بابلَ علقها القدماءُ بخيطٍ لا تلحظه الأعينُ ليس مسنّدةً إلا بنداها وهو يخضُّ ندايّ. عند الفجر الشاهد ترتسم أصابعُ قدميكِ على الجدران فأمتلكهما وأنظّف بطنَ المُقل من العَرَق المتخلّف عن طول اللف وراءَ النايْ. وحين أدسُّ الأنفَ المستنشقَ بين السبابة والإبهام أحلّقُ في الروح المتهشم جوّايَ. وأعود لتوحشني في الليل أصابعُ قدميكِ مخمّشةً عنقي وضلوعي اليسرى وحشايّ. وتعذبني في كل اللحظات يدايْ.

* * *

تحت ختم السُّرة تماما هناك رأسه العاري لم تصبح له بعد تسريحةٌ. تحت شَعر العانة تماما هناك قدماه الدقيقتان بالكعب في حجم رأس دبوس. وفي المسافة بين الختم والشَّعر هناك عموده الفقري، هلاميٌّ، لكن له صلابة ظهر الأب. والسخونةُ التي تضرب المنطقةَ كلها هي المناخ الذي يحتمي به في وحشته. أما الدم الذي ألعقه كل شهر بفمي فهو غذاؤه الذي يسرقه في الرابعة فجراً، حيث أنه لا يحب البسبوسةَ، ولا يقدّر البيض.

* * *

ستنام قافيةً على ساقيكْ. وتشير في حلم إليّ: تعال يا شجنَ الهوى، فأردُّ في شجن الهوى: لبيكْ. ستقول : ما تعطي لمبتلّ؟ وأجيبُ: أيكْ. يا ليتَ لي كفيكْ، لمشيتُ في رفقٍ عليّ، مشيتُ في رفقٍ عليكْ.

* * *

الدواوين مليئةٌ بشعر الفراق، وعبد الحليم حافظ لم يترك معنى في الفراق إلا أتى عليه. فما الذي يستطيع أن يضيفه الإنسانُ المعاصر إذا أراد أن يجسد الفراق بصورة تخلو من تكرار الآخرين؟ سيكون عليه أن يهرب من مسألة كل شيء بقضاء، إضافةً إلى نسف: يا أيها الليل الطويل ألا انجلِ. إذن يتوجب عليه ابتكار فراقه: كأن يسبَّ حزب العمال باعتباره أحد أشكال الفراق في تاريخنا الحديث، محاولا أن يقارنَ بين القسوة والضعف كنوع من إقصاء التراجيديا عن الحدث.

عندئذ سوف يسطع المأزقُ: حين يستبطن الذات سيجد أن لقطةَ عايدة وكمال عبد الجواد هي التي رسمت فراقاته السابقة، بحيث يغدو كاذبا إذا قال: «لن أستطيع احتمالَ رؤية الطلائع»، لأنه سيكون حينها غارقاً في التهي المشهور: لا تودِّعني حبيبي.

ربما كان على المواطن المجدِّد أن يستسلم لسلطان الفراق مداريا عجزه بالإشارة إلى التناقض المقصود بين النصّ والشخص.

ستخدمه عندئذ فكرة موت المؤلف، فإذا رأى المحبينَ يفترقون أمامه بسبب السياسيين الذي فشلوا في النظافة، استطاع أن يحسّن وضعه السيئ باستدعاء الجمرة التي تشتعل بين ثياب محبويه كلما اتفقا على أن يكون الوداعُ مميَّزاً، بغية أن يليق بعاشقينِ يحترمان تلبُّدَ النفس.

* * *

لأصابعها لا للحب، للأمومة التي تأهّبت شهرين تحت السوتيان لا لقوة الأفئدة، للكوابيس التي يظهر فيها الآباء جبارين والأحباءُ خونةً، لسيادة التراث على مفصل القدم: هذه الشهوةُ التي اسمها الأيام.

يونيو ـ أكتوبر ١٩٩٦

أجمل مريضة سرطان

راحة اليد

قليلٌ من الحب، قليل من العنف. راقبتْ قميصةَ وهما يوقفان سيارةَ الأجرة، ففاجأه دفءُ راحة اليد حينما ضربا كفّا بكف.

التلميذ

لو أن الجوّالة مشوا في دهاليزه لشاهدوا التلميذَ مقرفصا يتلقى أولَ الحصص. ولو أن المرأةَ عزلتْ حلمها عن مداره المذلّ، كنا منعنا انتهاكَ الصدر واتّقينا تعفُّنَ المعرفة، فينكشف الغموضُ بفعل لعق البن من قمر فنجانها.

الرهان

في آخر الفصل كانت بنتٌ تقشّر جرحها عن جفافه، وتعرف أن الرهانَ الذي كسبتْه هو أنها كوَّنت بجهدها عينين أوسعَ من المصنفات التي تُكتب الآن فيهما. تجلس البناتُ خلف حائط المدرسة، يعاقبن أنفسهن بجريرة الارتفاع عن مستوى الشبهات. ويهتفن بروحهن التي لوّثها البرابرة: لم يبقَ ما نخسره.

التلميح

أحسنَ التفريقَ بين مراحله منذ علّمتْه أن الآباءَ خطّاءون إذا ظنوا أن ركبتيْها تستحقان الإساءةَ. وعندما سألتْه: هل أكلتَ فطيرةً في النجع؟ استعاد تحذيرَ الروائيين من خطورة التلميح، حيث لا يستطيع أحدٌ أن يمزحَ مع الاستعارات.

كل هذا السواد

بسيماهم يُعرف المجرمون. والمرأة التي خلفها تراثٌ من الذي بنى مصر شدّها الأطباءُ برشاقة أصابعهم على البُطيْن، مع أنها لم تتوقع هذه الصفوفَ من المشارط موزعةً على أبواب البيوت.

كان غاضبا من الزيف ومشغولا بالطريقة التي سيرجو بها امرأةً أن تكرم عينيها من أن تنظرا بكل هذا السواد، طالما الاحتراق كامنٌ في فكرة الشمع.

حمص الشام

وضعَ حقيبته على كتفيْها ليبرهن للممرضات على أنها متينةُ البنيان، فانفجرتْ قهقهاتها التي اختفت بعد حقنة الهواء. لا بد أن نشكَّ في الصدفة كلما هبط الملاكُ في بابل. وما يعرفه أن حمص الشام كان في انتظارهم بعد الكشف.

الطيران

ضاقت الحلولُ إلى دائرةٍ تعلَّمنا بداخلها أن الجسدَ ليس
زخرفةَ الصنائع. الاقتراحُ الآن هو الطيران إلى الجهة
الأخرى من الملعب. هناك ستهنئ امرأةٌ عاملةَ السنترال
على جمال قرطها أثناء حكيهما عن التأقلم، وهو ما يشي
بأن الجراثيم ترجع القهقرى، كلما ضلّت خطّ السير.

موسيقى الحجرة

تنيرها أحلامُها المتحركةُ، بعدما رأت بها أفرادا شعبيّين أضحكوها كما لم تضحك منذ أوغل شقيقها في الحبوب.

شعبيّون حتى الرُّكب. خصوصا تلك التي صرحت بأن الصداع يجعلها تترنح كشاربة الحشيش. الاختناقُ في هذه الحجرة أيقظ عندها حاسة المزاح، فقالت: نبدو كمن نسوا مريضهم بالمنزل. يلزمه أن يكون طبيعيا إذ سلتتْ امرأةٌ يديها من تجاربها لتجعل اللذةَ هي المحذوفَ من خطاب العرش، وقتما ينادي على التاكسي وهما يبتعدان عن باب الطوارئ.

استدارة

دعاها إلى عبور النقاط السود باستدارة خفيفة تجعل الأذى في الخلف. لفحتها حادثةُ الرجل الذي «أشواقه تعطله عن أشواقه»، فتحسّستْ قطاعا من وجهها، وحسدتْ محظوظينَ رحلوا في أول العمر.

ألف ليلة وليلة

لماذا تكثر الأسماكُ كلما أنَّ رجل؟

فليخرج المصطافون عساها تنظُف صوتها من التباس الحرف بالحرف. ويحسن ألا نخبر الأعوانَ بأن في قدميها فتىً يختار لكل جُرم سياقه. الأعوام ساهرون على الخراب. فإذا بلغهم استردادنا أحبالَ حنجرتنا أطلقوا رصاصة الرحمة.

سوف يدخل غريبٌ يلقنها أن الله في حِجرها، ثم يأتي بأفعالٍ مؤداها أن مياها كثيرةً لا تستطيع أن تطفئ المحبة، حتى لو كان المرضى جاهزين للعمل.

عناصر الحرب

خطّتهما من اليوم: أن يمسرحا الماضي حتى يموت. وحينما يتم التمسرحُ فإن الانكسارَ المتوقعَ سيكون علاجُه بعض الأغنيات القصيرة عن الصُّدف. لم يعد في الوسع أن ينطّا الحواجز، بغيةَ أن يضعوا ذنوبهما تحت أرجلهما فيسيطران على الرموز التي يمرّرانها تحت الكلام. دورهما – والحال هكذا – أن يؤصّلا الخوفَ.

خالهُ الصيّاد

طبعا هتافُ الصامتين مدخلٌ لاكتشافها معادنَ المرتزقة، ثم أن طيرانها يفصح عن رقعةٍ لم يقسها طبيبُ الامتياز، ولهذا أساءوا فهم هيامها بشفاه زميله المختبر. طبعا خالُه الصيّادُ سيخطفها منه ليدربها على لغةٍ يكثر فيها الماءُ بين أنثى وأنثى، وسوف يرفض انكسارهما حتى لا يحدثَ التناقضُ بين العيون والعدم.

وفي الفجوة التي ستنشأ، سينتحي بها إلى قاربه، حيث السمكُ الذي لم يفلح ابنُ الأخت في اصطياده، بسبب المهندمين الذين يستأجرون عضلات الآخرين.

تحريك الشُفاه

حدّقَ الرجلُ في طريقة تحريك الشفاه فكاد يفهم أن كثافة الحواجب هي ما تسبّب ندرةَ الخضروات التي تقاوم الأنيميا، فعاودتها الغيبوبة عندما زاد البياضُ عن قدرة الآدميين على احتماله. كان المناخُ كله يطردها لأنها لا ترتدي القفازَ أثناء استخراجها الكبدَ المصاب بالتليف. وهي معذورةٌ لأنها تجهل أنه بذل جهدا في الاتزان عندما كانت تدوّن شيئاً عن اللواتي هززن عرش مصر.

تناصّ

المستشفيات مفتوحة ٢٤ ساعة فيما إذا الشَّعرُ الذي هندمه الكوافير فقدَ الغجريات اللواتي يقفزن من أطرافه إلى الأكتاف، فيصاب الصبيةُ برعبٍ ينطوي على لمسةِ اصطناع يستطيع المحنكُ فضحها. حسن. من فوائد التناص أنه لا يعبر عن مشاعرنا تماما بل عن مشاعر الشخص تجاه الحالة التي تجسد مشاعرَ الوضع المشابه لموقف المرء الذي حمل مشاعرنا نحو ناسٍ يصدرون عن مشاعرَ موازيةٍ لآخرين ليسوا هم نحن تماما.

كان المحذوفُ بينهما أثقلَ من كفاءة حاذفيه. وحينما وصلا إلى «مدنٌ تهوي في الروح ومدنٌ ترقى» كانا قد كرها التناص كليةً لأنه غشيمٌ لا عمل له سوى تقشير الندوب عن صديدها.

كرة بنج

لا مانع أن يصارحا الطبيب بالفقرة المعطوبة العليا في سلسلة الظهر، بدلا من أن يموّها عليه بإفهامه أن إطفاء السجائر في اللحم كان تمثيليةً تربويةً. هي معذورةٌ في الخوف من فقدانها، نظراً لدورها الجوهريّ إذا كان الفستان بسبعةٍ من الخلف. وإن صار لا بد من بترها اقترحا على الجرّاح أن يثبّت مكانها كرةَ بنج بيضاء تقوم بنفس الدور. فلو أنه السرطانُ لكان أمراً بديعاً، إذ سيمنح الدبلوماسيين تكييفا للشائعة التي تقول إن عندها جرثومةً تحت شَعر السر، كما أن حديثهما عن الإخفاق سوف يحظى بمصداقية لم تحققها حينما أكدت مراراً أنها تكره العيش مع شركاء.

ناعسة

آتوا بجرّاحين كتومين للسر من أجل التعامل مع الغشاء الذي استعصى على تصنيع العواطف. انتفاخُ بطنها كان يؤثر على كمية الهواء المتاح بالغرف. فتذكّرَ المصريةَ التي سبّب عرجاً في ساقها اليسرى بعد انفلات الكوابح. شاهدها مع زميلة المختبرِ وبينهما أربعة أثداء، اثنان منهما كانا يصّران على صنع الخير، بينما الهواء المضغوط يوحي له بأن يقصّ شَعرها على الزيرو، لتغدو هذه الرأس مثيرةٌ لذكرياته عن أمثولة الصبر، عندما باعت امرأة جدائلها وهي تحمل في قفةٍ دودَ زوجها، في حين يسألها الشامتون على دفوفٍ جنائزيةٍ في مسلسل الخامسة والربع: فين شَعرك يا ناعسة؟

سيد المنزل

تنهش الحوائطَ بأظافرها لأنها لم تستطع تحذيره من عدوان الشوارع. تبادلا تعارف الأمعاء بالأمعاء، ثم تركته وحيدَ أحشائه التي يهركها الكلابُ، وهي العليمةُ بالساعةِ التي يصير فيها الفيروسُ سيد المنزل.

ليس من وقتٍ لإثبات أسبقية الروح. وهي تشم عَرقه بينما الآخرون يمسحونه بفوطةٍ. تضع خافض الحرارة في الشرج، وتظل واقفةً كديدبان إلى أن ينتظم الوجيبُ ويرحل سيد المنزل، فتستطيع أن ترى خيوطا من الدم في القنوات التي خلفتها الأظافر.

الإبرة

كيف نفرّق بين البراعة والشّغف، إذا كان الطبيبُ قد أفسدَ الأمرَ كله؟ حك أنفه وقال: صداعٌ عادي. سامحه الرب، فقد كان الكثيرون في حاجة إلى هذا السرطان مثلما كان مواطنو كافافيس في حاجة إلى البرابرة.

فلماذا يخونها الرجال بالمرض، بعد أن أقسمَ كبيرُهم أنه على عانتها يموت فيلقى جنةً على هيئة مكتبةٍ، بينما الخونة يعرّون مؤخراتهم لاستقبال إبرةِ سيد المنزل.

الملابس

لم تشرح التفاصيلَ لأن الشواكيشَ فاجأتها، فهل لا بد من ورمٍ خبيثٍ لكي تعرفَ المرأةُ كم يحبها الآخرون؟ هما يدركان أن العكارةَ مصروفةٌ بالتساوي بين خلق الله، وقبل أن تشاهد جسدَها منتِجا للأساطير لن يمكّنا الذنوبَ من أن تفسدَ الملابسَ.

الخِضْر

يطوف به عبد الرحمن، بالتواء فمه عند جرعة الماء. كان مندوبا عن الخضّر حين تنبأ له أنه سيلقى الشخصَ نفسهَ مرتين: مرةً أيام واثقِ الخطوةِ يمشي ملكا، ومرةً أيام فوكو والثوبِ الذي إذا ارتدته الغلامِيةُ شكشكَ الآباءُ عروسةَ الورق.

يتذكّر أن خيري السمرة طلب نصفَ المبلغ ثم تنازل عن النصف الثاني بعد الجراحة التي نجحتْ بصرف النظر عن عبد الرحمن نفسه. ابن عمه الذي لم يلحقْ دفنتَه، مع أنه يدين له بكل نجيب محفوظ ونصفِ مصطفي لطفي المنفلوطي وخُمس جبران.

العُقدة في منطقةٍ بعينها، وحين يطفح الماضي ستدفع سيدةٌ ثمنَ مهنةِ العلو، قبل أن تتحسسَ الحاجبَ الذي لم تنتقه، لأنها خصيمةٌ للورم ومعاديةٌ لعقيدة الخفّة.

فلسفة التخفف

توصّلا إلى كوارثَ سابقةِ التجهيز، ستدفعهما إلى أن يناشدا المارّةَ أن يستلهموا حضارةَ البدائيين في جعل الكفّين نفيا للخَرَس.

لن تكتبَ المرأةُ تجربةَ المرض. الرجل هو الذي سيكتبها، إذ من الضروري للسلام أن يصحو. أخته تستوعب أن قراءةَ الطالع قناعٌ، فلا تداريا عليها أن المكانَ موحشٌ إذا خلا من الرجل الذي يتحتم التخففُ منه.

الأخطاء

كل ما يدريه أن العتاةَ كانوا محقّين لأنها حبستْ جسدَها الأصليَّ في صندوقٍ مطعّم بالصَّدَف، بغيةَ ادخاره للحظةٍ قد لا تجيء إلا بصدفةٍ لا يجيد حسابها فنّيو الأعطال، الذين لم يلاحظوا قائد الأوركسترا وهو يعلّق عازفيه في السقف.

هما غير محتاجيْن للكوريكتور لإزالة الأخطاء. يكفيهما أن يبتسما للخاطر اللئيم حول اتساع سرواله، قبل أن يشجعها أمام الطبيب المناوب على عرض تاريخ حالتها.

روبابكيا

كان يكره شَعرها محلولا، ويمنع عنها طلاءَ الأظافر حتى لا تستوعبَ اقتراحَ فورتها. سيدُ النعمة الذي تمنت أن يموتَ كيْ تعطي أثاثَ غرفته لبائع الروبابكيا، تتمةً لبغضها ضمةَ الصدر كلما عاد من أسفاره يجرّ عضلاتِ الصاعقة بساعديْن احترفا لذةَ الهصر.

غرفتُه الآن خاويةٌ، بعد أن غادرها الطاغيةُ كثيفُ شَعرِ الصدر.

وهي ترتب احتفالَها الذي لم يفهمه الأسوياءُ: ستراقصه طيلةَ الظلام، بجسمه العسكريّ المحشوّ بالجُلّة. لن تتفادى النظرَ إلى شاربه المموّه، ولن تكترث بنظرات أمها من الثقب إن أنهكتها رطوبةُ الجو، رغم أنه كان يحرّم عليها الكعبَ

الذي يوضّح صحوة الثدي، حرصا على أن تظل الوصايا معلّقةً في النجف.

وحين تأخذ الرقصة مجراها، وسطَ مومياواتٍ ترفع ذقونها الآليةَ فوق دواليب العُرس، ستحاذر أن تصطدمَ بذكره. وإذا بلغ الكرنفالُ التباسَه المطلوبَ ستتجلي حالةُ القهر: لأن الطاغيةَ مات قبل أن تنال منه.

الأشباه

شواغلنا قليلةٌ هذا الصباح، ونحن مكشوفان تماما بعد أن اختفى الظلُّ في الظل. هبط الملاكُ وبائعو الجلود والأشباه على شواغلنا القليلة، ولم ينجح المحارُ الذي جمعناه في طرد أحد. ومع ذلك كانت جاهزةً لغفرانٍ ليس من طبائعها عندما أعلنتْ في الجمع أن الخطّائين للخطّائين. وهمستْ: أنا ممنونةٌ للضغائن التي تبرق في الليل، فتنير مستقبلَ الضعفاء.

أبريل ١٩٩٦ - إبريل ١٩٩٧

هيمنة السّاق على النّص

فريضة

هذا الجسد ثلاثٌ وسبعون فرقةً، وليس أجمل من النعوت فلا تبتعدْ عنها، حتى تتضحَ منذ البدء قدرتنا على هتك الستائر حول فِراش بنت العم باعتباره فريضةً من فرائض التسليم.

حب الذات

تدوَّرت الجغرافيا في ستين يوما لأن في مصلحة المساحة موظفا قبَّل الحذاء من غير أن يكون حزبيا، بينما مدراؤه في مهنة المقياس فضّلوا أن تشرب الحزينةُ السُّلافةَ التي أهدرها الرجلُ في الكف من فرط حب الذات. بخصوص الغمّازتين في الخلف فلا بد أن الله بعد فروغه من صلصاله غزَّ إصبعيه في كل فلقة، لتنشأ لنا هذه الهيستريا التي مرت عليها شفتان: السفلي سافلة لا تهمنا، والعليا هي الشأن كله، حيث الأخاديد التي تخفّت بها بنتُ عم تدوّرتْ عندها الجغرافيا، بما خلى موظفَ المساحة يوقن أن الدنيا غيرُ مختونة بعد أن عايش امرأةً تصرخ في شبيهها: اعقرني أيها الذئب ثلاثا وسبعين عقرةً، لأن كل فرقة تطالبني بحقها.

ماء الظَّهْر

الثغرةُ اتضحت حينما أكّد المشبوه أنها لم تسرق الخريرَ من كراسة الموجّه، ولم تغشَّ الممتحنَ لأن الخريرَ كان نزفَ الجسد.

هنا تيقّنتْ أن وصيةَ الأوصياء صادقةٌ، فقد رأته يرفع الأخريات وهو يهوي، ثم يسكب الماء عند أقدامهن من غير أن يجفّ ماءُ ظهره. حقا إنهم طاهرو الذيل، فالخريرُ ليس في ماء النهر.

أضرحة

كيف يفسّر لنا الشعبيون أن جارةً قطعت ستا وعشرين محطةً بدون القطعة التي تصون ماستَها من تراب العامرية؟ قد يرون هذا الجنوحَ علامةً على أن الجازيةَ ضاقت بمائها تحت قطنها، وقد يربطونه بزيارة المعوزين للأضرحة، حيث يدفن العقيمون رءوسَهم، ويتاجرون في الأحجبَة التي تفكُّ العمل.

مشكلة الندرة

في الرابعة من فجر كل ليلةٍ تساورني رغبة الكتابة عن مؤخرة حبيبي، لكنني أكبح هذه الرغبةَ خشيةَ التأثر بتشبيهات نجيب محفوظ كلما ثنت زبيدةٌ جذعَها لالتقاط عباءة السيد. وأحذِّر نفسي من الانقياد خلف رؤية امرئ القيس عن الكفل الذي يرتج له الموقع، ومن تقليد مركزية المؤخرة في مخيلة الجماعة.

هكذا كنتُ أدرك في الرابعة من فجر كل ليلةٍ أن مؤخرةَ حبيبي تعكس مشكلةَ الندرة، وأن عليَّ ألا أدوخَ من مشهد الدم الذي سال منها لحظةَ الهتك، حتى لا أستغرقَ في غمازتيْها اللتين تُلمحان إلى ذكورةٍ ضمنيةٍ في أصابع الإله بعد النفخ في خاماته.

في الرابعة من فجر الليلة كان قراري: لا يموت المرءُ مرتين، سأكتب مؤخرةَ حبيبي واضعا نصبَ عينيَّ غُفليةَ الأختام، ساعيا إلى اقتناص الشريحة التي تفصل بين برزخين، وما يولّده الاحتكاكُ بينهما من مفاهيمَ مستقبلية. وطالما أن شاعراً قبلي لم يخصّص نصّا عن المؤخرة أتخذه تراثا أبني عليه بالإضافة والحذف، فلا خيارَ لي سوى أن أجزَّ هذه المؤخرة، وأضعها على الورق بديلا عن الكلام. وإذا ألقيتُ القصيدةَ في محفل، سأوجّه الصفحة قبالة المتلقي مبتكرا طريقةً في الاتصال بين الفن والجمهور تردم هوةَ الغموض في التجريب، لقطع الطريق على تأويل مؤخرة حبيبي بالوطن.

وجوديون

ما الذي جمعنا بهذا الرجيم؟ ربما اشتراكه في ثورة ٤٨ عن طريق الخطأ، وانخراطه في كومبونةٍ لقتل زوج الأم. وكيف سنفهم التقاءَ صاحب الغثيان بالرجل الذي مات بالزهريّ؟ لم يكن اختيارك للرجال الثلاثة عبثا: الشاذُ الذي لدغتْه أفعى، الملتزمُ الذي ضيّعته الجزائر، والمزارعُ الذي غنجَ كالمومس. بهذا يمكن أن نعلل كثرةَ الكوابيس على كورنيش المعادي، فما الذي أقحم الرمزيين في الواقعة؟ ربما هو: الوجودُ والعدم.

هدوء

تهدّئ رعشةَ الأجفان التي يهزمها المنظرُ الطبيعيُّ، فإذا انكسر صوتها مع انكسار نافذة مَرِضَ الأشقاءُ. وسَّعتْ ما بين ساقيها لكي تطيبَ الخواطرُ وتدركَ الذكرياتُ مهمتَها.

فجٌّ عميق

لا مهرب من أن تكون مضاجعةُ المريضات عملا من أعمال
الحج، سيما إذا كان البلاط باردا بما يدلُّ على أن شفطَ
الأعضاءِ للأعضاء فصلٌ في التطوع.

تراث

لو أنني موسيقيٌّ لوقفتُ تحت إبطك أعزف على الكَمان جاعلا قوسَه يحفُّ منك بجانب الصدر، فإذا خرج أهلُ القرى حاملين القرابين عاونتُهم على اكتشاف الخصوصية التي يكنزونها في الرقص. بعدها يمكن أن أتركَ للأجيال اللحنَ كله. لستُ موسيقيا، لكنني أستطيع أن أحملكِ على ذراعيّ محدِّقا في حاجبيكِ الغليظين، مستأثرا بما في هذه الغلظة من حنان البدو.

الشّعريّة

هاتان السّاقان شهيقان: شهيقٌ يهمس خذني، وشهيقٌ يصرخ: إنّا مفترقانِ. عمودان من الدّم المطلوق: الأول ورديٌّ شأنَ بكاراتِ الأغشية البكر، الآخرُ فيه من الجرح القاني: كيف سأشرب سِمّانةَ ساقِ السيدة إذا لم أنعتْها بالأيطلِ والظبي وأهتف إنهما الملعوقانِ. الساقان سؤالانِ عميقانِ انتصبا ساريتيْن، الساريتان بجمرهما المتأجّج تحترقانِ. الأم تقول: هما الفتنةُ تختبئان كسفّاحين، السّفاحانِ بفن القنص عريقانِ، إذا كمنا برهةَ ليلٍ، برهةَ ليلٍ أخرى ينطلقانِ. هنا الساقانِ مثنّى ربٍّ وهما النّاحانِ الخلّاقانِ. الساقانِ مؤرجحتانِ بمشنقةٍ، وعلى الحبل يضيء المشنوقانِ. فماذا يخسر أهلُ الكوكب إن جُرّحتا ومشتْ بقعٌ حتى الكاحل تشتجرانِ وتعتنقانِ. وما قَدَري إن أُنهيتا بالشفتين الواقفُ في

بابهما راع أرِقٌ في عينيه الحرّاس الأرِقونَ وبينهما جنديان بصابون الركبة أرِقانِ. فويحكَ من هيمنة الساقِ على النصّ ومن هيمنة الوزن على الخفقانِ. اكسرْ: فالساقان حوافٌ في هوّاتٍ مفتوحات أو جيْشانِ بعملاء الشهوة مخترَقان. اكسرْ فوراءَ الساقين عظامٌ تنخرها الرغبةُ ويروّيها في الطلّ نشازٌ فوق نشازٍ يصطفقانِ. اكسرْ: فالساقان النثرُ المتوترُ وهما في العائلة الولدانِ العاقانِ. شهيقان احترقا فاحترق شهيقانِ. اكسرْ: فالساقان إذا أُشربتا كلَّ ثلاثين نهارا طفَحَ الدم تصيران الشعريّةَ إذ عُجنتْ بالطمث وإذ كُسرَ الحُقّانِ. الأصدقُ قل:

ساقا حبيبتي تصطّكان إذا قبّلتُهما خلسةً بجوار بائعة الشاي.

ساقا حبيبتي مضمومتان تحت المائدة واحدى السّمانتين أغلظُ،

وهي تشخبط بالرابيدو على أصول البحث.

السوائل

هذا الجسد ثلاثٌ وسبعون فرقةً، كل فرقةٍ تناهض الأخرى، وتزعم أنها الجديرةُ بتمثيل الانهيار. هكذا فارت السوائلُ على نقوش بنتِ العم حتى لوّثت كفَّ الرجل الذي يدعك الدنيا على جِلدها بالحَرف. اللئيمةُ المستقبليةُ رأته وحدَها.

يناير ١٩٩٧

بورتريه الضباط الأحرار

يستطيع المرءُ أن يصيرَ واقعيا إذا أفشى بعضَ أسرار جيرانه، فليس من تجاوزٍ إذا فسّرتُ النزيفَ بين وركي حبيبي بانفلات العفاريت من عقالها، لكن مثلي مكلَّفٌ بالانحياز لمطربي العمال حتى تشرق الأحلامُ في النهضة.

نعم فشلتُ في إخفاء حزني على مؤلفٍ أكله السرطان بعد أن أدى طقوسَ الإشارات بالجودة التي تقتضيها حضارةٌ الحب، غير أن الطاولات لم تكن في حاجةٍ إلا لبعض دوارقِ الزهر. لماذا الموتُ صنوِ حَلْمتيْ حبيبي؟ إذ اشرأبتا تذكرتُ خميس والبقري، وإن اسمرّتْ حول مركزيهما الدوائرُ ارتحلتُ للطفولة، حيث أمي تستحم مستعينةً بالطشت والإبريق بينما أليّفُ ظهرَها بيديّ. ينبغي أن أنّأى عن دعوة المحتل أن يدعَ سمائي لأنها محرقةٌ، فإن تحقق النأيُ صرتُ ملزما بجعل أشباح حبيبي محورا للخيال الحديث، حيث القناصون في كل ناصية والحاسدون صفوفٌ على الكتف.

مستقبلا سنكون ضالعين في تسريب قسطٍ من براءة النفس للتلاميذ حتى يستطيعوا درءَ تصلب الشرايين في الليل: نبدأ بالنقاهة التي فيها يُلقَّنُ الطفلُ كيفية اتقاء الخدع السينمائية، ثم نضاعف الدرس بفضائل التحوصل ضد الذاكرة. ستقودنا التقوى إلى أن التشوه منحةٌ الإله للمحظوظينَ من عبيده، فلا بدّ للوقائع أن تجعل الصوتَ مشروخا إذا قال: غادرْ القفصَ.

الواقعيون تكأكأوا على كاهلي. فكيف يمكن أن أقنعَ جارةً بأنها ليست بومةً كما يظن دراويشُ العمل الأهلي، وأن أحداثَ الصبا لا يصحُّ أن تحرّكَ العمرَ حتى لو حفلتْ بالاغتصاب وحَرق عروسة الحلاوة؟

فُصلَ أعضاءٌ قيّمون من أمانة الحزب، وهو ما يشي بأن الألفاظَ مشبوهةٌ في حالة المرضى، إذ يدارون ارتباكهم بالتقاط العلاقة بين العُصاب والعصر، بينما امرأةٌ تتأمل طرفَ ثوبها تحت الحذاء تأكيدا على أن الجنسَ والموتَ من أمٍ واحدة.

أصابعها تلوذ بجسمها بعد غيابٍ لم يفهمه أحدٌ حتى ينصرف الأسيادُ من ثقبٍ أسفلَ ظهرها، بعدها يهرب الواقعيون ويسقط الكلام المشبوه على البلاط، فجرِّبي تركَ النور مفتوحًا. حاليا مهمتكِ الوحيدةُ وصْل الحيّ بالحيّ عن طريق علاء حمروش: حين كان يعلّم الحواريّين كيف يصبح الناس تكتيكيينَ كلما أقبل المساءُ، كان يعرف أن ذبحةَ القلب سوف تفسد الخططَ، فلما واتته الجرأةُ على مجافاة تاريخ الأب، حيث بورتريه الضباط الأحرار فوق كل هامةٍ، أدرك أن الأطفالَ وحدهم قد يفلتون من غسيل المخ إذا صار المدرّسون غيرَ بكباشيّين. لماذا إذن خذلته الفلسفةُ بعد أن أفرختْ الذقونُ ذاتها، ولم يهرعْ لنجدته ابن خلدون إثرَ هجرةِ الأهل؟ قبِّلَني لحظةَ الخروج من باب الخلْق حين كانت السبعينيات مسئوليةَ التلاميذ، لأنه خمَّنَ ثقلَ الأفئدة لو ظلّت محمولةً على الأكتاف.

هذه خدعتُه: الفتى الذي صار شركةً بطرفة عين. يا عينٌ يا ليلٌ، كل الدروس تهوي، فيما الفتى يعلو. كان ياما كان،

سبعة وعشرون عاماً. صبيٌّ يدخل كلية الآداب ويغادر
مصطفى صادق الرافعي. هو الآن فوق المحيط يستعيد
اضطرابَ أنساقها: المجروحون من الأب يقفون في الطابور
الأيسر، والمجروحون من الأم يقفون في الطابور الأيمن،
وبينهما سيبزغ البلطجيةُ والمؤوّلون من الغرب والوشاةُ
والملوّحون بفتح الدفاتر وطباخو السُّم، بمن فيهم منشئُ هذه
الكتابة، يتوسطون جرحى الفريقين قافزين في خفّةٍ على
رموش حبيبي يرتجون منه الصفحَ.
تكأكأ الواقعيون على كاهلي فجاءت بنات نعش، وجاء حاملو
الدف، وجاء محصل الكهرباء، والفلاح الفصيح. وسابقاً -
تجلى الخِضر وتجلت السيدة زينب وتجلى شنق زهران.
كان ياما كان، كل شخص وقرينُه: مضارِب البورصة
والشاعر، اليساري وعامل الشرطة، مديرو مراكز البحث
والهجانة، سالومي والمطلّقة. من لوازم الواقعية أن أهنئ
الراحلين على السكينة التي عزّت عليّ كلما أوهمتُ نفسي
أن موتاي لا يطلّون بغتة لأعاين ثغرة أنفذ منها إلى انحراف

حبيبي. كان ياما كان يا صمتَ العشيّة: رهط من وكلاء
الروح يحومون في زي الملائكة، وضيئين بريئين، يزيّنون
للأحبة احتضارهم مطحونين بشرائح الطبقة، راسمين
على السبّورة اسكتشاً للفردوس. الواقعية أخت الشجاعة
فما عليك إلا أن تعترف بأفعال أنثاك في بطنك، وما رافق
شرّها من غنج الرجولة من مثل: حنانيك يا سافلةُ، حنانيك
يا مريضةُ، حنانيك يا ذئبةَ مصر.

فإن لم تكن كفؤا لهذا القطاع من واقعية النخر فثم حلاّن
آخران: الأول أن تعلّق على الحائط قائمة بأسماء: عبد
الرحمن عبد ربه سالم، عبد السلام مبارك، سعد الله
ونوس، عمر نجم، عبد الدايم الشاذلي، أروى صالح، وائل
رجب، أترك فراغا لزبائن قادمين، مثل أحمد الحوتي
وهشام مبارك ومجدي حسنين وجودة خليفة ومحمود
بقشيش ومحمد عيسي القيري. لا يهم أن تصنّف على ضوء
الأبجدية أو أسبقية الوارد، فالجامدون مذمومون في كل ملّة.
واجبك القيادي هو أن تلقي على القائمة كل صباح

نظرةَ المفكّر المؤسّس، للتثبت من أن أصحابها لم يفرّوا فتفشل كلمة السر. والثاني أن تنكص عن الأول، متراجعا عن فضائل التحوصل ضد الذاكرة، مستعيدا ضياع المفاتيح. يقتضي هذا الحل أن تكون مستعدا للتخفف من الشاعر وقرينه، ومن سالومي وقرينها، ومن نذور السيدة. فإذا كنت رعديدا لا تقوى على أيّ من الحلّين، لا مناصَ من أن تصرخ، وتظل تصرخ رافضا أن يضيفك المعاصرون إلى القائمة قبل أن تدخل ذراعكَ كلها في حشا الحبيب كي تستخرج الوسواس. وحين يسألك سائلٌ عن سبب الصراخ قل: كان ياما كان فتى لم يستطع دفعَ أجرة الواقعية بسبب كثرة الجثث.

ديسمبر ١٩٩٧

صباح الخير أيها المجرمون

طارت العصافيرُ من القفص

من هنا يبدأ اختبارُ مستوى الحضارة.

حبيبي يحطُّه الخضر في عينيه

لأنه الحجابُ الذي تخفيه العذارى في السراويل

حتى ينزل الأطفال في هلّة الهلال.

أصفُ أحوالَ حبيبي بقولي:

الليالي مجروحةٌ بحبيبي

وسوف يأتي زمانٌ تسهر فيه الليالي طوالَ الليالي

لتطبيب جرح حبيبي الذي نكأتْه الليالي

أما رفعُ المقتِ عن لصوصِ الأعناق

فعائدٌ للمجروحين وحدهم إن شاءوا تهدئةَ الروع.

خمّنَ الحبيبُ أن ارتباكا لا بدَ واقعٌ في وعي الآدميينَ

لو أن الأشجارَ لم تكن خضراءَ

أو أن الزملاءَ لم يكونوا بصّاصين.

صباحُ الخير يا شعراءَ العامية،

صباحُ الخير يا مستشاري النقض:

الهانمُ الحزينةُ التي كبّلها القومسيونجية

وضيّقوا خناقها بعمود الوفيات وابن حنبل

شوهدت فوق مُهْر السيد البدويّ

حرةً، مفتوحةَ العينين، تحارب الغزاةَ

سيفُها كان فوسفورا

وسرجُ حصانها قطيفةٌ من باكستان

وبين ساقيها نهرٌ من عسلٍ مصفّى

يحفُّها العشاقُ في ميمنةٍ والمريدون في ميسرةٍ،

كلٌّ برمحٍ ورايةٍ وتفاحةٍ من آدم

وهي تنشد من غير صوت:

«كانت نارا صارت نورا

حجرٌ يصبح باللمس طيورا

فتصير الغمة فرَجا وسرورا»

طارت العصافيرُ من القفص

من هنا يبدأ اختبارُ مستوى الحضارة

لدينا حصّةٌ للنقاهة

نستطيع فيها أن ننتج المسرّةَ باكتفاءٍ ذاتي

فدودةُ القز غيرُ مضطرةٍ لماكينات

وأبوكِ يستطيع أن يشدَّ حفيده بيديه

بعد أن يطشَّ القرنُ وتبتلَ الشراشفُ

ويرى وجهَ الحفيد مزيجا من ملامحه وملامحي.

صباحُ الخير يا مدهوشةً من كمية الشرّ،

صباحُ الخير يا مترجمةَ المعنى إلى الشفع والوتر،

صباحُ الخير يا مختومةً بغير ختم النسر.

انصحوها أن ترحمَ الرجلَ الذي شبّهته براسبوتين

المصيدة في صندوقِ دولابها

فالمصيدةُ تحت فلقتيها على مقعد الشرفة

المصيدةُ في الدولة.

تمشي كتاريخ،

تمشي كجغرافيا،

تمشي بخفةٍ لأن في قعرها أثقالا من الصوَّان

لأن في اسمها انتقاصا من تراث البدو

لأن في ظَهرها شامةً تخاف أن تسقط إن بادرت بالبوح.

أوضِّحُ التباسَ حبيبي بقولي:

رأيتُكِ تفتحين الذراعين للعصافير تترك القفص

من هنا يبدأ اختبار مستوى الحضارة

ورأيتكِ تخلعين القميصَ والقبةَ السماوية

من هنا يبدأ السؤالُ: لماذا الناسُ لهم عيون؟

ورأيتُكِ ترمينَ البياضَ

قبل أن توشوشي الودَع

من هنا تقدمت ضارباتُ الرمل:

«قدّامكِ سكّةُ سَفرٍ، وفتىً من دمكِ يريدك في جهةٍ، وفتىً مغتربٌ عن هذي الأرض يريدك في جهةٍ، وعيونكِ تأكلها الحيرةُ: من تختارين؟ أرى رزقا في يدكِ اليمنى وأساورَ في يدكِ اليسرى، لكن هناك غرابيْن على الشجرة نعّابيْن. سيحرسكِ الستّارُ. أمامكِ دربُ السالم، في جانبه دربُ

النادم، بعدهما دربُ الذاهب من غير إيابٍ، عند نهايته يتجلى سيدك أبو العباس المرسيُّ يجهّز ناقته للطيرانِ، وبُردته لبنيٌّ في لبنيّ، فيما ثوبكِ أبيضُ في أبيضَ، قولي إن شاء الله، بياضكِ يا شابة».

صباحُ الخير يا معهد الصدر،

صباحُ الخير يا أهل تطبيع العلاقة،

صباحُ الخير يا رهينةَ المحبسين.

دورُكِ إغراقُ راسبوتين في عَرق البلح

بعد تلقينه أسرارَ عبادِ شمس

لكي أسجّل نظرةَ حبيبي بقولي:

صانع عينيكِ ليس شريرا

حتى لو كانتا مصدرَ العذاب حين تهمسان:

جسدك خالٍ من نهش الأسنان

جسدكِ خالٍ من حفر الأظافر

جسدكِ ابن الطبيعة لا الاجتماع.

صانعُ العينين واجه صورته في البؤبؤين

فارتاب في دوافعه حين شكّلَ العلقَ
وراح يهمس: «في أي صورة ما شاء ركّبك».
ما مرَّ يا حبيبي يعني أن اسم أمي
ينطلي عليك بعد الخروج من مدينة نصر
وما مرَّ يا حبيبي
يعني أنك ترقدين بين الكتابة والإيروتيكا
وإلا فما مغزى الرمال في الشّعر؟
وما مرَّ يا حبيبي
يعني أن هناك شخصا سوف يمشّط شعركِ المبلولَ بمذراةٍ،
وما مرّ يا حبيبي يعني أنه مرّ يا حبيبي،
ساعتها عرفتُ أن الفقرَ هو استخدامُ الفقر لإذلال الروح
كما علّمنا الحلاج،
ورأيتُ المسافةَ بين أصفر الثوب واستغاثة الخاصرة
برهانا على جدل الطبيعة.
صباحُ الخير يا صحافة المعارضة،
صباحُ الخير يا جعرانها على أثينا السوداء،

صباحُ الخير يا ذاتَ النطاقين.

حين تزلُّ قدماكِ لحظةَ الهبوط من العجلة الحربية

سأحملكِ إلى غرفة إسعاف السندباد

وبينما يثبّتون حولَ الكاحل الملتوي جبيرةً

سأحطُّ أحلامي كلها على سمّانة الساق.

هكذا يا ستِ:

أسرفتُ في تأريخ الطريقة البيومية

لكي أسرّبَ رسالةً مؤداها:

«لي بين الضلوع دمٌ ولحمٌ»

وأسرفتُ في دراما بناء بيت الأهل

لكي أعطي انطباعا بأن الفواعليةَ بعضُ ماضيَّ.

عولج الجرحُ بالمشارط والضماد

لكنّ قطّعَ الوريد ثانيةً ليس حرفةً صعبةً

كل ما هناك انتظارٌ لحظةٍ

يكون فيها الماهرون في الاتزان على السراط

مشغولين بإلقاء الوصايا العشر:

١- كن رهنا للطاغوت فهذا أفضلُ للطاغوت.

٢- احبسْ روحَكَ في صندوقٍ من خزف فالله كبيرُ الخزّافين.

٣- اكبحْ جسدَكَ عن جوهره نمنحْكَ الكينونة يومَ الدينونة.

٤- وجِّه سعيكَ لتملُّق رؤساء إدارات الصحف القومية من أذناب السلطان.

٥- كن محتاطا وحريصا فالجرأةُ والكرمُ هما من عمل الشيطان.

٦- احنِ الهامةَ حتى تعبركَ العاصفةُ فخيرُ الهامات المحنيّات.

٧- المرأةُ عوراتٌ منثوراتٌ في درب الرجل الصالح.

٨- تبًّا للشِّعر المحلول يصير بوارجَ نارٍ حين تقوم الساعة.

٩- لا تشربْ من ماء الغاوين: الشرعُ خصيمُ الشِّعر.

١٠- القمعُ عمودُ التقوى.

هكذا يا ست:

عاينتُ فوق عظمة الحوض آثار الخياطة

فصحتُ: حينما يتكوّر الطفل في الأحشاء لن تكحتّه المغارف،

ولن نسمح بأن يرسلوه إلى الصرف الصحي

لأننا غير راغبين في تطعيم ماء الغسيل بالنطف.

تمشي كقصة حب،

تمشي كواقعة في ضحى الإسلام،

تمشي كتعليم اللغة.

هناك منديل لم أمسح به ماء ذروتها بعد

هناك أدوات نفي لم نحركها في الدفاع عن النفس بعد

هناك عظام لم تصبح رميما لنحيي رميمها بعد.

يا حبيبي الذاكرة فحتٌّ في القعر

بينما سؤالي: هل الجرّاحون مجروحون؟

يا حبيبي الخيرة فيما اختاره الله:

توقّعنا الكراهية ففاجأتنا المودّةُ

قدّرنا توجسّ المستريبين فلاقينا طيبة الطوايا

بدأنا برعبٍ عابرٍ وانتهينا برعبٍ مقيم.

تمشي كأطلالِ ناجي،

تمشي ككشفٍ لالتباسِ الحملة الفرنسية،

تمشي كمعضلةٍ في سبيلها للحل.

المرأة التي فكّرت أن تضربَ نهدها بمطواةٍ

لكي تنجو من دساتير الذّكر

هي التي أخصُّها بتحية الصباح:

صباح الخير يا شريعةُ

صباحُ الخير يا حقوقُ

صباح الخير يا سدَّ الذرائع.

ستدلك الأمُّ على جملةٍ تخلو من الماضي المركّب:

المجرمون مئة

أوّلهم فقيه الشرع

وآخرهم مزوّر الكونسولتو

وبينهما ثمانية وتسعون:

«المتكالبُ،والكذّابُ، ومدّاحُ السلطة، خوّانُ الرفقة، والحابسُ مستقبلَ حسناء بقمقم غِلّ، والسمسارُ، ومدّخرُ عقاراتٍ خالية، حاجب محكمة الجيزة، والمتسلّقُ، جروالسيدة الأولى، والمخبرُ، ومزيّفُ فاتورةِ نور الشقة، محترفُ التليفزيون، وبيّاعُ الأحذية لأصحاب العمر، اللاعبُ بحسابات الهيئة، والمتواطئ مع تجار الأسمنت، المسعورُ على جائزةٍ، والمغتابُ،

ونهّازُ الفرص، الشّكاء ولا شكوى، القابضُ يده المغلولةَ للعنق، الواشي، ترزيُّ قوانين الكبت، منفِّذها، ومسوّغها للمكبوتين، الجابي، سائقُ تاكسي السهرة، مندوبُ الله على الأرض، وكيل المرسيدس، والمتوفرُ في كل مناسبةٍ، ورفيقُ السوء، الحاكمُ إذ يطغى، والمحكومُ إذا قبلَ الطغيانَ، المفتي بالتكفير، مهندسُ مكتبةِ الأسرة، لصُّ الآثار المصرية، والموصي بجواز الصلح، المتصوّرُ أن الحسنَ يساوي العهرَ، الراكعُ شكراً لهزيمة يونيو، وموظّفُ مال الفقراء، ومتصدّرُ كشفِ البركة، والإمّعة، المرعوبُ من الآخر، قوّادُ الجرنال، المتشدقُ بالبسطاء، المتعلقُ بالمدراء، الدسّاسُ على الشعراء، الواضعُ خدَّ كرامته تحت حذاء مطامحه، ومشوّه وجهِ الحق، حكيمُ الغبرة، ومدرس فلسفة القاهرة، الكنّازُ الأرصدةَ على الأرصدة، الحاضرُ بالأجرة، والغائب بالأجرة، ومرابي الطائفة، المالكُ في ثوب ملاك، والميكافيلليُّ، المتظاهرُ، شارحُ عقدِ الإذعان، مُدبّجُ تحريكِ السّعر، ملفّقُ فكر المستشرق في الصحف الصفراء، التابعُ، والمتبوعُ، المتسمّر عند الخلفِ الصالح، والمتشبهُ بالغير، الداعرُ، والمتشاعرُ، ناكرُ منبته،

واضعُ سمِّ الوجبةِ لتلاميذ الفصل، المتصنّعُ، والمدهونُ بسمنٍ، والضغّان، المختلسُ، المتمسكُ بالعتمة، والكائدُ، ذو الوجهين، المستوزر، لصُّ الكتب، ولصُّ الروح، ولصُّ العمر، ولصُّ شباب الأنثى، غشّاش الشاي، ومعماريُّ الأبنية المنهارة، ومحامي تجار العملة، والمتصابي، محتكرُ الضمة، ومتقاضي سمسرةٍ من أدباءِ القطر، ومحسوبُ المسئولين، المتحرّكُ بذكاءٍ، والموتورُ، الخائضُ حربَ مصالحه بشجاعةِ تيسٍ، والمشبوهُ، حليفُ المشبوهين، صغيرُ الفعل، صغيرُ النفس.

صباحُ الخير أيها المجرمون،
صباحُ الخير يا بنيانكم المرصوصَ يشدُّ بعضه بعضا،
صباحُ الخير يا عيونكم المقروحةَ من طول السهاد.
لستِ المهزومةَ يا بنتَ أستاذة النحو
طالما الفرقُ بين الفَراش والفِراش لم يدركه الآخرون
حتى يسوّقوا البضاعة التي يغلّفونها في المخبأ
بنجوى دعاءِ الوالدين.

طارت العصافيرُ من القفص

من هنا يبدأ اختبار مستوى الحضارة.

قد نفهم النقصَ في مخاليق الطين

قد نفهم كيف يصنع الفشل مقاولي أنفار

قد نفهم الصندوقَ الأسودَ في كل نفس

لكننا لن نستطيع أن نفهم:

لماذا يتبرع الطليعيون بالقتل؟

هكذا يا ست،

مطمئنا إلى أنكِ في أمانٍ أقول:

على نهديكِ اسمُ النبي عدنان،

على نهديكِ اسم النبي إبراهيم،

على نهديكِ اسم يوسف.

وحين تسطع فيهما الأسماءُ سوف تستحيل

أغمادُ السيوف إلى مراودِ كُحلٍ

والعبيدُ إلى مغرمينَ.

تمشي كمحتويات قصر الجوهرة،

تمشي كنقيضٍ للإنكشارية،

تمشي كمشّاءة.

وأنا أصوّبُ نسبةَ أعضائها لأعضائي بقولي:

«عيناك عينا غريقْ

بعضُ انطفاءٍ فيهما، وفيهما بدءُ البريقْ

دمٌ مُراقٌ في يدٍ، ودمٌ مُريقْ».

طارت العصافيرُ من القفص

من هنا يبدأ اختبارٌ مستوى الحضارة

وهؤلاء الذين لم يميّزوا بين الكنايةِ والنكايةِ

سنعفيهم بقولنا: «أنتم الطلقاءُ»

حتى ينامو ليلةً قبل موعد الرقاد

ثم نمضي نوثّق الصلات بين النص والجنس

لكي يكون معنى ما تقدم من سطور:

صباحُ الخير يا كتابةُ،

صباحُ الخير يا ختَمها المفترع،

صباحُ الخير يا جمهورية.

١٩٩٨ - ١٩٩٩

ديــوان

تحيات الحجر الكريم

(٢٠٠٣)

بهلول سقط المتاع

أراه تحت مجهرٍ،

والفصولُ تعطي لبعضها الرايات،

كان هو الذي أشاع في وكالة الغوث:

«حبيبتي تنام في الصقيع

وتلعقُ الفتاتَ من موائد القمارِ والصخب

وفي المساءِ

تغسل الثيابَ والنهودَ في البحيرة العقيم»

كان عنوانُ الخُطى: «الحبُّ في الملاجئ القديمة».

حينذاك: كَفَّ الخديويّون عن رَمْي الرصاص،

وعادت إلى الهناجر الطائراتُ،

داخت سمسميّة الغزاليّ في منازل الأربعين

وأزهرت مواخيرُ: «خطوةً خطوةً»،

(راجع: عبد المنعم رياض ومحمد حمام)،

فأنهى الفتى كلامَه عن الملاجئ القديمة:

«تخاف في الظلام عودةَ النهار
تخاف في النهار عودةَ الظلام
ضريرةً تنام في الصقيع»
والفصولُ تعطي لبعضها الرايات.

مقرفصٌ وراءَ معمل الإحصاء بعد مُقيا،
يقصُّ: أحدوثة الجسدين المتماسين،
يبدأ الإثبات بالنفي:
«لا الأشجارُ أشجارٌ ولا الماءُ ماءٌ
هذه تجلياتُ الدماءْ».
كان طبيبُ النساء مسترِيباً في حيائي،
لكنه أوصى بالمضاد وفيتامين باء، ومال في أذنيَّ:
تحت المخدِّر غمغمتْ: من البحر إلى النهر.
هذه تجلياتُ الدماء: الأخضرُ الذي يمجّدُ الفخذين،
بعد مُقيا وراء مائه يستهيم:
«قال للبحر بحرٌ:
يا بحرُ عندي مرأةٌ ثقيلةٌ

كالسفينة التي تحمّلت بالقناطير من مُرٍّ وكَمُّونْ

يا بحر عندي مرأةٌ

تضو ثيابَها إذا ما علا موجيَ الحنونْ»

هو مولعٌ بالقافية التي تقبض الإنس،

وهائمٌ بأن تدورَ في قُطْرها البلاغات،

فلاحظَ المشخّصونَ أن ماءَه كثيرٌ،

وأن رمزَه الغلابَ: إيروس،

كرَّرَ الذي باشره خلفَ ملحق الآداب:

«عندي مرأةٌ ممدودةٌ على قبّتي الداكنة

يا بحرُ: إنها ساخنة»

وعاودَ الحنينَ للبدايات،

في ختام البئر جاءَ اعترافهُ الذي سيبقى في خطاه

منذ أول القوس حتى تكسّرتِ النصال:

«أردتُ أن أنمقَ الكلامَ عن عيونها أبَت

لأنها ترى فؤادي الكذوبَ خلفَ رونقِ القناع»

هل كان عبد الصبور نائماً في الحبر؟

(راجع : كان صاحبي مثقفاً لا ذربَ اللسان

وعاطفاً لا عاطفياً).

أغنيةُ الفتى في الإعتام وحيداً:
الشجرةُ التي طوّفت على الدور طوّفتْ على البدنْ
الشجرةُ التي تقمّصتْ خضرةَ الشجنْ.

هكذا دخلتْ الشجرة النصوصَ كُلها،
منذ كشفت بنتُ الريماويِّ له طَيةً وراءَ طَية،
فلا تعجبْ إذا شهدته بعد عشرين فسحةً
يخطُّ في «تختة السادسة»:
«في كامل عُدَّته ذرّته الريحُ إلى صدَقاتٍ»
هي التي لقّنته مَسَرَّةَ البوَابات،
ومكّنتهُ من شرقها خلفَ جابرِ بن حيَان،
لهذا رأى ما رأى:
هذه الأعضاءُ التي أرَّقت فضائي،
ورمى عند المطافئ السؤال:
من تُرى يَفُكُّ أعضائي
ويرمي على كلّ قُبّة في الأرض عضواً؟
(شَرْح جابرِ بن حيَّان:

عطفةٌ بها بيتُ محبوبي،

وبها بيتُ المباحث).

لعله خارجٌ من أسي: في سبيل التاج،

فأنا أراه تحتَ مجهرٍ،

وأرى الفصولَ تعطي لبعضها الرايات،

لعل خايلَته أحلامٌ مهجريّين فاستفتح الشَّرخَ بالشرخِ:

«أخافُ سُمَّكَ الخفيَّ يا عشيقي القديم

بليلةٌ ثيابُها وراءَ حائطٍ بعيد

أتخجلين من صديقك الوحيدٌ؟»

لعلكَ انتبهت للبَلِّ والبليلِ ومبلولةٍ؟

فرطُ ماءٍ في فرطِ صحراء.

لعله إذ أرتْه بنتُ عبد الله خَسَّها خلفَ الشواديفِ صاح:

«المرأةُ الكتلةُ/ المرأة المسافةُ

هذه غيبوبةُ الكثافة»

لعله إذ تشاكلَ عليه النَّصُّ والأوراكُ كان مأسوراً

يفَهدِ الأوائلِ،

ولعلها التي باعت قرطَها بالبَخسِ،

لكي يُخرجَ الفتى رُغاءَه بين دفتين:

(راجع: حبيبتي مزروعةٌ.

القاهرة.

رسوم: محمد بغدادي-

دار سامي بلاظوغلي).

لعل من تراب هذه المطارحات جاءت:

أغنيةُ المرأة في الإعتامِ وحيدةً:

أنا التي أكملتُ ناري على ناري،

خذوا على الفروع سُرَّتي على الفروع

خذوا حشايَ بين الجمر والرماد.

مغزاكَ كادَ يستبين:

فرطُ ماءٍ في فرطِ صحراءَ.

فلعلكَ انتبهتَ لاقتران الحبِّ بالقلم السياسيِّ،

واقترانِ الشِّعرِ بالمخابرات.

زارتني اللحظةُ التي أشجاه فيها رسمُه،

مَشَت عليه مباخرُ الشبَّات،

خضّتْه فاسوخةُ الأنثى خَضَّ قادرةٍ،

إثرَ تلاطف الحاجات بالحاجات،

فاستوى الرملُ في زراعة الحياض،

زارتني اللحظةُ التي انجلى بها طِلَّسمُ أطرافه،

فحيًّا فقيرٌ نفسهَ:

«جسدي على الشبابيك والبلادْ

جسدي مقابلٌ للبلادْ»

عشرون حولاً ستكرُّ

قبل أن تمشي عليَّ رَحبةُ الحوض،

أمَّا منازل الأربعين فهي بلادٌ التي ما لها بلدٌ.

•

أسموه السبعينيَّ ولا يزال يحملُ اسمَه،

سيقول له جمعُ سهم: وارِني عن اسمي،

(اصطيادٌ من النفَّريِّ الذي سيغدو بديلي)

لكنه ظلَّ مكبَّلاً بالوصف،

فاختار من منتهى المتماسِّين هذه التقاطعات:

كان في الثلث الأخير من كل عتمةٍ يجيء /

يضيع في تنفُّسي وفي صريري؟

يكلِّم الأعضاءَ كلاما/

ينحني وينفردُ/

يلصق الجسمَ في جذع نخلةٍ/

ثم ينتفي في الهزيع/

وكنتُ حينَها أمتلي فحيحا.

(دلالةُ الفحيح:

فيه من وصلٍ ورُقْيةٍ.

فيه من تلاطم الفاءات بالحاءات

وفيه من ثغابين جُحْرٍ)

لا يزال يحمل اسمهَ،

وعلى صفحة المُخّ: كارُّو وربطةُ البرسيم،

وأبي يغازلها خلفَ المنحلِ البلديِّ

تدخل الأختُ بالشاي غِبَّ انفكاكِ أزرارِ القميص،

فيداري افتضاحَه بالحديث عن سمادِ الأرز،

وينتقي من جرابه هذه التوافقات:

كبقرةٍ لوَّابةٍ كانت تجيء/

تصفُّ فوق أغصاني لعابَها /

تخطو خطاها الحلوب /

وهي من قارورةٍ نحاسيةٍ تشرب /

ثم تبخُّ في الأشياء ما تشرب /

وتختفي في الهزيع /

فكنتُ حينَها أمتلي فحيحا.

(دلالة الفحيح:

ينطوي على اللدغ،

ويعني الاحتضارَ والاحتضان.

ويشير - من ضمن - إلى نظام الرَّي)

هكذا لازمتْه البقرةُ:

فمرّةً هي قراريطُ الجدّ:

همزةُ الوصل بين البذور والفأس،

ومرّةً هي الشهوةُ

الخامُ إذا ترامتْ على الأسرَّةِ المساحاتُ،

ومرّةً هي التي مستهلُّها:

«ألف لام ميم، ذلك الكتابُ لا ريبَ».

(عشرونَ حولا ستكرٌّ
قبل أن تسترني بقرةٌ في شرفةِ الأوديون):
شرفةُ الأوديون: مكانٌ يعوَّلُ عليه لأنه مؤنثٌ.

تناولنا حلبةً في صالة المحفلِ النسائيّ
وفوقنا الفصولُ تعطي لبعضها الرايات.
عَلَّقنا على ابيضاض السالفَين،
ودسستُ بين أوراقها: دهاليزي والصيف،
(بكائيتي على رحيلها بعد رفع اللجوء،
بدايتُها: للفحيح الغامضِ في قلبي
ونهايتها: أختفي في: لكم.
راجع: دهاليزي - الريس - ١٩٩٠)
زدْنا حلبةً وأوضحتُ:
خرجتْ من يديَّ بعد هَبَّةِ الجائعين،
كأنني أردتُ اقترانَ النَّصّ بالسّمنِ والغاز.
- عيناك ما زالتا جميلتين.
- هل عذَّبوك في العَبّدلي؟

- أنتِ التي استطبتِ الوداع

- أزهرتْ مواخيرُ: خطوةً خطوةً.

لم أسأل: أتذكرين رقصة: يا دَلَعْ دَلَّعْ؟

لم تسألْ: أما زال جرحُكَ تحتَ ترمسِ الصدر؟

لذا رأيتهُ تحت مجهرٍ يكتب:

«الفتى: شعرُ صدره حديقة،

الفتاة: نهداها قاربان»

ما كلُّ هذه النهود في الصفحات يا بنَ زاهية؟

(معاني المفردات:

الصيف ذو الوطء: جنونٌ أوله ثقبُ إبرةٍ،

وآخره: زلتٌ.

رَفْعُ اللجوء: هاربٌ من

الهاشميّين في مصَر

أعتقه الهاشميون.

هيّةُ الجائمينَ: رَجّةُ الروح

التّبدلي: مربّعُ التوقيف في بلاد العرب).

هل كان مستطاعاً:

أن يلتقي الهاشميُّ والهامشيُّ؟

أو أن يلتقي الشَّرْعُ والشِّعْرُ؟

ربما أسكرَه بَوْحُ الغنائيِّينَ بعد ذهابِ البُناة،

كان بَوحُه معلناً في الصحيفةِ التي سَكَّها الضباط:

«أعود وزورقي تَعِبٌ، طريدٌ ما له شطآنْ

وأغنيتي بقايا نغمةٍ دارت على الشبّاك والجدرانْ

على العتبات، وانجرحتْ مقاطعُها

فماتت في دُجى الدربِ

حصاناً ما له فارسْ

وكنتُ ظننتُ أني سيِّدُ الفرسان».

ربما سبَق المحررُ الإنشادَ قائلاً: رومانس،

الكاتب - نوفمبر ١٩٧٤،

وفسَّر كثرةَ الشبابيك والنوافذ والشرفات، كما يلي:

حلم مغلولينَ بالبَرَاحِ،

وقاموسُ حُرِّيِّينَ.

ربما هذا هو الشهرُ الذي أقررتُ فيه:

أصبِّنُ جسدي،

فتهكّم أهلُ الحديد والبويات من حسيّة الفلاح،
(نوابٌ جائعين لا جائعون)،
ربما نزولُ النَّفَس صوب النَّفْس كان حُرمَةً:
يا جميلُ انظرْ إليّ.

مساءٌ:
اهتدى إلى خدنٍ تركَ الهندساتِ للفلسفة،
حدّثه عن الهوى المحجوب والطبقات،
وأطلعه على مشكاته:
«الفلاحين بيغيّروا الكتّان بالكاكي
ويغيّروا الكاكي بتوب الدم»
عشرونَ عاشوراءَ سوف تمّحي قبل أن أستميحَ سيدةً:
ذهبَ الكتّانُ والكاكي
وأنا أريد عينيكِ على أهبة البكاء.
كنتُ أطلبُ الغفرانَ من سحابَةٍ
صِرْتُها ثم خنتُها (ويحه جرويي)،
وسكبتُ لؤلؤَها الذي صَرَّتهُ لي عند أقدامِ رقطاء،

(راجع : طائر الرذاذ
حيث نينوتي والكليّةُ الحربيّةَ،
وحيث: كيف حال سيدي؟
ثم راجع: جسد الفراشة
حتى ترى:
حَسّاسٌ كالأشعة فوق البنفسجية،
ودافقٌ كالأورطي،
كيف يلمسُ الريفيّون كهرباءَ نازفةً).
هكذا: دنيا الله ضيّقةٌ،
ربما أطاح المبدئيُّ بوشم إذا فككتَه جاء:
«لا تعبري النهرَ يا طفلتي يا غزالةَ
رُعبي وحُلمي المكثّف»،
ثم طالبني بالتعاونيات: نحن سقينا الفولاذَ،
فأدركتُ أنْ دنيا الله مخرومةٌ،
واستعدتُ التجائي لربما:
ترى فؤاديَ الكذوبَ خلف رونق القناع.
شَرْحُ الرموزِ للقرّاء:

- ذهابُ البَناة : ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، ربما.

الخدُنُ: وشّ مصر، ربما.

جروبي: مكانٌ ودمعُ فاطمة، ربما.

المبدئيُّ: شارطو الجمال بالنفع، ربما.

الوشم: راجع «النهر يلبس الأقنعة»،

ويختمُ الإثباتَ بالنفي،

حتي يصيرَ قصُّ الحياةِ ولصقها

نوراً.

حينذاك:

أقعدَ الشريانُ أباه عن تجارة الموالح،

وبكت أمه مصرعَ العِجل الذي تبَقّى في الحظيرة،

(كانت تعجُّ بالجواميس والماعز،

الشراشرُ، المذاودُ، البراذعُ، الروثُ، الغِماء)

حينذاك:

كان ناسٌ عند ١٠١ يتقايضون،

وولاةٌ يسحبون الروحَ من قِمَط،

وحينذاك:

كانَ الأمنُ في الحسين يصطاد الحَنَاجرَ بِمِلقاطٍ.

طافَ السؤالُ فوق الرأس:

كيف تصبح الكتابةُ الكَمَثَبَ؟

حينذاك:

كانَ مغرماً بمزجِ الرئمِ في الكرباج:

«ساخنةٌ رئتايَ وعاشقتي ساخنةٌ،

والمُهرةُ في يافا مترهّلةُ الساقين،

ومقصلتي مقبلةٌ. وعن اللعنةِ والطوفان

تكشّفتُ الليلةَ. والليلةَ يتعرّى فخذا

سيناءَ لتجار قدموا من كل أقاليمِ

النهش الشبقيّ».

من أين استجلبَ المُهرَ والحصانَ والخيول؟

قَلَّب «البيانَ» قبل الصلح واقترحَ:

كيف جرجَرَته غريزةُ الخَبَبَ؟

يخطفها السوادُ مني،

وفرّاجٌ أعطى دماءَه برهاناً على المودّة،

وجيهٌ وشخصيٌّ وذو مزولة لا تخيب،
أُخمِّنُ أن شَعرَه المفروقَ تهدَّلَ قبل انخلاع السِّرِّ،
أخمن أن صاحباته المعلّقاتِ من ياقاته،
تهادين في ضميره قبل أن يحشرِجَ: بلادي.

يخطفها السوادُ مني
أنا الذي عيونُ بنت عبد الله في المقعد الأمامي
قد فَرَتْ بطني،
وقتَها أتى كلامٌ:
«لم يكن بيني وبيني سواي»
وحينما انكسرت المسافةُ التي تفصلني عني،
أيقنتُ أنني القتيل.
قلتُ للفتاة التي على الماء:
«وداعاً يا فتاةً على الماء»،
السوادُ مني،
لأنني فررتُ من بِصارةِ العائلة.
بهلول ١٩٧٥ أشقى بصيرتَه ووزّعَ المئات،

قلتُ في البهو:

هل تجاوزتَ أمُّك الإنعاشَ؟

وكنتُ أعني ما أذاعه البهلولُ قبل عشرين:

«جسدُك مشبوحٌ في يافا، مثقوبٌ

برصاصٍ أُطلقَ من فوّهةٍ بالقاهرة،

وجسدي مشبوحٌ في الدلتا، مثقوبٌ

من نفس الطلقة».

صنعتْ رجولةً في طفولة:

تراويحُ مُقبلاً من جُبرانَ بالليل،

وفي الضحى من عبد العزيز فهمي،

وتراءتْ مُقبلةٌ من القسَّام في الآصال

والغدوّ،

أتاحت رباطَها للتلاميذ فانتشى البهلولُ،

أشَّرَ عبد الرحمن على البحر الميت،

حين أضافه العشاقُ للغفوة العليا،

فرمقتُه يخطُّ في حافة المتون:

«الشهد يجري في عروقي ويصبحُ

المخاضُ موسمي، والصهدُ يلفحني
ويخرق الرئتين، يُغرقني ، ويُثمرُ
الأطفال من ضلوعي»

ليس هذا الصوتُ صوتي،
كيف وافق البهلولُ على هذا المَضغْ؟
وهي التي صنعتْ رجولة من طفولةٍ.
رسمٌ توضيحيٌّ لما فات:
البهوُ: بهوُ الرب،
جسدُك مشبوحٌ: عُدْ إلى «مقدمة للغضب»
جبرانُ: القائلُ: لكم لغتُكم ولي لغتي،
عبد العزيز فهمي: صاحب المترو، وصاحبُ المنفى،
واعداديتي.
القسّام: ١٩٣٦
عبد الرحمن: ابن عوف، أو ابن عمي، وربما فاحصُ
المأثورِ والقناع، أو سليل بسّيسو.
الصهدُ يجري: انظر «أنا أكتب الذكورة» التي بدؤها
«هذه الأمواجُ شارتي»

وخَتمُها «إنني آكتبُ الآن تاريخاً جديداً لشعبي».
البهلولُ: غامضٌ ومغلقُ الدلالة.

- لماذا يذهبُ المحبُّون؟
- لأن السلامَ صعبٌ.
الفصولُ تعطي لبعضها الرايات،
رأى القاعةَ في اكتمالها بالجُند،
أمُّها في أوّلِ الصفوف تصغي إلى:
دثّريني دثّريني،
ورطّبي جبيني.
(المصدر: الأبيض المتوسط-
كتاب إضاءة ٣ -
رسوم عمر جهان
القاهرة ١٩٨٤)
وهي في ركنها تشدُّ القوسَ بين لسانها ولساني.
سادةٌ مرتّبونَ يعلكون الأخوّةَ ويعبُرون الشدائد،

- لماذا يذهب المحبّون؟

- لأن السلامَ صعبٌ.

فلما جاءني المخاضُ قال لي قنديلٌ:

لا تمكث في الأرض،

وحينما لم أمكث انفلقتُ على ركنها:

تشدُّ القوسَ بين لسانِها ولساني،

فجاء مكبّرُ الأحياء:

«ينحتُ الأخضرُ من كتلة سديمية

فوقعةٌ تختبي بها المدينةُ المحاصرةُ

الأخضرُ استحالَ جوهرةً

يبدأ الحقلُ انتشارَه بين مقلتيَّ،

تبدأ المُصاهَرَةْ»

هل تذكرتَ الأخضرَ الذي مجَّدَ الفخذين؟

قنديلٌ: عليّ.

ينحت الأخضرُ: عِزٌ.

(للمزيد من «تحولات الظلّ والضوء» عُدْ إلى «النصر»)

«الجميلُ للجميلة

والمُقلةُ الكحيلة

لصاحبِ العباءةِ الأصيلة

الشَّعرُ في الصدر غابةُ الوسامة

الثغرُ خاتمٌ وفوق الخَدِّ شامة

الفارسُ الجريءُ لليمامة»

– لأن السلامَ صعبٌ

– لماذا يذهبُ المحبُّون؟

١٩٩٣

سجّادةٌ لصلاةِ اثنين

جاء الجِنيُّ وراحْ

أخذَ الدفّةَ والمجدافَ

ومنضدةَ الأقداحْ

ترك العاشقَ مختنقاً

بالمصباحْ.

* * *

تنام متخفّفةً من شَدّادة الصّدر

وفي النوم، تلتقي حلمها الوحيدَ:

السّفَر

حيث الفوائدُ السبعُ.

وعندما تصحو في مواجهة السقف

تلوذ بخفّها المغربيّ

وغوايشِ طاغور التي من خشب الجوز

وتمشي في الحياة.

* * *

كانت كفُّه مدهونةً

بخليط من دمِ الشهر والرّيق والعَرَق.

مسّح كفّه في وجهها

مسّح كفّه في فيتيها المشقوقتَين

بنظريةِ المركَز.

وتأمّل الكشطَ فوق المائدة.

* * *

ثمّةَ عامودٌ من نارْ

ثمّةَ بعضُ الأسرى

بعضُ الأحرارْ

ناياتٌ غرقى،

وكمنجاتٌ،

أسئلةٌ تضربُ في فزعِ الروح،

إجاباتٌ،

شوقٌ يتخفى وظهوراتٌ،

نفسٌ تتسالُ يؤرجحها كالبندول هلاكٌ

ونجاةٌ،

مُهَجٌ تتفتّحُ ومَحَبّاتٌ،

جرحى مسرورونَ، وأسرارْ

ثمّةَ رجلٌ وامرأةٌ

وقثارْ.

* * *

مكانُكِ لن يكون في دهاليزي

مكانُكِ سيكون في الموضع الذي

تشغله السيدة التي حفظتِ اسمَها

من غير أن تعرفيني

أو تعرفيها

مع أن وجهَها لا يشبه

وجوهَ الفيوم،

وجلطَتها أعمقُ من جلطةِ السّاق.

* * *

كانت كفُّه مدهونةٌ

وحينما لعقا معاً خليطَ العسلِ

ودم الشهر والرّيق والعَرَق

تساءلا: هل هذا هو الإكسيرُ

أم هو المُهلُ؟

المصادرُ:

نخلةُ الحقلِ

لسانُ الكافرين

هيستريا العضلات

شهقةُ المصَلّي

بِرْكةُ الشهر

أما الخليطُ فهو من أمر ربي

حيث يلتقي الصوفيّون بالمَصرَع

وحيث تحيّر المعتزلةُ:

الحوضُ حادثٌ أم قديم؟

ساعتها أجاب واحدٌ:

أنا قاذفُ الحجارةْ

وأجابت واحدةٌ:

أنا الملعوقةُ.

* * *

تعلو وأنتَ صامتٌ، لأن صمتَك أعذبُ من كلام لسانِكَ الزلق.
حينما تصمت أرى نفرةَ العروق في يديكَ، وأشعر أن دمَك يغلي بالرغبة، فإذا تكلمتَ حدثتَني عن دراما الرواية وتطور الشعر. ثم حينما تصمت أشعر أنكَ مرتبكٌ وحزين، وأنك حائرٌ في إخفاء رعشة المشتهي، فإذا تكلمتَ حدثتَني عن نيتشه واليوجا والصبر الجميل.

من فضلك،
في كل لقاء
كن صموتاً.

* * *

ترنحت آلافُ الأجساد في الصحراء
وارتفعت من المغاراتِ أقنعةٌ مشوّهةٌ.
بينما المغنون يقدّمون أعناقَهم للوحش،
والوحشُ يقود الجوقةَ بأنيابٍ سوداء

والجوقةُ تتطوّح كحشدِ مسطولينَ:

ثمةَ عامودٌ من نارْ

جَسَدٌ في الأَسرِ جوابٌ

جَسَدٌ في الأَسرِ قَرَارْ

أفخاذٌ تتنافر تحت سماءٍ تصعدُ

أفخاذٌ تتآخى تحت سماءٍ تنهارْ

سرٌّ يجري منفرداً

تتبعه أسرابُ الأسرارْ

اخترتُ مصائرَ أعضائي:

عضوٌ مقهورٌ في الحَلَكِ

وعضوٌ في العتمةِ قهّارْ

الساترُ مهتوكٌ في مكمنهِ

والهاتكُ ستّارْ.

* * *

في المراجيح سيكون الخيرُ:
سيصحو الطفلُ فيكِ ويصحو الطفل فيَّ
وسوف أظلُّ ضامًّا ذراعي على كتفك الأيمن حتى لا تسقطي
من حالقٍ فأمثلُ أمام نيابةِ الأهرام.
ستخايلنا الطفلةُ بالمريلةِ الرمادية وجرسِ الفسحة ومعاكسة
الصبيان. سيخايلنا الطفلُ بالجلبابِ وتسميع جزء «تبارك».
ربما يطيِّر الهواءُ الجونلةَ فألمح ركبتيكِ اللتين لم أرحمهما،
مع أنني استنكرتُ الإساءاتِ التي لحقت بهما من الغلاظ.
ستقولين: لم أضحك بهذا العمق منذ افترقتُ عن جدّتي،
وسوف يلطمُ شَعركِ المحلولُ وجهي فتبعدينه خجلانةً.
ساعتها سأستعيدُ قولَكِ
أنكِ لم تحلّي ضفائركِ لأحد قبلي.
أما الخيرُ الأكبرُ الذي أتعشّمه فهو أن
تزلّ قدماكِ عند النزول عن حصانِ الخشب،
فأتلقاكِ بذراعيّ وأحملك إلى غرفةِ الإسعافات الأوليّة،

مستعداً للسّين

والجيم في مكتب الأمن.

* * *

عندما سقط الرجالُ من فالج المحبة

وسقطت النساءُ من فالج الصَفح

كان الثورُ قد لغّ في الدماء

فحاول شخصٌ مأكولٌ عنقُه

أن يشرحَ للمشاهدين ما كان،

وقفَ على تلةٍ من موزٍ مهروسٍ

رافعاً ذراعَه التي تخلو من الكفّ

وهمهم:

يدي التي أوغلت في برزخٍ

يدي التي توغّلت في تيه

قابلت مشيمةً

وأطنانَ جمرٍ طريّ وأحجاراً كريمةً

يدي التي غاصت في عجينةٍ

كأن فرناً بخبزه

كأن كيراً بنفخه،

كأن جُرماً ينامُ في جريمةْ

يدي التي رأت ما لم ترَ العيون

جاست في طينةٍ حميمةْ

وداست على نطفةٍ تسير خلفَ نطفةٍ

يدي المجنونة الحكيمةَ

ليتني تركتُها هناك في ليلها البهيم

ليتني ما سللتُها من ظلمةِ البهيمةَ

يدي التي أوغلت في برزخ القلاع والحصونْ

وكلُّ إصبعٍ في يدي

نما عليه مبيضٌ أبيضٌ،

وأورقت في ظِفره غصونَ

يدي التي لم

تَعُد يدي.

* * *

لا أميل للعطور
لكنني قبلتُ أن ترشّي بعضَ عطرك
في كفّي
لكي أحتفظَ بك في يدي
كلما سندتُ رأسي بها في الليل
حيث الفكرُ يذهبُ
حيث الفكرُ يجيء.

* * *

أسرفتُ في الحديث عن
فرقة الإنشاد وتشنجاتِ حلقةِ الذّكر
كي أخلُصَ إلى أن بيوميَ شقيقي
كان من شرفة في رفح
يرى الجرّافاتِ والرصاصَ الحيَّ
وتفتيشَ النساء ذاتياً

فيتفل تفلةً ثقيلةً

على مشايخ الطُّرق.

* * *

عندما انتهى من رثائه

تحرّكَ القولون في بطن كلّ سيدة

كلُّ قولونٍ اصطفى نخلةً يلتفُّ حولَ جذعِها

ويستديرُ في لحائها

ثم طارَ النخلُ فوق هام السائرين في الحقول

كلُّ نخلة تخيّرت نبعاً لكي تذوب فيه

أو تحطُّ تمرَها على حوافيه

حولَ كلّ نبع كان رهطُ مبتورينَ ينشدون:

ثمةَ عامودٌ من نارْ

إثمٌ يغفر تاريخَ الأخطاءِ

وخطأٌ يرفع عن زنديّ الأوزارْ

اخترتُ التعويذات:

النورُ على نورٍ

والظلمةُ محضُ نهارْ

شربتُ ماءَ العين مع الغسَق

وشربتُ ماءَ الظُّهر مع الأسحارْ

ثمة عامودٌ من نارْ

فيه من الليل صباياهُ

وفيه من الموتِ الأشعارْ

النورُ على نورٍ

والنارُ على نارْ

* * *

الرجلُ الذي لم يعرفني

لمجرد ورم خبيثٍ أصابه في المخّ

لماذا تذكرتُهِ

وأنتِ تفرجينني على صينية النحاس

المنقوشةِ برسوم الهند؟

ثم وأنتِ تشتمين ورشةَ الزيتون

ولماذا سوف يهبط عليَّ،

قبل أن أقرأ «خريفَ» ناجي؟

.

تم إخلاءُ المصابينَ والموتى:

الجرحى في وادٍ

والمحتضرون في وادٍ

والقتلى في وادٍ

وعلى باب المستوصف

راح الأطباءُ يوزّعون تقريراً عن مستقبل

الأصّحاء، يقول:

كافُكِ تسعةُ عشر كافاً:

كوعكِ، كوّةُ المثلث، كعُبكِ، كَمَانُ

ظهركِ، كتفُكِ المدحُوُّ، كاحلُكِ

الأيمنُ، كتفكِ المعضوضُ، كاحلكِ

الأيسرُ، كأسُ السُّرة، كثافةُ الدغل،

كدمةُ البطن، كوعُكِ الآخرُ، كفلُ المودّة،

كفلُ الشرور، كعبُكِ الثاني اللئيمُ، كاعبُ

الثدي، كُحلُكِ المتّهمُ، كيمياءُ ما تحت

الإبط.

* * *

ولذلك: جاء الجنيُّ وراحْ

والأيدي المقطوعةُ باتت تتأرّجُ

خلفَ المروحةِ وحولَ المصباحْ

حتى احترقَ الليلُ

وهمدتْ في مرقدها الأشباحْ

لكن دمَ الشهر الفواحْ

ظل يكرّرُ مأساةَ اليد.

* * *

طارت السّجادة في الفراغ

وظل الشخصان يبحثان في الحَصَى

عن لقمة تسدُّ الرّمَق

وعن كفّ

ملصوقةٍ

بسَاعدها

لصقاً

يعيش ثلاثةَ أيامٍ

بلياليها.

مخبأت الحجر الكريم

حلم

ليتَ الفتى حَجَرٌ

حتى ينام المرهقون،

وينضج التفاحُ في ذيل الصبايا،

يستعيدَ الحبُّ لوعته،

يؤوبَ الهاجرونَ إلى الربابة بعدما هجروا

ليت الفتى حجرٌ

لارتاح منهوكونَ من هَتك الضنا،

وانفكَّ مغلولونَ من وَحش السلاطين

الذين تألهوا،

وتمتّتَ الضّجرُ

ليتَ الفتى حجرُ

حتى يصيرَ الخلقُ في الدنيا سواسيةً:

فلا بيضٌ ولا سودٌ،

ولا عبدٌ وساداتٌ،

ولا مُدُنٌ ولا غجرُ

ليتَ الفتى حجرُ

يهوي على رأس الزّناةِ

الآكلينَ السُّحتَ بالتقوى

وقد فَجَروا

الساكتينَ على مذلّةِ طائفيهم،

مغمضينَ العين عن شفط الدماغِ من الشهيد،

وحين توزيعِ الغنائمِ في الدجى: اشتجروا

ليت الفتى حجرُ

نامَ المحبُّ على بقايا بيته،

واستيقظَ الشجَرُ

ليت الفتى حجرُ

تسري تحياتُ الصّغارُ خلال قرميد استدارته

تذيعُ:

هنا الصغارُ مخازنُ الكبريت من كَمَدٍ،

فلما مَسّهم مسُّ الهوى: انفجروا

ليتَ الفتى حجرٌ.

الجامعة الأمريكية

كانوا يفترشون السُّلمَ والبهوَ،

يغنّون على اسم فلسطينَ أناشيدَ الحبْ،

يضمُّون محمدَ ليسوعْ

حين تداهمهم حلكاتُ الليل،

يضيئون القلبَ الصافي،

وينيرون الصدرَ الموجوعْ

في يدهم صورةُ طفلٍ سَجَّته رصاصاتُ

الغِلّ على فخذ أبيه المصدوعْ

«القدسُ لنا» تصعدُ من بطن المذياع

مدبَّبةً

تخرقُ صمتَ الشَّرع وفقهَ الشارعِ والمشروعْ

وعلى الأسوار وفي شُبّاكِ الفصلِ وفوقَ

رفوفِ المكتبةِ شموعْ

فتيان منحرفو اللكنة،

مزهوُّونَ بعطرِ الجامعةِ الأمريكيةِ،

رسُلٌ العولمةِ بباب اللوق نهاراً،

متباهون بثرواتِ الأهل،

ومختالون بقاعِ الذات وليس الموضوعْ

لكن أياديهم كادت تخلع أحجارَ القاعة

وحديدَ البوابات وجذعَ النخلةِ

منضمّين وملتئمينَ كأن الواحدَ في

المجموعْ

فتياتٌ منتشياتٌ بالأكتافِ العارية،

وبالأثداءِ المتحرّرةِ المتحركة،

وبالأردافِ الناهضةِ أو الرابضة،

ومتّشحاتٌ بعُلُوِّ الطبقاتِ العليا،

ممتلئاتٌ بالرَّغَدِ المطبوعِ وبالخجلِ المصنوعْ

لكنّ هديرَ حناجرهنّ وهُنّ يرددنَ:

«الغضبُ الساطعُ آتٍ»

كان يكحِّلُ أعينَهن بصدقِ الروحِ المشطورة،

ويلفُّ الأشجارَ بلمعِ ملائكةٍ مطعونينَ،

فخلفَ الصفّ سطوعٌ وأمامَ الصفّ سطوعْ

فإذا الميدانُ الواسع يرتجُّ،

وحيطانُ المتحف تنشجُّ،

وطيبُ المقهورينَ يضوعْ

حين شممتُ تذكّرتُ زمانَ السُّقيا،

يومَ اشتعلَ الطلابُ وصرخوا في البردِ:

«الحربُ هي الدفء،

ليسقطْ إيهامُ الخادع،

يسقطْ وهمُ المخدوعْ»

كان الضبّاطُ يحيطون المسرحَ مدَّرعينَ:

الأسلحةُ مجهزّةٌ بزنادٍ يتأهّبُ.

لكنّ الأفئدةَ موزّعةٌ بين القامع والمقموعْ

فغسيلُ الأدمغة المحتلة مسموحٌ،
لكنّ غرامَ الأرض المحتلة ممنوعْ.
أحرقتِ الأيدي الغضّةُ علَمَ التلموديّينَ،
فَنَبتت معرفةٌ طازجةٌ:
ثمةَ ناسٌ في الصبحيّة تُقتلُ،
ثمةَ ناس في الظهر تُكبَّلُ،
ثمةَ ناسٌ في الليلِ تجوعَ
أحرقت الأيدي الغضّةُ علمَ الشرطيّ الكونيّ
(وكان يرفرف في سارية المسرح،
ويرفرف في قمصانِ المحترقين برعب الطفلِ
المصروعْ)
فاندلع الكشفُ: الراعي صنوُ الذئبِ،
وحارسُ حقل التين هو اللصُّ،
وفوق الرايةِ جثمانٌ مرفوعْ

لما صار العَلَمان رماداً،

لم يعد الفتيانُ هم الفتيانَ الغندورينَ

ولم تعد الفتياتُ الفتياتِ الغندورات،

اختلط القَطرُ على القَطرِ لتتخذ القطرات

اسمَ الينبوعْ

انصهروا في موقعة الدمع،

فوحَّدهم قهرُ التابع،

وحدَّهم قهرُ المتبوعْ

لتظلَّ على سبّورات الدرس فلسطينُ،

وخلفَ البوابةِ بعضُ شموعْ.

لغةٌ تجُبُّ الضّاد

حجرٌ على حجرٍ، وكلُّ بلادنا حجرٌ، يطير ليرسمَ الأفقَ البعيدَ
بهيئة الحجر، الترابُ يصير أحجاراً، وطوبُ منازل الناس
المُهانةِ يصبح السرُّ المخبّأَ في الأصابع. مهنةُ المقلاعِ بِدعُ
خيالنا المحموم نمنحها إلى دول الصناعة علّها تهدي براءتَها
إلى المتحضّرينَ، وكلُّ أيام الصبا حجرٌ يطير ويصطفي
مرماه مضبوطاً بخبرات المطارَدِ والمعذَّبِ والسجين.
وراءَ كلّ حطام بيتٍ مخزنٌ من أغنياتٍ يبعث النَّبلُ ارتعاشَتها
فيرتجف المدجَّجُ بالذخيرةِ والأساطيرِ الصغيرة.

هذه الأحجارُ شعرُ المعوزينَ، فكيف قيلَ: فؤادُ ابن الأم من حجرٍ وقلبُ الأم منفطرٌ، وكلُّ حجارةٍ عطفٌ ومَرحمةٌ وتبييضٌ لوجهٍ سوَّدته هزائمُ الميدان؟ كلُّ بلادنا حجرٌ، فكيف تُهان أزمنةٌ سحيقاتٌ لأن عصورَها حجريةٌ، وهنا الحجارةُ مبتدا الدنيا وآخرُها، علامةُ التطوير في فن المحبّة، إذ ترفرفُ في يدٍ تطوي المسافة بين أحقابٍ برَميةِ صائدينَ، الله أعطاهم سواعده الفتيّةَ ثم أبلغهم بأن الله يرمي إذ رموا، حجراً على حجرٍ، وكلُّ بلادنا حجرٌ كريمٌ: ذا عقيقٌ من بيوتِ اللدّ خذ، هذا الزبرجدُ من جبال جليلنا الأعلى فخذ، هذي زمردةٌ من الأسوار في عكا فخذ، ياقوتةٌ من حصن حطين القديم ستستقر بأنفكَ المعقوف خذ، مرجانةٌ من سدّ حيفا فاستلم في عينك اليسرى التي أطبقتَها لتصوّب الرشاشَ في رئة الصبيِّ بدقة خذ، هذه فيروزةٌ من بيت لحم ضُمِّختْ بنزيف مريمَ حين فاجأها مخاضُ النفخ خذ، حجراً على حجرٍ، وكلُّ بلادنا حجرٌ إلى حجرٍ يقوم، يشدُّ بعضٌ منه بعضا، والمدى حجرٌ، تنبأ شاعرٌ في الحلم أن حجارةً ستصير معيارَ المودّة أو دليلَ الحائرين،

وشاف أن ملاحةَ الحجر الوسيم ستحرق العرشَ الذي هبط
الملوك عليه من أزلٍ إلى أبدٍ، وكلٌّ بلادنا حجرٌ بليغٌ قال:
أسقطتُ الفصاحة والمجازَ، فضحتُ بابلَ والعروبةَ والحجازَ،
أقمتُ للموتى الجنازَ، حجارةُ الدنيا هنا لغةٌ تجبُّ الضادَ،
بالحجر الكريم.

بطاقة

اسمي أنا الدرّة

أهفو إلى الحضن الرءوم إذا أتاني فاتحاً صدرَه

زملاءُ مدرستي رموا قلباً على دبّابة

لكن جندياً جباناً لم يتح لي أن أشد النبلَ،

ثم أُخبئ الأحجار في حفرة

رتَقَ الملوكُ ثيابَهم فتبدّت العورة

يتبادلون الكأسَ من دمنا،

وكأسُ الخاسر المرور مُرّة

ويجهّزون جيوشَهم لصيانة المُلك الحرام،

ويجأرون: جيوشُنا في الحرب منتصرةْ

اسمي أنا الدرّةْ

أهدي دمائي إذ تسيل من الفم المنزوفِ

حتى عَقدة السُّرةْ:

لندى البنات وهنّ يدرسن التواريخَ القديمةَ

والجديدةَ،

علهّن يعينَ فحوى الدرس:

بدءُ السَّيلِ قطرةْ

لنَدَى البنين وهم يخطُّون الخَرائطَ

علّهم يجدون أن خرائطَ الأوطانِ سخريةٌ

وسُخرةْ

اسمي أنا الدرّةْ

أهدي سكوتَ القلب للبترول والفكر
الحكيم وللكلام الحلو والطبقاتِ والزهرةَ
للأزهر المكروم
حتى يدركَ الخيطَ الرفيع الحيَّ بين تسلّط اللاهوتِ في
عليائه وتسلط الناسوتِ في وطيائه،
والخيطُ: شَعرةٌ
للسائرينَ بغير معجزةٍ،

وللنازيّ إذ يزهو بجزمته على البَهو المعزَّزِ وارمَ الوجنات أو متورِّمَ النبرةِ للعربجيّة والمحبينَ الأوائلِ، والحيارى، عُمّال الإنارة، ضابطِ الإيقاع، فيلم «الأرض»، والزبّالِ في ملكوته، لسعاد حسني، للرضا، لجنود الاستنزاف، والثغرةِ للاّجئ المشطور إذ قالت حبيبته: «اشتعل درًّا على رأس الخرابِ»، لجارة الوادي، لتجار الحروب، وللتسامح حين يغرز نابه في اللحم، للصُلبان فوق أهلّةٍ، لأهلّةٍ فوق الصليب، المكوجيّة، لجنةِ القدس، الطهاة، كتائبِ القسّام، للقطن القليلِ، لشهوةِ الشكل، الصحافةِ، فائض البن المضيَّع، حصن بابليونَ، سمسارِ الصلاةِ، وكالة الغوث، الخطايا، للمطوِّع، عُطلِ أسلحة المشاةِ، لقصة المعراج، للذبحِ الحلالِ، لقبة الصخرةِ للواصلين القطع، والمتجادلينَ على سؤالٍ:

الجذرِ والبذرةْ

للأمهاتِ إذا تعهّدن الأجنّة بالحنوّ،

لعلهن يضعن في مَسرى الحليب عصارةَ الفكرةْ

اسمي أنا الدرّةْ

أهدي شجونَ أبي لآباءٍ يحركهم أنين القهر

علهمو يزيلون الترابَ عن الشفاه

ويكشفون مكامنَ الجمرةْ

أو يرفعون على النعوش بنيهم القتلى

فرُبَّ من القتيل ستورق الثورةْ

اسمي أنا الدرّةْ

هذي الرصاصةُ كبّلت عمري

لتطلقَ فوق شاشاتِ السّجل مرارةَ النظرةْ

وتظل قبّرةُ البلاد سجينةً حرّةْ

اسمي أنا الدرّةْ.

صباح الخير

لم يقرأ شيئاً عن غسّان كنفاني

لم يعرف أن رئيس الوزراء العماليّ

لبس ثيابَ امرأةٍ

كي يذبح عدوانَ وناصرَ والنجّارْ

لم يقرأ شعراً من راشد

أو قصصاً لشرارْ

لكنْ كان يخمّن أن الطوبةَ في يده

ستشكّل معرفةً لم تُدرس بالمعهد

أو ستطير به نحو مجالسهم في عِلّيّينَ

جوارَ العسلِ الصافي

واللبنِ الجاري في الأنهارْ

حينئذ سيكون الوقتُ متاحاً

كي يقرأ بعضَ رسائلِ غسّانَ إلى غادة،

أو يقرأ مرثيّةَ درويش إلى راشد،

ساعتها سيكون صديقاً للقصّاصين وللشعراء

ويقول لماجد في الصبح:

«صباح الخير يا ماجد»

وسيعلن للنخب العليا

أن الحجرَ ثقافةُ أهل الخطوة.

مونولوج

نحن جنودُ اللهِ المختارونْ

أما تلك فأرضٌ خضراءُ غصبناها من أهليها

الهمج،

لكي نجعلها متمدنةً متحضرةً

يزهو بنضارتها القرنُ العشرونْ

رفّت فوق الكل مسرّاتٌ

نحن بسطوتنا مسرورونَ

وأشياخُ العربان بحكمتهم مسرورونْ

لسنا عدوانيّينَ

ولكنّ الأطفالَ عديمي الرقة حين يمرونْ

يضعون صدورَهم العريانةَ في ماسورات

الدبابات،

فينتحرونْ

هم أطفالٌ سودُ الأفئدةِ،

استفزازيّون، وبيّاعو أعمارٍ، وحقودونَ،

وموتورونْ

أما نحن فسلميّون ورومانسيونَ

وأصحابُ عهود ومنيرون

لكنّ المدهشَ أن الأطفالَ السّفاحين عديمي الرّقة

حين يعومون على دمهم في الساحةِ

ينتصرونْ.

نحن جنود الله المختارونْ.

تناص

أخي جاوز الظالمون المدى

سكتنا فصالوا،

خنعنا فجالوا،

وجفَّ على الغصن قطرُ الندى

يقول المهندسُ:

«ليسوا بغير صليل السيوف»

فلا سيفَ صلصل في أي وادٍ،

ولا جيشنا أرعدا

أخي جاوز الظالمون المدى

رمى الطفلُ أحلامه في الحقيبة

واستشهدا

أخي جاوز الظالمون المدى

يقول المهندسُ: «جرِّدْ حسامَكَ من غِمدهِ»،

فلم يستجب غيرُ طفلٍ،

ولم ينفجر غيرُ حزن الثكالى،

وأما المليكُ فنام على لؤلؤ البحر،

واسترغدا

أخي جاوز الظالمون المدى

دماءُ القتيل تسيل على كل شقٍّ

بأرض الجليلِ

تخطُّ النهاية والمبتدا

أخي جاوز الظالمون المدى

يقولُ المهندسُ:

«حقٌّ الجهادُ وحقٌّ الفدا»،

ليذهبْ غناءُ المذلةِ

يبسطْ لنا الوطنُ المستحيلُ يدا

أخي جاوز الظالمون المدى

فبانت سعادُ مجلّلةً بالسوادِ،

وغُصّتْ ربابُ،

وماتت هُدى.

أخي جاوز الظالمون المدى.

علاقة

تشويهُ النسبِ العاديّةِ بين الطوبةِ والدبّابةِ
ركنٌ من أركان حداثة هذا العصر،
قيامُ الصِبية بالحرب بديلاً عن عجز الكبراء
سلوكٌ سرياليٌّ في صُلب التحديث، يؤكد قتلَ الأبّ،
مواجهةُ النبلة للطيّارة عملٌ من أعمال
مفارقة الإبداع الحبلى بإزاحاتٍ شتى،
حملُ الأطفال قصاصاتٍ تحوي الاسمَ
وعنوان الأهل لكي يتعرّفَ بعضُ الناس
عليهم إن صاروا قتلى، نوعٌ مبتكرٌ من
أنواع التجريب، يُسمّى: موسيقى الفقدِ،
وإخلاءُ المصروعين بواسطة الإنسانِ
الآليّ وصولٌ بالتقنيةِ إلى ذروتها

المرموقة، حيث جمالياتُ القسوة والعنف،

ومَجدُ اليأس لدى المحرومين خطابٌ

يتميّز عن سوداوية كافكا بالزغرودة فوق ضريحٍ،

أما تفكيكُ الآليّات الحربيةِ بأصابعِ

صبيانٍ فهو علامةُ تيّار التفكيكيين،

ودالّته الغامضةُ: تناصّ الجسَد العريانِ

مع القنبلة.

فكيف نقول بأن الحدثَ نقيضٌ

لحداثاتِ الشعر، ونجهل أن تشظّي جسدِ

الأطفال بزخّاتِ الطلقاتِ هو المدخلُ

لتشظي النص؟

الحدثُ حداثيٌّ يا شعراءُ، فهيّا ننقذ

عقمَ حداثتنا الشائخة بتقليد الحدثِ المكنوزِ

غراباتٍ وطزاجاتٍ وحداثة.

سؤال

كان يصوِّبُ نبلتَه

وهو يسائلُ روحَ طفولته:

حين سيرحل عنا المحتلون

ونصبحُ وطناً حراً:

هل ستصير فلسطينُ الحرّةُ

بلداً مثل بلاد العرب الأخرى

يحلم أهلوها بالعدلِ

ويُحبسُ فيها الرأيُ المختلف

ويُغتال يساريون وإسلاميون

إذا رفضوا كاريزما الزعماء؟

تمرين في النحو

ينتفضُ، انتفضَ، الفاعلُ منتفضٌ، ومثنّاها منتفضانِ، هما مرفوعان بألفِ التثنية، فإن كانا منصوبيْن نقولُ: حَسدتُ المنتفضيْنِ، لأنهما مفعول بهما، وعلامةُ نصبهما الياء، فإن كانا مجرورين نقولُ: حزنتُ على المنتفضيْن، علامةُ جرّهما الياءُ أو الجرّاراتُ، وجمعُ المنتفض المنتفضون، الرفع هنا بالواو أو النعش، فإن كان بحالة نصبٍ قيلَ: زَففنا المنتفضينَ إلى العُرس اليوميّ، علامةُ نصبِ الجمع هي الياء أو الصلبانُ، فإن كان الجمع بحالةِ جرّ قلنا:

هطل على المنتفضينَ رصاصٌ كالطوفان الدافق، أو قلنا:

أجسادُ المنتفضينَ هي السدُّ المانعُ، أجسادٌ موقعُها في

الإعرابِ مضافٌ والمنتفضينَ مضافٌ في الحبِّ إليه، علامةُ جرِّ المنتفضينَ الياءُ أو الدبّاباتُ،

فإن كونّا جملاً اسميات من هذا الجمع نقول: المنتفضون ورودٌ مقطوفاتٌ، وإذا كونّا جُملاً فعلياتٍ قلنا: قطعَ المنتفضونَ طريقَ الخدع السينمائية، أما إن جاءَ الجمعُ على هيئة تأنيثٍ قلنا: منتفضاتٌ، فإذا نُصبت قلنا: شاهدنا المنتفضاتِ يجهّزن القبر لمنتفضينَ، علامةُ جرِّ المنتفضاتِ الكَسرةُ في الحوض أو الكَسرة في الضلع، وإن رُفعت قلنا: تأتي المنتفضاتُ المحمولاتُ على كوفيّاتِ القدس كشهب ملتمعات في ليل العربان، علامةُ رفع المنتفضاتِ الضمّةُ، ضمُّ الأبناء إذا ساروا من حالة كونهمو منتفضينَ إلى حالةِ كونهمو شهداءَ، وإن جاءت في وضع الجرِّ نقول: على صوتِ المنتفضاتِ وهُنَّ يولولن سيشرق صبحُ المنسيّينَ، فإن جمّعنا التذكيرَ على التأنيث بحالة رفع قلنا: يرتعشُ المنتفضونَ فيرتعش الكَونُ وترتعش المنتفضاتُ فيرتعش الكونُ، المنتفضونَ هي الفاعلُ مرفوعٌ بالعَلَم، المنتفضاتُ هي الفاعلُ مرفوعٌ بشراعٍ وبأفئدةٍ

الزُرّاعِ على المعبَر وبأيدي الحدّادين الموقوفين عن الصَّهر
وتشكيلِ الصلب، وإن جمَّعنا التذكيرَ على التأنيثِ بحالةِ جرّ
قيلَ: هنا ختمُ المنتفضينَ وختمُ المنتفضاتِ على صِدغ الأمة،
وعلامةُ جرٍّ المنتفضينَ وجرٍّ المنتفضاتِ الحلمُ بوطنٍ يقف
الصِبيةُ فيه على سبّوراتِ الدرسِ يقولون: انتفضَ، الفاعلُ
منتفضٌ، ومضارعه ينتفضُ، وجمع المنتفض المنتفضون.

٢٠٠٠ - ٢٠٠١

المحتوى

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلي سابقاً)
ت: 23904096 - 23952496

الأعمال الشعرية الكاملة

ستنامُ قافيةٌ على ساقيكْ.
وتشيرُ في حُلم إليّ :
تَعالَ يا شَجَنَ الهوَى، فأردُ في شَجن الهوى :
لبّيكْ.
ستَقُول : ما تُعطي لمُبتلٍّ؟
وأجيبُ : أيْكْ.
يا ليتَ لي كفّيكْ،
لَمشيْتُ في رِفْقٍ عليّ، مَشيتُ
في رِفقٍ عليكْ.

تصميم الغلاف: أحمد اللباد



www.gocp.gov.eg

السعر: خمسة جنيهات